المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم التاريخ والحضارة الإسلامية

الآثار الدينية والاقتصادية لأيام العرب على المجتمع العربي في العصر الجاهلي

(٤٥٠-٦١٠م)

أطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم

إعداد الطالبة
عواطف بنت بركات يحيى المالكي
٤٣٢٨٠٠٤٠

إشـراف الأستاذ الدكتور
عبدالمعطي بن محمد بن عبدالمعطي سمسم
أستاذ التاريخ القديم بجامعة أم القرى

العام الدراسي

١٤٣٧ هـ / ١٤٣٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم (١٩) أ

إجازة أطروحة علمية في صياغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

بيانات الطالب

الاسم	**عواطف بنت بركات يحي المالكي.**			
الرقم الجامعي	**٤٣٢٨٠٠٤٠**			
الكلية	**الشريعة والدراسات الإسلامية.**			
القسم	**التاريخ.**			
الدرجة العلمية	الماجستير	**السنة**	**١٤٣٩هـ**	
البريد الالكتروني	Ad-f1000@hotmail.com			

بيانات الأطروحة (الرسالة) العلمية

عنوان الأطروحة كاملاً: الآثار الدينية والاقتصادية لأيام العرب على المجتمع العربي في العصر الجاهلي (٤٥٠-٦١٠م).

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة العلمية، والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٨ / ٠٢ / ١٤٣٩هـ، بقبول الأطروحة بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث تم عمل اللازم ، فإن المفوض عن أعضاء اللجنة الدكتور:...عبد المعطي بن محمد بن عبد المعطي سمسم... يوصي بإجازة الأطروحة في صياغتها النهائية حيث تم إجراء التعديلات المطلوبة ، كمتطلب للدرجة العلمية المذكورة أعلاه. والله الموفق.

اسم المفوض

أ/د: عبد المعطي بن محمد بن عبد المعطي سمسم.

التوقيع

يعبأ النموذج باستخدام الحاسب الآلي، ويوضع أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة (الرسالة) العلمية في كل نسخة من الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

فـــهـــرس

المحـــتـــويـــات

الصفحة	المـــــوضـــــــــوع
أ	**الفهرست**
جـ	**الملخص باللغة العربية**
د	**Abstract**
هـ	**شكر وتقدير**
ز	**الإهداء**
	المقدمــة
٣	**سبب اختيار الموضوع**
٤	**منهج البحث**
٤	**حدود الدراسة**
٤	**الدراسات السابقة**
٥	**خطة البحث**
٦	**عرض لأهم مصادر ومراجع البحث**
٨	**صعوبات البحث**
	التمهيد
١٠	**المبحث الأول: جغرافية الجزيرة العربية**
٣٢	**المبحث الثاني: مفهوم العصر الجاهلي**
٣٩	**المبحث الثالث: توزيع القبائل العربية**
٦٠	**المبحث الرابع: مفهوم أيام العرب**
	الباب الأول : أثر أيام العرب على الحياة الدينية الفصل الأول: أديان العرب
٧١	**المبحث الأول: المعتقدات الدينية الوثنية (المعبودات الوثنية، المجوسية، المزدكية)**

الموضـــــــــوع	الصفحة
المبحث الثاني: الديانات السماوية (اليهودية والنصرانية)	٨٩
الفصل الثاني: الشعائر والطقوس الدينية عند العرب	
المبحث الأول: الحج والعمرة	١١٢
المبحث الثاني: الطقوس الوثنية	١٢٤
الباب الثاني: الأثر الاقتصادي الفصل الأول: الـرعـي	
المبحث الأول: المراعي الخاصة	١٣٧
المبحث الثاني: المراعي العامة	١٤٥
الفصل الثاني: الـزراعـة	
المبحث الأول: الأساليب المتبعة في الزراعة	١٦٤
المبحث الثاني: المنتجات الزراعية	١٨٣
الفصل الثالث: الصناعة	
المبحث الأول: الحرف اليدوية	١٩٢
المبحث الثاني: الصناعات والمنتجات المحلية	٢٠٤
الفصل الرابع: الـتـجـارة	
المبحث الأول: التجارة الداخلية	٢١٧
المبحث الثاني: التجارة الخارجية	٢٣٠
الخاتمة	٢٣٧
المـلاحـق	
أولاً: الخرائط	٢٤١
ثانياً: الجداول التوضيحية	٢٤٨
ثالثاً: اللوحات الفوتوغرافية	٢٤٩
رابعاً: الأشكال التوضيحية	٢٥٠
فهرس المصادر والمراجع	٢٥٤

الـــملـخـص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ... أما بعد:

هذا موجز للتعريف برسالة الماجستير في التاريخ القديم، ذات المنهج التاريخي بعنوان:

الآثار الدينية والاقتصادية لأيام العرب على المجتمع العربي في العصر الجاهلي (٤٥٠-٦١٠م).

ويشتمل البحث على التالي:

الفهرست.

المقدمة: وهي تبحث عن أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وعرض لأهم المصادر والمراجع.

التمهيد: وفيه دراسة لجغرافية الجزيرة العربية، وتوزيع القبائل، وتعريف لمفهومي: العصر الجاهلي، وأيام العرب.

يتضمن (**الباب الأول**) أثر أيام العرب على الناحية الدينية عند العرب، وفيه فصلان:

(الفصل الأول) تم تقسيمه لمبحثين: (الأول) يتطرق الى أثر الأيام على العبادات غير السماوية من: معبودات وثنية، ومجوسية، ومَزدكية، أما (الثاني) فعن أثر الأيام على الديانات السماوية: النصرانية، واليهودية.

يتناول (الفصل الثاني) الشعائر والطقوس الدينية عند العرب من خلال مبحثين:

(الأول) فيه أثر الأيام على الحج والعمرة، و(الثاني) أثرها على الطقوس الوثنية المختلفة.

ثم يأتي (**الباب الثاني**): وفيه أثر أيام العرب على الناحية الاقتصادية عند العرب، من خلال أربعة فصول، الفصل الأول: يتناول الرعي من خلال مبحثين: (الأول) يتطرق عن أثر الأيام على المراعي الخاصة، أما (الثاني) عن أثرها على العامة.

أما الفصل الثاني: فيتناول الزراعة، ويحوي مبحثين أيضًا: (الأول) عن أثر الأيام على الأساليب المتبعة في الزراعة، (الثاني) عن أثرها على المنتجات الزراعية.

الفصل الثالث: يتطرق في الحديث عن الصناعة من خلال مبحثين:

(الأول) عن أثر الأيام على الحرف اليدوية، و(الثاني) عن أثرها على الصناعات والمنتجات المحلية.

الفصل الرابع: يتناول التجارة، من خلال مبحثين أيضًا: (الأول) عن أثر الأيام على التجارة الداخلية، أما (الثاني) فعن أثرها على التجارة الخارجية.

وفي نهاية البحث كانت الخاتمة التي تحوي الاستنتاجات التي خرج بها البحث، ثم الملاحق، ثم ثبت بالمصادر والمراجع.

Abstract

All praise is due to Allah and peace and blessings of Allah be upon his prophet Muhammad.

This is a brief preview for the Master's Thesis in Ancient History and bears the following title: "***The Economic and Religious Effects of Arab's Days upon the Arabian Community in Pre-Islamic Era (450-610AD)"***

The research includes the following:

The introduction: it handles the importance of the subject, the reason for selecting it and a presentation for the most important references and sources.

The preface: it handles the study of the Arabian Peninsula geography, the geographic distribution of Arab tribes and an identification of the two following concepts: the pre-Islamic era and Arab's days. The research includes the following sections and chapters and topics:

Section one: it talks about the effects of Arab's days on the religious life of Arabs and this section has two chapters:

Chapter one: this chapter has been divided into two topics, the first topic talks about the effect of Arab's days on non-heavenly worships like: idolatry and Zoroastrianism deities. The second topic talks about the effect of those days on heavenly religions such as; Christianity and Judaism.

Chapter two: it talks about the religious rituals of Arabs and it includes two topics:

The first topic talks about the effect of those days on pilgrimage (Hajj) and minor pilgrimage (Umrah). The second topic talks about the effect of those days on different idolatry rituals.

Section two: this section talks about the effect of Arab's days on the economic life of Arabs. This section includes four chapters:

Chapter one: this chapter talks about grazing and it includes two topics; the first topic talks about the effect of those days on private pastures and the second topic talks about the effect of those days on public pastures.

Chapter two: this chapter talks about agriculture and it includes two topics:

The first topic talks about the effect of those days on the methods used in agriculture and the second topic talks about the effect of those days on agricultural products.

Chapter three: this chapter talks about industry and it includes two topics:

The first topic talks about the effect of those days on handicrafts, and the second topic talks about the effect of those days on local products and industries

Chapter four: this chapter talks about commerce and it includes two topics:

The first topic talks about the effect of those days on home trade and the second topic talks about the outside trade.

شكر وتقدير

الحمد لله جل قدره وتقدست أسماؤه وصفاته، والشكر له وحده المتفضل عليَّ بنعمه؛ ظاهرها وباطنها ما علمتُ منها وما لم أعلم، هو من اختار لي حياتي وسيَّرني ووفقني وهداني، له الحمد والشكر ما بلغ الشكر والحمد مُنتهاه، أن وفقني لإنهاء هذا البحث، فإن جانبني الصواب فمن نفسي، وأن أصبت فمن الله وحده سبحانه لا إله إلا هو الموفق إلى ما فيه الخير.

ثم الشكر لأستاذي والمشرف على رسالتي/ الأستاذ الدكتور: عبد المعطي بن محمد بن عبد المعطي سمسم، والذي كان مثالا يُحتذى به في بذل الجهد والوقت، والذي تحمَّل عثراتي الكثيرة، ولِما أحاطني به من علمه الواسع وآرائه السديدة ونصائحه القيمة؛ حتى خرج البحث بهذه الصورة، فله منِّي عظيم الشكر وأخلص الدعاء.

كما أسجل شكري وتقديري (مسبقًا) لأساتذتي رؤساء وأعضاء لجنة المناقشة:

أ/د: إبراهيم محمد بيومي مهران.

أ/د: نجوى محمد إكرام.

لما أتحفوا به الرسالة من آراء نقْتها وزادتها رصانةً.

والشكر موصولٌ أيضًا للأستاذ: محمد مرقطن، عضو هيئة التدريس المختص في تاريخ شبه الجزيرة العربية والدراسات السامية بجامعة (هايدلبرغ) بألمانيا؛ لإسدائه بعض النصائح الهامة.

كذلك الأستاذ: Robert G. Hoyland، أستاذ التاريخ العربي في جامعة نوتنقهام البريطانية؛ لسرعة استجابته في إعطاء الباحِثة لائحة لبعض الدراسات الأجنبية التي استفاد البحث من بعضها.

كما يقتضي واجب الوفاء أن أقدم شكري وامتناني إلى زميلاتي الفضليات؛ على ما قدموه لي من عون ومساعدة ودعاء مستمر، ومنهن الأستاذة: نجوى محمد اللهيبي، لمساعدتها الأخوية لي في بداية دراستي.

كما لا يسعني في موضع الشكر هذا إلا أن أتقدم بعظيم الشكر والامتنان لحكومة خادم الحرمين لما قدموه في سبيل نشر للعلم، ومنها هذا الصرح المبارك جامعة أم القرى، وشكري للقائمين عليها، ولأساتذتي في قسم التاريخ... وشكري الأكبر لمؤلفي الكتب الذين استفدت منهم كثيرًا في بحثي؛ سواء من قدماء أو محدثين، والذين حملوا على عاتقهم هَمَّ نقل العلم وتواتره، والذين لولا فضل الله ثم جهودهم لكان عملُ هذا البحث مستحيلاً.

ثم شكري وتقديري لعائلتي أحبتي الذين نعِمتُ بوقوفهم الدائم إلى جواري وساندوني في هذا البحث وفي كل حياتي، أحبكم، وأخصُّ هنا أختي (بدرية) الشعلة التي تغمرني بنور الأمل كلما اجتمعت عليَّ الظلمات، وكذلك أختي (هدى)؛ اللتان وقفتا دومًا الى جِواري، فشكرًا لوجودكم في حياتي.

إهـــــداء

* **إلى كل أحبتي الذين دعَّموني دائمًا دون كلل أو ملل.**
* **إلي أُختاي بدرية وهدى.**
* **إلى كل طالب علم.**

المقدمة

- سبب اختيار الموضوع.
- منهج البحث.
- حدود الدراسة.
- الدراسات السابقة.
- خطة البحث.
- عرض لأهم مصادر ومراجع البحث
- صعوبات البحث.

المقدمـــة

الحمد لله المتفضل بالجود والإحسان، والمنعم على عباده بنعمٍ لا يُحصيها العدُّ والحُسبان، أنعم علينا بإنزال هذا القرآن هدىً للناس وبيّنات من الهُدى والفرقان، ونصر نبينا محمد صلى الله عليه وآله وأصحابه ببدر وسمَّاه يوم الفرقان، وأعزه بفتح مكة أم القرى وتطهيرها من الأصنام والأوثان أما بعد....

كانت الحروب التي قامت في العصر الجاهلي والمعروفة بـ (أيام العرب) أحد المؤثرات الرئيسة التي تحكمت بشكل مباشر في حياة سكان الجزيرة العربية، ويظهر ذلك جليًّا بآثارها على كافَّة نواحي حياتهم: السياسية، والفكرية، والاجتماعية، والدينية والاقتصادية على الرغم من طابعها السياسي.

وهذه الأيام التي نقلها إلينا التاريخ: (شعرًا ونثرًا وروايةً)، كشفت عن خِيرة صفات العرب آنذاك، وعن نُظمهم السياسية، وحالهم في سلمهم وحربهم، كما كشفت أيضًا عن "جانبهم المظلم" من حبهم للدماء وطلب الثأر والتشفِّي.

هذه الأيام كانت شاهدًا قويًّا لوسم العرب في الجاهلية بالشدة والقسوة وسفاهة الرأي والفعل، كما أنها أيضًا شاهد على أحسن ما فيهم من خصال وصفات لم يُعرف بها إلا العربيّ في الشجاعة والإقدام، والكرم، والنخوة، وحماية الجار، والذود عن الأهل والخِلَّان، والصبر في السرّاء والضرّاء.

فأيام العرب التي مثَّلت التنظيمات الحربية في جزيرة العرب، استعرت لتبلغ مختلف القبائل والممالك العربية آنذاك، حتى أصبحت بالنسبة للعرب في العصر الجاهلي "منهاج حياة".

فكانت مُسبباتها ما بين (السياسية): كحب السيطرة والغلبة، والاستئثار بالحكم، أو (الاقتصادية): كنتيجة مُترتبة على ندرة المياه والكلأ، وأسباب أخرى مختلفة منها: الدفاع عن الكرامة أو الشرف، والرد على اعتداء تمَّ على النفس أو الضيف أو الحليف، وردٍّ للظلم، أو فقط للثأر، أو بتحريض وتدخل خارجي من قِبل الفرس أو الروم، والتي عانت جزيرة العرب من صراعاتهم الدولية

في أثناء صراعهم للحصول على مناطق الشرق الأدنى وبخاصّة الجزيرة العربية؛ حيث كان الهدف الرئيسي للسياسة البيزنطية في الشرق الأدنى هو: محاولة الاستيلاء على المنطقة من البحر المتوسط إلى المحيط الهندي؛ للتهرب من دفع الضرائب الباهظة التي كانت تدفعها للفرس في مقابل مرور تجارتها القادمة من الشرق برًّا، والمرتهنة لفارس، في الوقت نفسه كان الفرس الساسانيّون يسعَوْن للوصول إلى السواحل الشرقية للبحر المتوسط، ومواجهة البيزنطيين لكسر احتكارهم التجاري على موانئ البحر المتوسط، ومن هاتين الرغبتين نشأ ما يُعرف بمناطق النفوذ في شبه الجزيرة العربية وضفتي البحر الأحمر مما جعلها ميدانا للصراع بين القوتين، ودفعت تلك الصراعات إلى وقوع الكثير من الحروب والوقائع بين حلفاء كل منهما من القبائل والممالك العربية، والتي شملتها (أيام العرب)، وكان لها أثر يتدرج ما بين ازدهار واضمحلال شَمِل حياتهم السياسية والاجتماعية وعاداتهم وتقاليدهم في حربهم وسلمهم، وكذلك شَمِل حياتهم الدينية، والاقتصادية، الأمر الذي دفعهم إلى سَنِّ النظم والقوانين لتنظيم أيامهم وشؤون حياتهم.

لذلك، قُدِّر لأيام العرب أن تكون في عصور تالية، موضوعًا للمسامرة؛ بل أصبحت معيارًا يُعرَف به مدى ثقافة المرء.

سبب اختيار الموضوع:

بما أن أيام العرب كانت فاتحةً ضخمةً لأحداث جمّة، فإن إهمال هذه الفترة وما نتج عنها يعد إهمالًا لجزء كبير من تاريخ العرب، وتاريخ الجزيرة العربية قبل بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وبالأخصّ أن الدراسات التاريخية في هذا الموضوع متفرقة، قليلة ومتداخلة، على الرغم من أنها تفسر الكثير من الأحداث التي وقعت بين تلك المجتمعات فيما بينها أو مع غيرها، كما تفسر بعض الأحداث الأخرى التي حصلت في عصر لاحق لها "العصر الإسلامي"، وأيضًا تكشف عن نواحي المجتمع الجاهلي حتى يكون بالإمكان تفسر الآيات الكريمة التي وردت مجملةً في القرآن الكريم ؛ بما يعكس صورة المجتمع الجاهلي في الفترة محل البحث.

كما أن هذا الموضوع سيُساعد على رصد دقائق المجتمع آنذاك بما يلقى الضوء ويكشف عن طبيعة الحياة الاجتماعية في الجزيرة العربية من أثر أيام العرب، ويرصد أيضًا القوى العظمى المحيطة بالعرب ممثلةً: بالفرس والروم ومدى دخلهم في قولبة الآثار المترتبة عن أيام العرب.

من هنا كان اختيار موضوع الدراسة، وهو الوقوف على آثار تلك الأيام على المجتمع العربي في العصر الجاهلي، مع الأخذ في الاعتبار أن هذه الدراسة تبتعد عن وصف أيام العرب وأحداثها، لتنفرد بدراسة أثر تلك الأيام، والنتائج التي خلَّفتها على أرض العرب من جميل وقبيح، ومن حُلو ومرٍّ، من حيث الجانب الديني والاقتصادي.

منهج البحث:

المنهج الذي يتبعه هذا البحث هو: المنهج التاريخي، حيث يتم الرجوع للمصادر الأولية قدر الإمكان، ثم الكشف عن الآثار وتحليلها، والابتعاد عن الروايات التي تحوي تنافرًا لا يمكن التوفيق دونه إذا لم تستند إحداها لدليل.

حدود البحث:

الإطار المكاني: تتبع لمواقع "أيام العرب" عبر الجزيرة العربية المرتبطة بموضوع الدراسة.

الإطار الزماني: العصر المتعارف عليه عند المؤرخين بالعصر الجاهلي والذي يُحَدَّدُ على الأرجح قُبيل بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم فيما بين مئتين إلى مئة وخمسين عامًا.

الدراسات السابقة:

إنه على الرغم من أسبقية بعض الباحثين بالدراسة والبحث في "أيام العرب" إلا أنهم أغفلوا جزءًا لا يتجزأ منها، ألا وهو النتائج التي خلَّفتها تلك الأيام، ومن تلك الدراسات:

١) أيام العرب وأثرها في الشِّعر الجاهلي، منذر خلف الجبوري، ماجستير، العراق، جامعة بغداد، ١٩٧٢م.

٢) ظاهرة الحرب في المجتمع الجاهلي وأثرها في أدبه، بشير محمود خليل عبد البر، ماجستير، مصر، جامعة الإسكندرية، ١٩٥٥م.

٣) حياة الحرب عند القبائل في الجزيرة العربية منذ بداية القرن ٦م حتى ظهور الإسلام، توفيق إبراهيم صالح الكناني، ماجستير، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

خطة البحث:

تشتمل هذه الدراسة على: فهرست، مقدمة، وتمهيد، وبابين، وخاتمة، وملحق بالصور والأشكال والجداول، ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع.

أما **المقدمة**: فقد تناولتُ فيها أهمية الموضوع، وسبب اختياره، والدراسات السابقة، ثم ذِكر لبعض المصادر والمراجع.

التمهيد: تم التطرق فيه عن جغرافية جزيرة العرب، وتوزيعات القبائل، وتعريف بالمفاهيم المهمة التي هي في أصل البحث وهي: معنى العصر الجاهلي، وأيام العرب.

تلا ذلك استرسال في الحديث عما هو صُلب للبحث وهي آثار (أيام العرب) على المجتمع العربي، **فالباب الأول**: يتضمن أثر الأيام على حياة العرب الدينية، وقد تم تقسيمه إلى فصلين:

الفصل الأول: ذكرتُ فيه أثر أيام العرب على الأديان السماوية والوضعية وكيف أصبحت (الأيام) سلاحًا للدين أو عذرًا لإقامتها، كذلك كيف كانت سببًا في تثبيت ونشوء بعض معتقدات العرب.

وفي الفصل الثاني: تطرقتُ فيه عن التغيرات التي طرأت على شعائرهم الدينية الموجودة أصلاً، وإضافة إلى ما استُحدِث من طقوس.

أما في الباب الثاني: فيحوي أثر أيام العرب على حياة العرب الاقتصادية، وأيضًا فيه محاولة لإبراز أن حروبهم كانت تتمحور حول اقتصادهم.

لذا كان الفصل الأول: يتناول أثر الحروب على رعْيهم والخطر الدائم المحيط بهذا الجانب، كذلك كيف أن العرب استحدثوا بعض الأشياء كـ(الوسم) للحفاظ على أنعامهم من النهب والتعدي، كذلك كيف أنهم جعلوا أنعامهم محورًا لرقاء دمائهم وحروبهم باستخدامها في (الدِّيات).

أما الفصل الثاني: فتطرقتُ فيه إلى مدى كراهية العرب للزراعة، وسبب هذا الموقف منها، كما بيّنتُ فيه الأثر الذي ترتب على أصحاب الزراعة من تحصينات ودفاعات للحدِّ من الحروب التي استهدفت معيشتهم.

وفي الفصل الثالث: تمَّ توضيح التناقض في نفسيات العرب، كونهم يكرهون العمل في الصناعات ويستحقرونها وأهلها، وفي مقابل ذلك كان أصحاب تلك الحِرف والصناعات، هم من يسعون لتوفير كفاية العرب ومدهم بما يحتاجونه من أسلحة، وكيف أنهم مع الوقت بدؤوا ينفتحون ببطء لتقبُّل هذه المِهن.

أما في الفصل الرابع: فتناولتُ بالحديث القبائل التي أوجدت لها منفذًا للبعد من الحروب في سبيل الحفاظ على تجارتها، وكيف أن العرب تأثروا بالصراع التجاري القائم بين الامبراطوريتين الساسانية والبيزنطية.

ثم أنهيتُ البحث بخاتمة تحوي النتائج المستخلَصَة من الدراسة، تليها ملاحق تحوي خرائط وصورًا وجداول تخدم البحث، ثم ثبْت بالمصادر والمراجع.

عرض لأهم مصادر ومراجع البحث:

حاولت الباحِثة جاهدة تتبع المصادر القديمة المعاصرة لفترة الدراسة، فكان الاعتماد أولاً على المصدر الأول لأيام العرب وهو: (الشِّعر الجاهلي) و(الروايات) الواردة عنها في المصادر الإسلامية، ولكن لعدم وضوح الشِّعر الجاهلي؛ فقد اعتمدت الباحِثة على الروايات بشكل أكبر لما تورده من تتبع للأحداث، والاكتفاء فقط بالاستشهاد ببعض الشِّعر عند الحاجة لذلك، ومن هذه الكتب:

١- أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي المتوفى عام ٢٠٩هـ، في كتابه:(أيام العرب قبل الإسلام)، وهو من جمع وتحقيق ودراسة: عادل جاسم البياتي.

وهو كتاب اكتفى بإيراد روايات (أيام العرب) فقط.

٢- أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه المتوفى عام ٣٢٨هـ، في كتابه: العقد الفريد.

٣- ابي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني المتوفى عام ٣٥٦هـ، في كتابه: الأغاني.

٤- أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد المعروف: (بابن الأثير) المتوفَّى عام ٦٣٠هـ، في كتابه: الكامل في التاريخ.

٥- ابن سعيد الأندلسي المتوفى عام ٦٨٥هـ،، في كتابه: نشوة الطرب في جاهلية العرب.

٦- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي المتوفى عام ٧٧٤هـ، في كتابه: البداية والنهاية.

وقد استفادت الباحِثة منها ليس فقط في أيام العرب، بل في مختلف جوانب رسالتها.

كما تم الرجوع لبعض المراجع العربية، ومن المراجع المهمة التي أُعتمدت في هذا البحث:

١- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام.

٢- أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

٣- محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم.

٤- محمد أحمد مولى جاد المولى بك وآخرون، أيام العرب في الجاهلية.

كما تم تضمين بعض المصادر الكلاسيكية التي تطرَّقت مباشرة وخدمت بعضًا من مباحث هذه الدراسة، ومنها:

1- Procopius, History of the wars.
2- Ephesus (John Bishop of Ephesus), Ecclesiastical History.
3- Evagrius, the Ecclesiastical History of Evagrius scholasticus.

صـعـوبـات البحث:

من المعروف أن كل عمل بحثيٍّ لا يخلو من الصعوبات، غير أنها تختلف من دراسة لأخرى حسب ما يقتضيه البحث، وبالرغم من أن هذا الموضوع من الموضوعات الواسعة ذات المصادر والمراجع الكثيرة، إلا أنه أيضًا من الموضوعات الشائكة، فهي فترة فقيرة من ناحية الآثار ناهيك عما يخدم البحث، كما أن أغلبية المصادر والمراجع كانت تركز على موضوعات معينة أو أنها لا تتوسع فيها، وحصر البحث بـ(أيام العرب) زاد من صعوبة البحث، مما واجه الباحِثة بمصاعب جمَّة؛ إذ كان عليها التدقيق في روايات الأيام التي تختلف من كتاب لآخر، كذلك البحث في عدة موضوعات شتى من أديان وحضارات وعادات وغيرها الكثير، وأيضًا تتبع ماضيها القديم حتى الوصول بها إلى الفترة المعاصر لفترة البحث في محاولة لإدراك النقص، وأيضًا في الفترة اللاحقة للبحث في (العصر الإسلامي)، بل حتى التعمق في خبايا العرب النفسية والاجتماعية؛ لإدراك سبب تصرف أو فعل متطرف، إضافة لمحاولة إبراز الأثر الذي أغفلت ذكره الكتب أو جمع شتاته القليل من بينها، ثم مقارنة مدى تطبيقه الفعلي على حياة العرب آنذاك، وأيضًا التتبع والبحث عن المصادر القديمة المعاصرة لهذه الفترة وترجمتها والأخذ فقط بما يُفيد ويخدم البحث؛ إضافة لبعض الظروف الخاصة بالباحِثة، كل هذا كلَّف الباحِثة جهدًا ووقتًا وعناءً أشد ما يكون.

لكن كان دافعنا في مواصلة البحث هو احتساب ذلك لله أولاً، ثم الثقة بأهمية كل جانب للعلم ومنها هذا البحث.

وما توفيقي إلا بالله

التمهيد

- المبحث الأول: جغرافية الجزيرة العربية.
- المبحث الثاني: مفهوم العصر الجاهلي.
- المبحث الثالث: توزيع القبائل العربية.
- المبحث الرابع: مفهوم أيام العرب.

المبحث الأول

جغرافية الجزيرة العربية

ارتبطت جزيرة العرب جيولوجيًا بقارة إفريقيا فيما عرفه الجغرافيون باسم (جندوانا- Gondwanaland): وهي كتلة صخرية قوية واحدة حوت إلى جوار أراضي جزيرة العرب (أرض السودان، والصومال، والصحراء الإفريقية الكبرى)، غير أن العوامل الجيولوجية عملت على إبعاد كُتلتها عن أرضها الأم مما أحدث شق عظيم، وقد أُطلق على هذا الحدث عدة مسميات، (كحفرة الهدم، والأخدود الإفريقي الآسيوي العظيم)، وبسبب هذا الشق تَكون البحر الأحمر والخليج العربي الذي كان النتيجة الختامية لكل هذه التحركات الجيولوجية العنيفة(١)، فأصبحت جزيرة العرب جزءًا من قارة آسيا، لا يربطها بإفريقيا سوى شبه جزيرة سيناء(٢)، ثم عُرفت بمُسمى (الجزيرة العربية) بالرغم من اتصال أراضيها الشمالية بغيرها، وذلك من باب التشبيه والمجاز، وأضاف إليها العرب اسمهم لأنهم أول من سكنها، فبهم عُرفت(٣).

---

(١) قاسم الدويكات، جغرافية الوطن العربي الطبيعة والبشرية والسياسية، ط٣، مطبعة البهجة، أربد، ٢٠٠٣م، ص٦٥؛ كذلك: Helen Chapin Metz, Saudi Arabia a Country Study, 5th ED, Library of Congress, 1993, P51.

(٢) انظر: (خريطة رقم ١).

(٣) الألوسي (السيد محمود شكري بن عبد الله)، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ضبط وتصحيح: محمد بهجة الأثري، ط٢، (د ن)، (د ت)، ١٨٧/١. وقد اختلفت مسميات المسطحات المائية المحيطة بجزيرة العرب من عصر لآخر ومن أمة لأخرى، (فالبحر الأحمر):

عرف بمسمى البحر، البحر الأحمر، الخليج العربي، كذلك خليج العرب (Sinus arabicus) كما عرفه اليونان والرومان (ببحر إريتريا) –أي الأحمر–، كذلك عرف ببحر القلزم "نسبة لمدينة قلزمة Clysma، أما العبرانيون فأطلقوا عليه (بحر أدوم)، كما عرفه المسلمون في فترة ما بقلزمة السويس.

أما (الخليج العربي): فعرف في النقوش الآكدية باسم (البحر الأدنى أو المر)، كذلك سُمي بالخليج الفارسي بعد أن أعطاه قائد الإسكندر المقدوني نياروخوس Nearchus هذا الاسم، كما عُرف بالخليج العربي في القرن الأول الميلادي، كما عرفه اليونان والرومان بمسمى:

=(Sinus Persieus, Periscus Colopos, Persicy Thelassa, Persicus Sinos and Perisco Polagos).

موقع الجزيرة العربية الفلكي ما بين خطي طول ٤٠,٣٤° غربًا و٤٠,٥٨° شرقًا، وبين خطي عرض ١٢,٣٢° شمالاً، و٣٠,١٢° جنوبًا، وتتخذ شكلاً مستطيلاً يبلغ مساحته أكثر من مليون ميل مربع(١).

أقسام الجزيرة العربية في المصادر القديمة:

أولاً: الآشوريون والبابليون.

تعد (المصادر المسمارية) الآشورية من أولى المصادر التي تطرقت في الحديث عن صلات وحدود جزيرة العرب، حيث نَجْد لفظ (أريبو) يتردد في الكثير من نقوشهم، والتي جعلت من جزيرة العرب قاصرة على أقاصي القسم الشمالي لجزيرة العرب، حتى المعبر الصحراوي بين وداي الرافدين وسورية، ويعد أقدم النقوش التي تحدثت عن ذلك هو النص الذي تركه شلمنصر الثالث (Shalmaneser III)(٢) في السنة السادسة من حكمة تخليدًا لإحدى انتصاراته التي وقعت حوالي (٨٥٣ ق.م) في معركة "قرقر" (Karkara)، وهذا النص يورد رجل عربي يدعى (جنديبو) -أي جندب-والذي يبدو بأنه ملك أو زعيم، شارك في تحالف ضد آشور، حيث يورد النص:

أما (المحيط الهندي): فقد ذكر أن اليونان والرومان عرفوه بالبحر الإريتيري (More erythraeum)، وعُرف أيضًا باسم (البحر الصيني، البحر الهندي والبحر الحبشي)، انظر: ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن محمد الأشبيلي)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (المعروف) بتاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م، ٦٠،٦١/١؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٤، دار الساقي، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ١٤٠/١-١٤١؛ سامي سعيد الأحمد، "نظرة في جغرافية شبه الجزيرة العربية في المصادر اليونانية القديمة"، مجلة العرب، ع٧، محرم، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م، ص٥٩٩؛ محمد محمود محمدين، "دراسات في الأسماء الجغرافية العربية"، مجلة الدارة، ع٤، ١٣٩٩هـ، ص٢٣٢-٢٣٣.

(١) محمود طه أبو العلا، جغرافية شبه الجزيرة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م، ص٧٥.

(٢) (شلمنصر الثالث): ملك أشوري، قضى سنين حكمه يحارب الشعوب المجاورة في سورية واستطاع فرض الجزية على الكثير منها، قضى السنوات الأخيرة من حكمه في حرب مع ابنه البكر الذي حرض الآشوريين ضد أبيه لأجل الحكم. انظر: هنري سعيد عبودي، معجم الحضارات السامية، ط١، جروس بروس، طرابلس، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٥٣٥.

"... وكذا ألف جمل بقوَّادها لجنديبو من بلاد العرب...، {...} جندي لباسًا إلى روخابي من عمون، كلهم مجتمعون، اثنا عشر ملكًا نهضوا أمامي لتقرير مصير معركة حاسمة، وحاربتهم بالدعم القوي الشديد لآشور..."(١).

وفي "العهد البابلي الأخير"(٢) اتسعت تلك المعرفة، حيث تذكر النصوص الملك نابونائيد Nabonidos (٥٥٦-٥٣٩ ق.م)(٣) يقيم فيما بين العام السابع والحادي عشر من حكمه في مدينة تِيماء؛ بهدف اتخاذها قاعدة جديدة لحكمه(٤).

(١) عبد المعطي محمد عبد المعطي سمسم، العلاقات بين شمال شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين، ط١، ايتراك للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص١٠٣،١٠١.

وللنص كاملاً، انظر:

A. Kirk Grayson and Others, Assyrian rulers of the early First millennium BC II (858-745 BC), University of Toronto press, Toronto buffalo, London, 2002, P23.

(٢) (العهد البابلي) من (١٨٣٠-٣٣١ق.م): قامت مملكة بابل في آسيا الغربية حيث حوت نهري دجلة والفرات، وكانت عاصمتها بابل، قامت على هذه المملكة إحدى عشرة سلالة ملكية، تم تأسيس الأولى على يد ملكها "سامو آبي"، وانتهت بسلالة الفرس الاخمينيون الذي كان آخر ملوكها "داريوس الثالث" عام ٣٣١ق.م على يد الإسكندر المقدوني. انظر: هنري سعيد عبودي، معجم الحضارات، ص١٩٣-٢٠٢.

(٣) (نابو نائيد) ٥٥٥-٥٣٩ق.م: آخر ملوك بابل من السلالة العاشرة الكلدانية، نصب على يد كهنة بابل على الرغم من تقدمه في السن، قام بثلاث حملات على سورية قبل أن يسلم حكمه لابنه "بيلشصر" ليتفرغ هو لأمور الدين وبناء المعابد، انظر: هنري سعيد عبودي، معجم الحضارات، ص٨٣٣.

(٤) لطفي عبد الوهاب يحيى، العرب في العصور القديمة، ط٢، دار المعرفة الجامعية، ص٩٦.

ثانياً: الفرس.

تشابه الفرس في الفترة ما بين أواسط القرن الخامس إلى أواخر السادس مع (الآشوريين) في مفهومهم عن العرب، غير أن في النص الذي تركه الامبراطور الفارسي أحشيويرش xerxes (٤٨٥-٤٦٥ ق.م)[١] ما يشير إلى توسع هذا المفهوم[٢].

ثالثاً: الإغريق والرومان.

بالإمكان تقسيم الكتابات الإغريقية والرومانية التي أوردت جزيرة العرب إلى أربعة مراحل:

١- المرحلة المبكرة:

يبدأ هذا العصر من القرن الخامس قبل الميلاد، حيث كان اهتمام كُتَّاب هذه الفترة لا يخرج عن كونه محاولة للتعرف العلمي عليها وعلى سكانها[٣]، فعندما تحدث اليونان لأول مرة عنها لم تكن كتاباتهم سوى إشارات ضئيلة لا تتجاوز خمس إشارات ذُكرت كلفظ واحد لجزيرة العرب، كان هوميروس (Homeros) [٤] قد أورد اثنتين منها في ملحمة الأوديسة في أواسط القرن التاسع قبل

(١) (خشايارشا الأول) ٤٨٦-٤٦٥ق.م: ابن داريوس الأول، وهو ملك فارسي من السلالة الأخمينية، نجح في إبعاد إخوته البكور عن الحكم، وقمع عدة ثورات قامت ضده، ومات قتيلاً، يعرف أيضًا باسمه الإغريقي: كسيركسيس، والعبرأني: أحشويرش، انظر: هنري سعيد عبودي، معجم الحضارات، ص٣٨٣.

(٢) لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور، ص٩٧.يذكر النص مسمى عمان، ثم يُتبعها بلفظ (العربية) بما يوحي إلى أنه قصد بها منطقة وسط شبه الجزيرة العربية، غير أن المثبت تاريخيًا هو أن الأراضي الفارسية تشمل الأطراف الشمالية (بادية السمأوة وبادية الشام بين وادي الرافدين والمنطقة السورية)، انظر الهامش: لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور، ص٩٧.

(٣) لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور، ص٢١٧.

(٤) (هوميروس): شاعر يوناني قصصي، وللأسف ليس هناك توافق بين روايات الكُتاب القدامى عنه، كما أن التاريخ الذي عاش فيه قُدر تقديرات مختلفة تعود الى الفترة ما بين القرن الثاني عشرة الى التاسع قبل الميلاد؛ أو بعدها بقليل، من أهم أعماله "الألياذة والأوديسة". الموسوعة الأثرية العالمية، "هوميروس"، ترجمة: محمد عبد القادر محمد وزكي إسكندر، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص٤١٨.

الميلاد-أي قبل أربعمائة عام من هيردوت-، وواحدة كانت في أشعار هزيودوس (Hesiodos) [١] وذلك بعد حوالي قرن من هوميروس، أما الاثنتان الأخيرتان فكانتا في مسرحيتين لإيسخيلوس (Aeschlos) [٢] والتي تعود لبدايات القرن الخامس قبل الميلاد، بينما كان أول حديث مطوّل عنها على يد هيرودوت[٣](Herodotus) بأواسط القرن الخامس قبل الميلاد[٤]، حيث تغير على يديه التصور القديم عن الجزيرة العربية، ليشمل كل أراضيها المعروفة الآن على الرغم من أنه أدخل إليها بعض المناطق الواقعة خارجها[٥]-مع الأخذ بالاعتبار أن رواياته غير دقيقة؛ لعدم زيارته لجزيرة العرب-، فنَجْده يصفها بأنها تقع في أقصى الجنوب من العالم المأهول، ثم يتحدث عن بعض منتجاتها الطبيعية، كما يُورد خبرًا أخذه عن كهنة مصر، مفاده: أن أحد الفراعنة وجّه أُسطولاً من خليج العرب آنذاك-البحر الأحمر الآن-وأخضع قبائل مُقيمة على شواطئ المحيط الهندي وصولاً إلى الخليج العربي[٦]، ومن العسير معرفة ما يقصده (هيرودوت) لعدم تواصل حديثه عنها؛ لكن عند تمحيص كتابه ينجلي بأن جزيرة العرب تشمل إلى جوار شبه الجزيرة العربية كُل

(١) (هزيودوس): شاعر يوناني، عاش في القرن الثامن قبل الميلاد، وهو منشئ الشعر التعليمي عند اليونان، من أعماله "الأعمال والأيام"؛ وهي قصيدة تضمنت كثيرا من النصائح العملية التي يواجهها الفلاحين، بعض النقاد ينكرون وجوده غير أنهم يعترفون بقوة أشعاره. الموسوعة العربية الميسرة، "هيسود"، المكتبة العصرية، صيدا، ص٣٥٠٢.

(٢) (ايسخيلوس) ٥٢٥-٤٥٦ق.م: كاتب للتراجيديا الأغريقية؛ وهو الذي قادها الى النضج، كتب أكثر من ثمانون مسرحية ولم يبقى منها سوى سبع، من أشهر أعماله "الأوريستيا"، ذُكر أنه حارب في معركة "ماراثون" التي تغلب فيها الأغريق على الفرس. الموسوعة العربية العالمية، "ايسخيلوس"، ط٢، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م. ص٥١٢.

(٣) (هيرودوت بن ليكسيس): مؤرخ إغريقي، ولد حوالي عام ٤٨٥ ق.م، سافر متنقلاً بين أرجاء العالم القديم وألف كتابه المشهور في التاريخ والذي يعتبر من أهم وأوثق المراجع عن تاريخ اليونان والشرق الأوسط في القرنين السادس والسابع ق.م، وذلك لدقته وعدالته في سرد الأحداث. انظر: الموسوعة الأثرية العالمية، "هيرودوت"، ص ٤٢٤-٤٢٦.

(٤) لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور، ص١٩٦-١٩٨.

(٥) لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور، ص٩٧-٩٨.

(٦) هيرودوت، تاريخ هيرودوت، ترجمة: عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠١م، ص٢٦٨، ١٧٧؛ لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور، ص١٩٧-١٩٨. انظر: (خريطة رقم ٢).

القسم الداخلي من سورية (بادية الشام)، وشبه جزيرة سيناء، وصحراء مصر الشرقية التي تقع ما بين النيل وسواحل البحر الأحمر الغربية والتي عرفت في وقت ما بمُسمّى(صحراء العرب)[١].

٢- العصر المتأغرق:

تبدأ هذه الفترة حوالي ثلاثة قرون من بعد وفاة الإسكندر المقدوني إلى قيام الامبراطورية الرومانية، حيث كان حديثهم عنها (اقتصاديا) بحتًا، وذلك نابعٌ من اهتمام البطالمة[٢] والسلوقيون[٣] بها لارتباطها بعلاقاتهم التجارية وخطوط تجارتهم، ومن كتاب هذه الفترة اراتوسثنيس (Eratosthenes)[٤]، والذي اتخذ منحى جديد في تحديد جزيرة العرب، حيث قسم بلاد العرب إلى (الصحراوية) و(الميمونة)، وهذين القسمين يفصل بينهما خط يبتدئ عند هيروي (Heroe) ويستمر شرقًا إلى أن يبلغ بابل، كما ذكر أن أراضي ساكني الخيام تقع إلى الشرق من الفرات، وقال: بأن صحراءهم تقع إلى جنوب منطقتهم تلك فيما بين العربية السعيدة، وسورية المجوفة [٥] (Coele

(١) لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور، ص١٩٨-١٩٩.

(٢) (البطالمة): لقب يطلق على ملوك السلالة التي أسسها بطليموس الأول (سوتر) في مصر عام ٣٠٦/٣٠٥ق.م، وهؤلاء الملوك هم خلفة ألكسندر المقدوني، ويطلق عليهم لقب البطالمة وأيضًا البطالسة. هنري سعيد عبودي، معجم الحضارات، ص٢٢٨.

(٣) (السلوقيين): سلالة هلنستية حكمت في آسيا من ٣٠٥/٦٤ق.م، ومؤسسها (سلوقوس الأول) حاكم بابل، وكانت مملكة توسعية استهدفت مناطق عدة كآسيا الصغرى، وسورية وفلسطين والشاطئ الفينيقي. هنري سعيد عبودي، معجم الحضارات، ص٤٨٣.

(٤) لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور، ص٢٠٣؛ (إراتوسثنيس) ٢٧٥-١٩٥ق.م: عالم يوناني، كان أميناً لمكتبة كان، كما كان عالمًا باللغة والرياضيات والجغرافيا والتاريخ والفلسفة، وضع خريطة للعالم آنذاك، وكان له محأولة في قياس محيط الأرض، انظر: الموسوعة العربية الميسرة، "إراتوسثينس"، ٢١١/١.

(٥) (Coele Syri): اسم قديم أطلق على الجزء من سوريا الواقع بين سلسلتي جبال لبنان الغربية وتعرف اليوم بسهل البقاع، انظر: هنري سعيد عبودي، معجم الحضارات، ص٥٠٩.

(Syria)، ووراء هذه الصحراء تقع العربية السعيدة، والتي ذكر بأنها تمتد اثني عشر ألف ستوديم (أي حوالي ٢٤٠٠ كيلومتر) جنوبًا إلى أن تصل إلى البحر الأطلنطي (Athantic sea)[١].

٣- العصر الروماني:

يبدأ هذا العصر في ٩٧ق.م، وكان اهتمام الكتاب الرومان بالجزيرة العربية اهتمامًا سياسياً وعمليًا، يعود لملامسة حدود روما الشرقية لمشارف جزيرة العرب؛ إضافة لحرصهم على تأمين طريقهم التجاري البري مع الشرق الأقصى الذي يمر بآسيا الصغرى والوسطى والذي أصبح تحت تهديد دائمًا من البارثيين[٢] بإيران نتيجة لتحول خط التجارة إلى خط بري مع الشرق الأقصى، ومن كتاب هذه الفترة استرابون (Strabo)[٣]، والذي وصف جزيرة العرب بأنها تبدو كالقميص على الخارطة، وتحدث في كتابه عن (عربيتان): العربية السعيدة، والعربية الكبرى[٤]، فـ (العربية السعيدة) عنده تلي الرافدين، وبالأخصّ على الجزء الجنوبي الغربي من الفرات، وهي محصورة بين خليجين، الخليج العربي -البحر الأحمر الآن-والخليج الفارسي، وقال بأنها تشمل الأراضي المسكونة من قبل ساكني الخيام وشيوخ القبائل، وتمتد أراضيها إلى الفرات وسوريا[٥]، وأما (العربية الكبرى): فتقع ما بعد الفرات حيث

(١) آدم، هنري إ. ماك، "استرأبون، بلينيوس الكبير، بطلميوس الإسكندري: ثلاثة تصورات عن العربية القديمة وشعوبها"، ترجمة: مصطفى العبادي، رسائل جغرافية، جامعة الكويت، ع١٤٦، محرم ١٤١٣هـ/ يوليو، ١٩٩٢م، ص٢١؛ كذلك:
Strabo, the geography of Strabo, Trans: Horace Leonard Jones; PH. D; LL. D, 4thED, Harvard university press, Combridge, 1961, 7/309.

(٢) (البارثيين): يعرفون أيضًا بالفارثيين والفرتيين، وهم فرع من الإيرانيين، كانوا بدواً رحل إلى أن استقروا أخيراً في (بارثيا- خراسان) في الألف الأول من ق.م، حيث شكلوا حينها حكمًا ارستقراطيًا محاربًا إلى أن أفل ملكهم، وقامت على أنقاضها السلالة الساسانية عام ٢٢٧م، هنري سعيد عبودي، معجم الحضارات، ص٢٠٨،٢٠٧.

(٣) لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور، ص٢٠٦؛ (إسترأبون) ٦٣ ق.م-٢١م: مؤرخ يوناني، تلقى الكثير من العلم، وسافر في أرجاء أوروبا وشمال أفريقيا وغرب آسيا ليترك لنا كتابا غنيا بالمعلومات في الجغرافيا من سبعة عشر جزءًا، انظر: الموسوعة العربية الميسرة، "اسطرابون"، ٢٨٢/١.

(٤) انظر: (خريطة رقم ٣).

(5) Strabo, the geography, 2/455, 499.

تسكن أيضًا (قبائل عربية وساكني الخيام)، وهذه القبائل تُعطي الإذن بالمرور في أراضيها للروم والفرس، كُلٌّ تبعًا للامبراطورية التي تجاورها، غير أنه لم يذكر الحد الفاصل بين هذين القسمين(١).

أما الكاتب الآخر من هذه الفترة فهو بلينيوس الأكبر(Pliny's)(٢)، والذي تحدث في كتابه عن أربعة مناطق أطلق عليها كلها مُسمى (العربية)(٣):

(الأولى): تمتد من شرق الفم البيلوزي للنيل أو الفرما (Pelusiac Mouth)(٤).

(الثانية): تُعرف باسم العربية السعيدة، وكلا العربيتين ترتبط أراضيها بالآنباط(٥).

(الثالثة): تُعرف بعربية البدو وتقع إلى شرق البحر الميت (Asphaltites)(٦).

(الرابعة): يُشكل الفرات حدًّا لها من الجانب الأيسر، كما ذُكر، وتُسمى: إقليم الرها (Meri)، وعلى يمينها تقع كوماجنة (Comagene)(٧).

ويذكر (هنري إ. ماك) أن هذا الوصف المضلل عند (بلينيوس) يَتْضِح في كتابه لاحقًا، حيث يُكشَف بأن هذه العربيات ما هي إلا عربيتان فقط وهما (العربية الكبرى) و(العربية السعيدة)، "الكبرى":تشمل الأجزاء الشمالية والغربية من جزيرة العرب، والأجزاء الجنوبية والشرقية، وتشكل مدينة الكرخة الحد الفاصل بين هذه الأجزاء، أما "السعيدة": فتقع ما بين تيلوس – البحرين الآن

(1) Strabo, the geography, 7/235-237.

(٢) (بلينيوس الأكبر) ٢٣-٧٩م: عالم روماني تخصص في علم النبات، كان ذا اطلاع ومعرفة واسعة، مما أكسبه احترام نقاده، ترك كتابًا قيّمًا في التاريخ الطبيعي في سبعة وثلاثين جزءًا، تحدث فيه عن طبيعة الكون والجغرافيا والأجناس والنبات والفنون والأدوية وغيرها. انظر: الموسوعة العربية الميسرة، "بليني الأكبر"، ٢/٧٧١.

(٣) هنري إ. ماك آدم، إستراأبون، ص٧-١٠.

(3) Pliny's, Natural History, Castle Street, Wernerian Club, 1847, 2/65.

(5) Pliny's, History, 2/65.

(6) Pliny's, History, 2/69.

(٧) Pliny's, History, 2/76 ؛ (كوماجنة): منطقة تمتد في سفح جبل طوروس ما بين قيليقيا والفرات، انظر: هنري سعيد عبودي، معجم الحضارات، ص٧٢٨.

– الواقعة على الساحل الشمالي الشرقي إلى أن تصل لأراضي العقبة على الساحل الشمالي الغربي، وعلى ما يبدو أن هناك خطًا وهميًا عند بلينيوس يمتد بين الكرخة والعقبة يفصل ما بين العربيتين(١).

٤– العصر الامبراطوري الروماني المتأخر:

أما في أواخر العصر الروماني المتأخر بأواسط القرن الخامس قبل الميلاد، فكانت الامبراطورية الرومانية قد شُغلت بصراعاتها مع الفرس والبربر؛ لذا انحصر اهتمام كتَّابها على مملكتي (الحيرة والغساسنة) اللتين شاركتا في هذه الحروب المحتدمة كحلفاء تابعين؛ إضافة لكونهما مملكتين تقبلتا الدين المسيحي كدين لها، ومن كُتَّاب هذه الفترة بروكوبيوس (٢)(Procopius)، والذي تحدث عن عربية واحدة وهي (مملكة تدمر) التي ذكر أنها سُمِّيت (بالعربية) بعد أن جلس ملكها على العرش، حيث تمتد أراضيها ابتداءً من سواحل البحر الأحمر الغربية الشمالية إلى حدود غزة، كما تحدث عن البحر الأحمر وقال: إن الجزء الشمالي المحاذي بتدمُر يُدعى (الخليج العربي) ومنه أخذ تسميتها، أما الجزء الجنوبي المحاذي للحبشة واليمن فيسمى بـ(البحر الأحمر)؛ إضافة لمملكتي الغساسنة والحيرة التي ورد ذكرها مفرَّقًا في كتابه(٣).

مظاهر السطح:

من أهم مظاهر السطح التي ميزت جزيرة العرب التالي(٤):

---

(١) هنري إ. ماك، إسترأبون، ص٨–١٠؛ كذلك: Pliny's, History, 2/147.

(٢) (بروكوبيوس): مؤرخ ولد في فلسطين نهاية القرن الخامس الميلادي، وتوفي في القسطنطينية حوالي عام ٥٦٢م، كان مستشارًا للقائد الروماني (بليساريوس) وصحبه في جميع حملاته، ألف كتابه: "كتاب الحروب" ما بين عام ٥٤٥–٥٥٤م، والذي تميز بصحة الوقائع والدقة في السرد وعدم التحيز، هنري سعيد عبودي، معجم الحضارات، ص٢٢٤.

(3) Procopius, History of the wars, English translation: H. B. Dewing, the loeb classical library, 1/183.

(٤) انظر: (خريطة رقم ٤).

أولاً: الصحاري.

غالبية أرض جزيرة العرب تُغطيها الصحاري بسبب العوامل الجيولوجية والمناخية التي اعترت المنطقة في مُختلف الأزمنة، ومن أمثلتها:

١- صحراء النفوذ: وهي عبارة عن عروق عميقة من الحصى والرمل الأبيض والأحمر تشكَّلت بسبب التعرية الجوية لِتُكوِّن في النهاية كُثبانًا رمليةً عاليةً، وتُغطي أراضيها أغلب شمال جزيرة العرب، وقد كانت تُسمى قديمًا ببادية السماوة، والدهناء، ورملة عالج، وتمتد ١٨٠ ميل من الشرق للغرب، و١٤٠ ميل من الشمال (١).

٢- صحراء الدهناء: أرض حَصَوية صلدة تُغطيها أحزمة رملية مختلفة الأحجام بشكل مُتقطع، وتُعرف بالأرض الحمراء؛ بسبب رِمَالها الحمراء، وتمتد من نَجْد إلى حضر موت ومُهرة في أرض اليمن، كما تمتد إلى الغرب من حدود عمان، كما يُعرف جُزؤها الأول الغربي بالأحقاف والتي تميزت بكُثبانها الرملية دقيقة النعومة، ويرمز للدهناء عادة في الخارطة (بالربع الخالي): والذي كان قديمًا بصَيْهد، ووبار، ورمال الحُوْش، وتُغطي صحراء الدهناء حوالي ٣٠٠,٠٠٠ ميل مُربع من أرض الجزيرة العربية(٢)، وقد عُرفت الدهناء قديمًا بعدة مسميات، منها: منعج، ووادي الحاجر، والرمة، وقراقر، وحائل وسوى، ويعود اختلاف مُسمياتها للقبائل التي تُعطي الدهناء اسمًا مُختلفاً تبعًا لمكان إقامتهم فيها(٣).

---

(١) محمد عبد المنعم، آثار ما قبل التاريخ وفجره في المملكة العربية السعودية، ترجمة: عبد الرحيم محمد خبير، ط١، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، ١٤١٦م، ص٣٦؛ البكري (أبو عبيد بن عبد العزيز بن محمد)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ، ٩١٣/٣؛ كذلك:
Philip k. Hitti, History of the Arabs, (3rd ED), Macmillan and Co, Limited, London, 1946, P15.

(٢) محمد عبد المنعم، آثار ما قبل التاريخ، ص٣٤-٣٦؛ محمد العبودي، "الربع الخالي ماذا كان يُسمى قديمًا"، مجلة العرب، ع ٥-٦، ذو القعدة وذو الحجة، ١٤٠٠هـ، ص٤٣٧؛ كذلك: Philip K. H, History, P15.

(٣) الحموي (ياقوت بن عبد الله)، معجم البلدان، ط٢، بيروت، دار صادر، ١٩٩٥م، ٤٩٣/٢.

ثانيًا: الجبال.

تتواجد المرتفعات الجبلية في جزيرة العرب بالأجزاء الغربية والجنوبية منها، وكذلك في أجزائها الجنوبية الشرقية، غير أن أطول سلاسلها الجبلية تتواجد في جُزئها الغربي، ومن أشهرها:

١- جبال شمر: والتي تقع إلى شمال النفوذ الكبير وإلى جنوب وادي الرمة، وبين واحة تِيماء غربًا والغوطة والدهناء شرقًا، وتتكون من جبلي أجا وسلمى، ويقع جبل أجا إلى الشمال من جبل سلمى ويبلغ أقصى ارتفاع له عن سطح البحر حوالي خمسة آلاف وخمسمئة قدم، أما جبل سلمى فأقل ارتفاع وأصغر حجمًا منه، وكلاهما متشابهان في الشكل والتكوين، كما عُرفت قديمًا أيضًا بجبلي طيّء نسبة لقبيلة طيّء التي سكنتها((١)).

٢- الجبل الأخضر: وهي سلسلة جبلية تقع إلى الجنوب الشرقي لشبه جزيرة العرب في عمان عند مدينة نزوى والتي تعتبر قاعدة له، وتلتف بشكل مُنحني في موازاة المحيط الهندي، ويبلغ أقصى ارتفاع قمته حوالي عشرة آلاف قدمٍ من مستوى سطح البحر(٢).

ثالثًا: الهضاب والسهول.

الهضاب غالبًا ما تكون متعاقبة مع الصحاري في جزيرة العرب، أما السهول فتقع قريبًا من سواحل جزيرة العرب وتختلف في سعتها وتكوينها، غير أنها غالبًا ما تكونت من رواسب فُتات الصخور والرمال، كما تعلوها أحيانًا حجارة الحَرَّات السوداء(٣)، ومن أشهرها:

١- سهل تِهامة: يمتد هذا السهل على طول ساحل البحر الأحمر، وينقسم حسبًا لتكوينه لقسمين: (تِهامة عسير) الذي يحوي سطحه أنواعًا مُختلفة من الرمال، منها الحجر الرملي، ويكسو سطحه الرواسب الوحلية والصلصالية البحرية الحمراء والتي تنثرها الأودية المتفرعة

(١) فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ٢٠٠٢م، ص١٢-١٤؛ كذلك:
Philip K. H: History, P15.

(٢) محمد عبد المنعم، آثار ما قبل التاريخ، ص٣٨؛ عاتق الحربي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ط١، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ، ص٢١٦.

(٣) فؤاد حمزة، قلب الجزيرة، ص٤٢.

عنه، أما جُزؤها الثاني فـ(تِهامة الحجاز) حيث يتكون من رواسب وشِعاب مَرجانية قديمة تُغطي صُخورها القديمة أيضًا والأراضي التي بالقرب منها(١).

٢- سهل الصوان: يقع بين النفوذ الشمالي ووادي السرحان، وهو سهل مترامي الأطراف(٢).

أما الهضاب، فمن أشهرها:

١- هضبة نَجْد: وتقع إلى الشرق من عسير، وهي هضبة صخرية بشكل رئيسي ذات رمال صغيرة مبعثرة(٣).

٢- هضبة حضرموت: وهي هضبة عالية مُتقطعة، تقع إلى الحافة الجنوبية من الربع الخالي وجنوبي الدرع العربي، وتميل باتجاه الشمال(٤).

رابعًا: الأنهار والأودية.

حوت جزيرة العرب قديمًا أنهارًا كبيرة كنهر محلم بالبحرين الذي أوردت الروايات أن أحد التبابعة نزل عليه فهاله حجمه(٥).

وقد كشفت الدراسات الحديثة عن وجود ترسبات في بعض أودية الجزيرة العربية؛ والتي عادة ما تتواجد بقيعان الأنهار، حيث تم اكتشاف نهر قديم يبلغ طوله ١٢٠٠ ميل كان يجري بالقرب من وادي بيشة ووادي الدواسر ليصب بالخليج العربي، أما الآن فلا يوجد سوى أنهار صغيرة تتميز

(١) بدر الدين يوسف، "مُناخ المملكة العربية السعودية"، رسائل جغرافية، جامعة الكويت، ع١٥٧، ذو الحجة، ١٤١٣هـ، ص٢٠؛ محمد سعيد البارودي، "جيومورفولوجية الشروم على الساحل الشرقي للبحر الأحمر"، وحدة البحث والترجمة للجمعية الجغرافية الكويتية، جامعة الكويت، ع١٣٣، ١٩٩٠م، ص٨.

(٢) فؤاد حمزة، قلب الجزيرة، ص٤٣.

(3) Helen, Saudi, P25.

(٤) محمد عبد المنعم، آثار ما قبل التاريخ، ص٤٩.

(٥) الهمداني (الحسن بن أحمد بن يعقوب)، صفة جزيرة العرب، (د ط)، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٤م، ص١٦٠.

بقصرها وانحدارها وضحالتها، وأما الأودية الموجودة الآن فهي إما تصب في البحر الأحمر أو الخليج العربي، وتتميز بانحدارها وعُمقها وقصرها بعض الشيء[١]، ومن أشهر الأودية:

١- وادي الحَمْض: يقع بالقرب من اليمامة، ويبدأ من حرّة خيبر شمال المدينة، ويمتد إلى الجنوب الغربي إلى أن يتصل بوادي العقيق قريبًا من يثرب ثم إلى وادي القرى، ليتجه بعدئذٍ إلى الشمال الغربي وينتهي جنوب مدينة الوجه على البحر الأحمر[٢]،كما عُرف قديمًا إلى جوار اسمه (ذو الصوقعة)[٣].

٢- وادي الرُّمَّة: وصف البكري وادي الرمة بأنه "قاع عظيم بنَجْد" وقال عنه الزمخشري إنه أول حدود نَجْد، ويبتدئ هذا الوادي من شرق حرّة خيبر ويكمل طريقه شرقًا ليَلتقي بعدة أودية أُخرى ويغير اتجاهه لأكثر من مرة إلى أن يخترق صحراء النفوذ ليُلامس الدهناء عند غرب الكويت حيث يُسمى هناك (الباطن)، وينتهي أخيرًا عند شط العرب بالقرب من البصرة[٤].

خامسًا: الحرَّات.

الحرّة مُصطلح عربيّ، أُطلق على الحقول الفسيحة من الصخور البازلتية السوداء التي نشأت نتيجة لتصلب الصهير الخارج من باطن الأرض، ومن مناطق الضُعف القِشري كذلك من فوّهات البراكين، ونتيجة لحرارة الصحراء تكونت الحرّة، والتي اتخذت شكل صخور متناثرة متراكمة فوق بعضها على ظاهر الأرض؛ كل ذلك حسب النشاط البركاني ومدى قُرب وبُعد انبثاق اللابة[٥].

---

(١) جواد علي، المفصل، ١/١٥٧-١٥٨؛ محمد عبد المنعم، آثار ما قبل التاريخ، ص٣٤.

(٢) الحموي، معجم البلدان، ٢/٣٠٥؛ توفيق برو، تاريخ العرب القديم، ط٢، دار الفكر، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٣٢.

(٣) الحموي، معجم البلدان، ٣/٤٣٥.

(٤) البكري، معجم ما استعجم، ٢/٦٧٥؛ الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد)، الجبال والأمكنة والمياه، تحقيق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٣١٩هـ/١٩٩٩م، ١/١٤٨؛ توفيق برو، تاريخ العرب القديم، ص٣٢.

(٥) عبد الله يوسف الغنيم، "البراكين والحرَّات والحمات في التراث العربي"، رسائل جغرافية، العدد ١١٧، جامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، محرم ١٤٠٩هـ/سبتمبر ١٩٨٨م، ص٢١.

وأكثر ما تتواجد بمنطقة الحجاز إلى الشام، حتى قيل إن (الحجاز) إنما سُمي بذلك لكثرة حَرَّاته، وبهذا ساعدت أهلها على الاحتراز من الأعداء والاحتجاز عنهم(١).

وقد أورد الحموي حوالي خمسًا وعشرين حرّة، منها: حرّة رُهَاطْ والتي كانت تُعرف بحرّة بني سُليم وهي أكبر حرَّات الجزيرة العربية، وتمتد بين مكة والمدينة، كذلك حرّة الرَّجْلاء: وهي بين المدينة والشام، وأيضًا حرّة ضَرْغَدَ: بجبلي أجا وسلمى، ومما ينتج أيضًا عن عملية الانصهار البركاني ظاهرة (الحمَّة): وهي العيون الحارّة ذات القدرة الاستشفائية، ومن أمثلتها: حمّة البرقة والثوير الواقعة بوادي السرحان(٢).

سادسًا: الدارات.

عرّف الأصمعيّ الدارة بأنها "ما اتّسع من الأرض وأحاطت به الجبال غَلُظ أو سَهُل" وعدد الدارات عنده ست عشرة دارة(٣).

بينما عَرّفها الحموي بأنها: "كل جوبة بين جبال في حَزَنٍ كان ذلك أو سَهْل"، وقال إن عدد الدارات تزيد عن الستين دارة(٤).

وقد أرجع الأستاذ عبد الله الغنيم هذا الاختلاف في تعريفها إلى تباين أشكال الدارات، وقال مُعرفًا إيَّاها:

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٠٥؛ الهروي (محمد بن أحمد بن الأزهري)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، ٢٤/١١؛ الحموي، معجم البلدان، ٢٤٥/٢.

(٢) الحموي، معجم البلدان، ٣٠٦/٢.

(٣) الأصمعي (عبد الملك بن قريب)، الدارات، شرح: أوغست هفنر، (د ط)، المطبعة الكاثوليكة للأباء اليسوعيين، بيروت، ١٨٩٨م، ص٤.

(٤) الحموي، معجم البلدان، ٤٢٤/٢.

"الدارة أرض منخفضة مستديرة تحيط بها الجبال من ناحية وعروق الرمل من ناحية أُخرى"، ووصف طبيعة تكوينها بأنها أشبه بالأريكة، حيث لها ظهر شديد الانحدار، وذراعان ينحصر بينهما حوض شبه مستوفٍ؛ ويحد هذا الحوض الكثبان الرملية، وتتواجد غالبًا في نطاق الدرع العربي(١).

وقد كان العرب يُحبون اتخاذ الدارات منازلاً لهم؛ لاتصافها بكل صفات العيش المريح لهم ولأَنعامهم، فهي خصبة مُتسعة، كما أنها مرتفعة عن مجاري السيول، كذلك تحيط بها الجبال فيحميهم ذلك من شديد الرياح(٢).

ومن أمثلة الدارات: دارة بُحتر والتي تقع في جبل أجا، كذلك دارة الذئب التي تقع في نَجْد، وأيضًا: دارة رُمْح في اليمامة(٣).

سابعًا: الأبارق.

عرف الهمداني البِرَق فقال: البِرَق جمعها أبارق وهو الرمل الخالص، "والأبرق الواحد ما كان أسفله سهلاً وأوسطه صخرًا وأعلاه سهلاً" وقال إنها سُمِّيت بهذا "لبروق حرَّتها وخلوصها وطولها"(٤)، بينما عرَّفها الحموي بأنها "حجارة ورمل مختلطة"(٥)، فهي بذلك على نوعين:

١- حجارة مختلطة برمل، ومثال ذلك: "أبرق اللّعاعة" ويقع في القُصيّم، وهذا الأبرق مكون من حجر الجرانيت، الذي أَثرت فيه عوامل التعرية والتشقق، فاختلط ما تفتَّت من صخوره مع

(١) عبد الله يوسف الغنيم، أشكال سطح الأرض المتأثرة بالرياح في شبه الجزيرة العربية، (د ط)، جامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٨٠-٩١.

(٢) حمد الجاسر، "دارات العرب"، مجلة العرب، ع٤، أكتوبر، ١٩٦٩م، ص١.

(٣) الحموي، معجم البلدن، ٢/٤٢٥-٤٢٧.

(٤) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ١/١٥٨.

(٥) الحموي، معجم البلدان، ١/٥٩.

الرمال الباقية بواسطة الرياح ليأتي في النهاية التباين الحراري الذي ينشأ عن تعاقب الليل والنهار وَيُكوّن شكله النهائي(١).

٢- جبل مخلوط برمل، ومثال ذلك: "برقة حَلّ الطّير"، وهو عبارة عن رمال رسبت على سفح الجبل المواجه للرياح، وبمرور الوقت علت الرِمال سفح الجبل وأَصبح له لونان لون الجبل نفسه، ولون الرمال الزاحفة عليه(٢).

مُناخ الجزيرة العربية:

يتأثر مُناخ الجزيرة العربية بثلاثة مؤثرات هي:

أ- الموقع:

بما أن جزيرة العرب تقع في مدار السرطان؛ فإن ذلك يؤثر على زاوية سقوط أشعة الشمس والتي تكون متعامدة في هذا المدار؛ مما يجعل السماء صافية من السحب في فصل الصيف فيزيد ذلك من إشعاع الشمس، كذلك يجعل طول الليل والنهار متفاوتًا من مكان لآخر(٣).

ب- الارتفاع عن مستوى سطح البحر:

بالنسبة (للسهول):فسهول البحر الأحمر تتميز بمُناخ شديد الحرارة ورياح راكدة وجافة؛ إضافة لتأثير نسيم البر والبحر، وكذلك سهول الساحل الشرقي فمُناخها جافٌّ وحارٌّ، وكل المناطق القريبة من الساحل تمتاز بلطف هوائها صيفًا لقربها من البحر، وأما (المرتفعات):فالغربية منها تكون جهاته المطلة على البحر أوفر مطرًا من جهاته الشرقية، بينما الأجزاء الوسطى من جزيرة العرب تمتاز بقلة أمطارها لبعدها عن تأثير البحر؛ إضافة لكُبر المدى الحراري لها وانخفاض رطوبتها وبالتالي جفافها،

(١) الغنيم، أشكال سطح الأرض، ص٧٨-٧٩.

(٢) الغنيم، أشكال سطح الأرض، ص٧٨-٧٩.

(٣) بدر الدين يوسف، مُناخ شبه الجزيرة، ص١٠-١٥.

ورغم كل ذلك يتواجد بها أودية كثيرة ذات مخزون مياه داخلي، أما المناطق الصحراوية فتتميز بشدة جفافها وشدة حرارتها(١).

ج- موقعها بالنسبة للمسطحات المائية:

مُناخ الجزيرة العربية بشكل عام يمتاز بالجفاف؛ لوقوعها محجوزة بين قارتي آسيا وإفريقيا، فالبحر الأحمر ينحصر تأثيره على المناطق القريبة منه حيث رفع معْدل الرطوبة وحفظ معْدل الحرارة، أما الخليج العربي فأقل تأثيرًا منه بسبب الرياح والمؤثرات الحركية للمُناخ(٢).

ومن المؤكد أن العرب لم يعرفوا أيًّا من خطوط الطول والعرض ولا تأثيرها، غير أنهم كوَّنوا معرفة بالفصول وتحولاتها، وجعلوا لأنفسهم علامات تدلهم على أحوال الطقس، كانوا بها في غِنىً عن أي معرفة أخرى؛ هذه المعرفة ممثلة بـ(منازل القمر): وهي ثمانٍ وعشرون منزلةً، يتخذ القمر كل ليلة منزلةً، ويستتر في ليلة الثامن والعشرين من آخر الشهر أما إذا أكمل الثلاثين استتر في ليلة التاسع والعشرين، وهي التي ذُكرت في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ ﴾(٣)، وهذه المنازل لديها (أنواء)، والنَّوء: هو سقوط النجم في وقته المعهود من المغرب، وطلوع آخر قَبل انقضاء تلك الليلة(٤)، ولكل نجم ثلاث عشرة منزلةً يظهر فيها بلياليها، باستثناء "الهقعة" و "الجبهة"(٥)، وهي كالتالي:

(١) بدر الدين يوسف، مُناخ شبه الجزيرة، ص١٧-٢٧.

(٢) بدر الدين يوسف، مُناخ شبه الجزيرة، ص٢٧-٢٩؛ انظر: Philip. K. H, History, P17, 18.

(٣) سورة يس، آية ٣٩.

(٤) الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة)، الأنواء في مواسم العرب، (د ط)، (د ن)، (د ت)، ص٦، ١٦.

(٥) مجهول، "رسالة في منازل القمر"، مخطوط رقم ١٥٢٩، نسخة مصورة من النسخة الأصل، خط نسخ عادي، جامعة الملك سعود، الرياض، ورقة رقم ١.

"الشرطين، البطين، الثريا، الدبران، الهقعة، الهنعة، الذراع، النثرة، الطرف، الجبهة، الزبرة، الصرفة، العواء، السماك الأعزل، الغفر، الزباني، الإكليل، القلب، الشولة، النعايم، البلدة، سعد الذابح، سعد بلع، سعد السعود، سعد الأخبية، الفرغ الأول، الفرغ الثاني وآخرها الرشا"(١).

أما بروجها الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ ﴾(٢)، فهي معروفة عند العرب وعند بقية الأمم مع اختلاف اللفظ، فالعرب تسميها:

"الحمَل أو (الكبش عند آخرين)، الثور، الجوزاء (التوأمان)، السرطان، الأسد، العذراء (السنبلة)، الميزان، العقرب (الصورة)، القوس (الرامي)، الجدي، الدلو، الحوت (السمكة، أو الرشا)"(٣).

ومذهب العرب في هذه الأنواء واسع حيث نسبوا إليها الكثير من أحوال الطقس، وبالغوا في ذلك، حتى أضافوا لها بعض الحوادث الحاسمة في حياتهم من خير وشر(٤).

أقسام الجزيرة العربية عند العرب:

قسَّم العرب جزيرتهم إلى خمسة أقاليم هي كالتالي: (الحجاز، تِهامة، نَجْد، العروض واليمن) حيث ترددت هذه المناطق في أشعارهم، واعتمد عليها المسلمون من بعدهم(٥)، وهي كالتالي:

أولاً: الحجاز.

وهي المنطقة التي تمتد فيها جبال السّراة الواقعة غرب الجزيرة العربية؛ بمحاذاة البحر الأحمر، ابتداءً من اليمن إلى أن تصل لأطراف بادية الشام(٦)، ويتميز سطحها بالارتفاع من جهة تِهامة

(١) المرزوقي (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن)، الأزمنة والأمكنة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ، ص١٣٨.
(٢) سورة البروج، آية ١.
(٣) الدينوري، الأنواء، ص١٢٠؛ انظر (الجدول رقم ١).
(٤) المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، ص١٣٢.
(٥) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٤٧، عبد الله يوسف الغنيم، أقاليم الجزيرة العربية بين الكتابات القديمة والدراسات المعاصرة، (د ط)، الجمعية الجغرافية الكويتية، الخالدية، ١٩٨١م، ص٢٧.
(٦) الأصفهاني (الحسن بن عبد الله)، بلاد العرب، تحقيق: حمد الجاسر، وصالح العلي، (د ط)، دار اليمامة، الرياض، (د ت)، ص١٤؛ الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٤٨، ص٦٧.

والانحدار كلما اتجهت لنَجْد[١]، وقد تنبه العرب إلى أن الحجاز سلسة من الجبال؛ إلا أنهم خصوا في الغالب لفظ (السّراة) بالمناطق الممتدة من الطائف إلى اليمن، وهي على ثلاثة أقسام: سراة ثقيف، وتليها، سراة فهم وعدوان، ثم سراة الأزد[٢]، وفي كل هذه منطقة من هذه السروات تأخذ اسم القبائل والبطون المقيمة عليها؛ لذا أورد الهمداني في كتابه ما يقارب خمس عشرة (سراة) مُضافة لأسماء القبائل[٣]، وأما عن تقسيم البكري الحجاز " لحجازين": الحجاز الأسود، وحجاز المدينة، فيعود –كما ذكر الغنيم–إلى الرغبة في التفرُّقة بين السّراة الجنوبية والسّراة الشمالية، والتي لكل منها خصائصها وتكوينها ومُناخها المنفرد[٤].

ثانيًا: نَجْد.

وليس لإقليم نَجْد حدود واضحة[٥]، فمثلاً نَجد الهمداني يقول: إنه يقع إلى شرق جبال السّراة، فكل الصحاري إلى أطراف العراق والسماوة تدخل فيه[٦]،أما الاصطخري فيقول: " ما كان من حدّ اليمامة إلى قرب المدينة راجعًا على بادية البصرة حتّى تمتدّ على البحرين إلى البحر فمن نَجْد"[٧]، ومنطقة نَجْد بشكل عام تُطلق على الهضبة الوسطى في شبه جزيرة العرب، وكنتيجة للتكوين الطبيعي لهذه الهضبة التي ترتفع عند مبدئها غربًا إلى أن تنحدر شرقًا باتجاه منطقة

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٤٨.

(٢) الزمخشري، الجبال والأمكنة، ص١٦٨؛ عبد الله يوسف الغنيم، أقاليم الجزيرة العربية، ص٣٦.

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٦٧، ٧١.

(٤) انظر: البكري، معجم ما استعجم، ١٣/١؛ عبد الله يوسف الغنيم، أقاليم الجزيرة العربية، ص٣.

(٥) عبد الله يوسف الغنيم، أقاليم الجزيرة العربية، ص٤٧.

(٦) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٤٨.

(٧) الاصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي)، المسالك والممالك، (د ط)، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م، ص١٤.

العروض، فقد قُسمت لقسمين: (نَجْد العالية) وتحوي المناطق التي تلي المدينة وقُراها إلى تِهامة، ونَجْد (السافلة) والتي تحوي الأراضي القريبة من تِهامة[١]

ثالثًا: تِهامة.

وقد سَمى العرب تِهامة بهذا الاسم لشدة حرِّها، فـ (التَّهم): هو شدة الحَرِّ وركود الريح[٢]، كما تُعرف أيضًا (بالغور) وتشمل كل الأراضي التي حجزتها السّراة إلى جهة البحر الأحمر، وتبدأ من اليمن وتنتهي إلى عِرق[٣] والجحفة بالمدينة المنورة[٤].

رابعًا: العروض.

سُميت العروض بهذا الاسم لاعتراضها طوليًا على ساحل بحر العرب فيما بين العراق واليمن[٥]، وتضم: اليمامة والبحرين وما والاها[٦].

وقد سميت (اليمامة) بهذا الاسم نسبةً إلى اليمامة بنت سهم بن طَسَم-المعروفة بزرقاء اليمامة-[٧]، كما عُرفت عند العرب أيضًا باسم " جو" و (الخِضرِمة)[٨].

(١) الحموي، معجم البلدان، ٤/٧١؛ لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور، ص١٠٣.

(٢) الحموي، معجم البلدان،٢/٦٣، ٦٤.

(٣) (عرق): جبل بطريق مكة، ويضاف إليه المنطقة القريبة منه المعروفة (بذات عرق). انظر: الحموي، معجم البلدان، ٤/١٠٧، ١٠٨.

(٤) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٤٨؛ البكري، معجم ما استعجم، ١/١٠

(٥) الحموي، معجم البلدان، ٤/١١٢.

(٦) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٤٨، ٥٠.

(٧) الحموي، معجم البلدان، ٥/٤٤١.

(٨) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص١٦١.

أما (البحرين) قديمًا فتختلف عن المنطقة المعروفة الآن، حيث عُرفت (بالمشـقر)، وكانت تشـمل عدة مناطق، هي: هجر، والقطيف، والعقير، وإلاحسـاء؛ إضـافة للقرى التابعة لها[١]، وقد سميت (بالبحرين) نسبت لنهرين قديمين كانا يجريان بها هما نهر (محلم)، وعين (الجريب)[٢].

خامسًا: اليمن.

قيل إنها سُمِّيت بذلك لأن قبائل معْد (تيامنت بها) –أي اتخذتها يمينًا–عند تفرقهم وتوزعهم في أرجاء الجزيرة[٣]، وقيل لأنها عن يمين الكعبة[٤]، كما عُرفت باليمن الخضـراء " لكثرة أشـجارها وثمارها وزروعها"[٥]، وقد اختلف في حدودها أيضًـا، فنَجد الهمداني يقول عنها: إنها تبدأ "من حدود عمان ويبرين إلى حد ما بين اليمن واليمامة فإلى حدود الهجيرة[٦] وتثليت وأنهار جرش[٧] وكتنة[٨]، منحدرًا في السّراة على شعف–أعلى–جبل عنز، إلى تِهامة على أم جحدم[٩]، إلى البحر حذاء جبل يقال له كدمُّل، بالقرب من حمضـة"[١٠]، أما (البكري) فجعل حدَّها من الشـرق: رمل

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص١٦٨.

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص١٣٨، ١٧٨.

(٣) ابن شمائل (عبد المؤمن بن عبد الحق القطيعي البغدادي)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ، ١٤٨٣/٣.

(٤) الحموي، معجم البلدان، ٤٤٧/٥.

(٥) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٥١.

(٦) (الهجيرة)، قرية باليمن بناحية صنعاء. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص١١٦.

(٧) (جرش): مدينة عظيمة باليمن. الحموي، معجم البلدان، ١٢٦/٢.

(٨) (كتنة): منطقة من مناطق مكة النجدية، وهي أول حدود الحجاز. البكري، معجم ما استعجم، ١١١٥/٤؛ الهمداني، صفة جزيرة العرب، ١٨٦.

(٩) (أم جحدم): قرية من حدود اليمن. الحموي، معجم البلدان، ١١١/٢.

(١٠) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٥١؛ عبد الله الغنيم، أقاليم الجزيرة العربية، ص٣٧، ٣٨؛ (حمضة): قرية من قرى اليمن. الحموي، معجم البلدان، ٣٠٥/٢.

يبرين، إلى أن يدخل ببحر حضـــرموت، وحدّها الغربي:بحر جدّة إلى عدن أبين، ثم حدّها الثالث يمتد إلى طلحة الملك إلى شرون،ثم يأتي حدّها الرابع وهو الجوف ومأرِب[١].

(١) البكري، معجم ما استعجم، ١٦/١.

المبحث الثاني

مفهــوم العصــر الجاهلــي

أسـهب الكثير من الباحثين في الحديث عن الجاهلية من حيث عاداتهم، أخلاقهم وديانتهم بل حتى ملامحهم وأُصولهم وغير ذلك مما يتعلق بحياتهم، غير أن التطرق لمفهوم العصر الجاهلي كان له دومًا المساحة الأضيق في الحديث مع وجود الخلاف حول ذلك، وفي هذا المبحث سيتم التقُّصيّ والبحث عن ذلك المفهوم للحصول على رؤية سليمة عن هذا المقصِد.

المفهوم اللُّغوي:

يُعاد لفظ (الجاهلية) إلى أصلين لغويين:

أولاً: الجهل الذي هو ضد العِلم.

تقول العرب: جهل فلان حقه، وجهل بهذا الأمر، و (الجهالة): أن تفعل شـــيئًا بغير علم، وجهل حقيقة الشـــيء: أي لم يَعلم به، ويقال (أرض مَجْهَل): بمعنى لا تحوي معالم أو جبال يُهتدى فيها بها[١].

ثانيًا: الجهل بمعنى الخِفَّة وخلاف الطمأنينة.

ومنه القول: استخفَّ بك واستفزَّك، و(المجهلة): الأمر الذي يَحمل على الجهل، وكذلك منه القول: "جهِل الشخص" بمعنى: جفا وتسافه وحَمُق وأظهر الطيش[٢].

فأما الأصل الأول "ضد العلم": فمن الصعب الأخذ به كمقصِد للعصر الجاهلي؛ لأنه من غير المناسب أن تُوصم أمة كاملة بـ(الجهل) لعدم تعلمهم، ومما يدلل على ذلك: فترة الاضمحلال الأخلاقي والديني والعلمي في عصـــور أوروبا الوســـطى، حيث كان مســـمى (العصـــور المظلمة)

(١) الهروي، تهذيب اللغة، ٣٧/٦؛ ابن فارس (أحمد بن فارس بن زكريا القزويني)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (د ط)، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ٤٨٩/١.

(٢) الهروي، تهذيب اللغة، ٣٧/٦-٣٨؛ ابن فارس، مقاييس اللغة، ٤٨٩/١؛ أحمد مختار عبد الحميد وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ٤١٣/١.

(Dark edge) خير تعبير وُصِفت به؛ إذ أنه لم يكن بالمقدور تجاهل التدهور والانحطاط في أمورهم الأخرى.

إضافةً إلى أنه ليس بالإمكان الجزم بأن العرب جهلوا القراءة والكتابة، حيث استخدموها في مُكاتباتهم، وعقودهم التجارية ومعاملاتهم الحسابية[١]، فالجاهلية (كَسِمة لعصر) تعود للأصل الثاني: وهو الخِفَّة والسَّفه، فهي بذلك مرتبطة (بأفعالهم وحالهم)[٢] لكونها: غير مبررة، وضالة، وبعيدة عن العدل، وهذا الأمر أثبته القرآن الكريم والسنة في أكثر من موضع، قال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[٣].

وقوله صلى الله عليه وسلم: " ... يا أباذَرٍّ أعيَّرتهُ بِأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية"[٤]، عندما فعل (أبا ذر) – رضي الله عنه–أحد الظواهر الاجتماعية المعروفة قبل البعثة النبوية وهي: العصبية القبيلة، والتفاخر بالأحساب والأنساب.

كما جاء الشِّعر الجاهلي بالكثير من تلك الشواهد، كقول عمرو بن كلثوم[٥]:

ألا لا يَجهَلَنَّ أحدٌ علينا فنجهل فوقَ جهلِ الجاهلينا

بأي مشيئة عمرو بن هندٍ تُطيعُ بنا الوُشاةَ وتزدَرينا؟

---

(١) ابن فارس (أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا)، الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامه، علق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص١٧.

(٢) الألوسي، بلوغ الأرب، ١٥/١.

(٣) سورة الأعراف، آية ١٩٩.

(٤) البخاري (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله)، الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ، ١٥/١.

(٥) عمرو بن كلثوم (أبو عباد عمرو بن كلثوم بن مالك)، ديوان عمرو بن كلثوم، جمعه وحققه وشرحه: اميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص٧٨.

ومن الجدير بالذكر أن لفظة (العصر الجاهلي) عُرفت عند أغلبية الأمم القديمة سواء المؤمنة بدين سماوي أو العقائد البشرية مع اختلاف التسمية، (فالنصارى مثلاً) أطلقوا عليها مُسمى: (أيام الجاهلية أو زمن الجاهلية) (The Time of ignorance)[١].

وبشكل أو بآخر ارتبطت الجاهلية (بالدين)، ويعود السبب –غالبًا– لقدرته المطلقة في التأثير على الناس؛ فمن خلال الشعائر الدينية استطاعت الدول أن تضْبُط رعاياها، وقد وجد ذلك في كل حضارات العالم القديم، فالفراعنة: ربطوا أنفسهم وأسماءهم بالآلهة، ومن قبلهم اليونان، وكذلك الآشوريين والبابليين، وأيضًا حكام بلاد العرب الجنوبية في عصر المكارب عندما تسمى حُكامهم (بالمكاربة)، فكل تشريع تصدره الدولة إنما هو أمر إلهي أولاً[٢]، وعلى كُل سَير الناس بهذه التشريعات أمور حياتهم، ولم تتزعزع هذه الصورة إلا عندما يعم الفساد والظلم، فتضطرب الموازين وتسيطر الخُرافات على عقول الناس، وهذا الأمر يتم غالبًا بصفة تدريجية.

المفهوم الاصطلاحي (للعصر الجاهلي):

تُعرِّف المصادر الشرعية الإسلامية العصر الجاهلي: بأنه الحالة التي كان عليها العرب قبل البعثة النبوية[٣] لما رأوه من استحكامٍ وتفشٍّ للجهل في تصرفاتهم وحياتهم؛ وذلك لعدم وجود

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية، "الجاهلية"، تحرير: خورشيد وآخرون، ط١، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص٢٦١٤.

(٢) محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم، ط٢، دار المعرفة الجامعية، (د ت)، ص٢٣٩؛ عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق، (د ط)، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠١٢م، ٣٨٤/١، ٦٢٢.

(٣) النووي (أبو زكريا محيي الدين بن شرف)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ، ١٣٩/١؛ ابن تيمية (تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم)، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، ط٧، دار عالم الكتب، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ٤٤٩/١؛ الحنفي (أبو محمد بن أحمد بن موسى بن أحمد)، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، (د ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ت)، ٥١/١.

ضابط يُسيِّرهم، وأضاف البعض معللاً هذه الحالة: (لجهلهم أيضًا بالله ورسوله ودينه)[١]، والتي انتهت بظهور الإسلام.

ومما سبق يُلاحَظ أن التعريف جعل العصر الجاهلي عند العرب قاصرا على الفترة القريبة من ظهور الدعوة الإسلامية[٢]؛ ولهذا تذهب بعض الروايات: بأن الجاهلية (نَعْت) ظهر وتخصص في الإسلام لِيصف العصر الذي سبقه وهو ما يمكن استنباطه من الأحاديث التي أوردت الكثير عن استفتاء الصحابة –رضوان الله عليهم–للرسول صلى الله عليه وسلم–عن أحكام تلك الفترة[٣].

ولم يقع بين يدي الباحِثة ما يثبت أن القرآن هو أول من ذكر هذا اللفظ سوى روايةٍ واحدةٍ أوردها "ابن أبي حاتم" في تفسيره حين قال: بأن الجاهلية كانت تسمى سابقًا: (بالعالمية) حتى جاءت امرأة تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمور حصلت قبل إسلامها فأنزل الله ذكر الجاهلية[٤]، ولم تجد الباحِثة أي رواية تدعم هذه الرواية.

وعلى كُلٍّ فإن معظم المصادر الإسلامية تذهب إلى أن المقصود بالعصر الجاهلي هو الخفة والسفة، وهو العصر الذي سبق البعثة النبوية دون زيادة فيه أو نقصان، وإنما كانت جهودهم الإضافية تنصبُّ على وضع تحديد زمني لتلك الفترة؛ حيث ذهبوا مذاهب شتى وما زالوا، كان منها التالي:

أولاً: أن الجاهلية جزء من جاهلية (أهل الفترة): وهي الفترة بين الرسولين والتي تكون خالية من أي شريعة ورسول مَبعُوث، فبذلك يَمتد هذا العصر لحوالي خمسمئة عام وهي الفترة ما بين عيسى والنبي محمد عليهما السلام[٥]، وهذا الرأي من الصعب أن نأخذ به لأسباب:

---

(١) ابن الأثير (مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي؛ ومحمود محمد الطناحي، (د ط)، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ٣٢٣/١.

(٢) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، ٢٦٠/١؛ الألوسي، بلوغ الأرب، ١٧/١.

(٣) جواد علي، المفصل، ٤١/١-٤٢.

(٤) ابن أبي حاتم (أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التيمي)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط٣، مكتبة مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ، ١١٥٥/٤.

(٥) للمزيد، انظر: الحنفي، عمدة القارئ، ٢٨٩/١٦؛ الألوسي، بلوغ الأرب،١٥/١.

أولها أنه غير صحيح من ناحية التطبيق، فالفترة بين الرسل قد تكون متتالية، كما هو الحال مع أنبياء الله داوود وسليمان -عليهما السلام-فكلا الفترتين انتشر فيهما الحق والخير بين بني إسرائيل، ولم يكن بينهما أي جاهلية، كما أنه وإن قصُرت الفترة فقط على (ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام) وعلى العرب فقط فلا يصح الأخذ بها:

لأن العرب أنفسهم لم يدينوا جميعًا بدين عيسى عليه السلام حتى نجعل خروجهم عن النصرانية بداية للجاهلية، فقد ظل معظمهم متمسكين بالحنيفية دين آبائهم إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- بالرغم من التحريف الذي حَصل فيها، في حين دخلت النصرانية لبعض قبائل بلاد العرب الشمالية في فترة قريبة من الإسلام(١) ، وبالرغم من تدينها بالنصرانية فإنها لم تُهذب أفعالهم، ويعود ذلك أساسًا إلى أن دُعاة النصرانية اقتصروا على التبشير بها دون العمل على غرس مبادئها الحقة في نفوس المتبعين الجدد(٢)؛ إضافة للصراع الحاصل لتعدد المذاهب النصرانية آنذاك.

أما (اليهودية)، فلم يكن تبشيريًا كالنصرانية، فنتج عن ذلك: انحصاره على طوائف اليهود الموجودة في الحجاز(٣).

(١) محمد محمد بن سويلم أبو شهبة، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، ط٨، دار القلم، دمشق، ١٤٢٧هـ، ٧٩/١.

(٢) استغل المبشرون مواسم العرب ومناسباتهم من حج وأسواق للتبشير بالنصرانية، حيث تميزوا بصبرهم وعدم مبالاتهم بطبيعة الجزيرة العربية، فتوغلوا عميقًا بين الأعراب وخالطوهم وسكنوا مثلهم في الخيام حتى عرفوا (بأساقفة الخيام أو أسقفية أهل الوبر)، ولما كانوا على علم ودراية بكيفية التأثر في نفوس العرب، استخدموا طرقًا شتى لإقناعهم: من طب أو معجزات، فكسبوا بذلك قلوب بعض الناس وساداتهم، للمزيد انظر: محمد إبراهيم الفيومي، تاريخ الفكر الديني الجاهلي، ط٤، دار الفكر العربي، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص٢٣٠-٢٣٢.

(٣) إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود في جزيرة العرب، (د ط)، مطبعة الاعتماد، مصر، ١٣٤٥هـ/١٩٢٧م، ص١١-١٢.

ثانيًا: يجعلها ما بين مولد النبي صلى الله عليه وسلم وبعثته[١]، أي من عام (٥٧٠م إلى ٦١٠م) عندما أصبح عليه الصلاة والسلام يبلغ من العمر أربعين عامًا[٢]، وعلى الأرجح أن الذي قال بهذا الرأي جعله قاصرًا على بعض النوازل –المستحدثات–، كما ذكر ذلك (العسقلاني)[٣]، أما لو أَخذنا هذا القول كفترة تاريخية للعصر الجاهلي، فهي قُصيّرة للغاية ليُطلق عليها هذه الصفة.

ثالثًا: يجعل من نهاية مملكة "حِمْير"[٤] عام ٥٢٥م بداية للعصر الجاهلي؛ حيث تلا سقوطها اشتعال الحروب بين القبائل ككل، وظهرت على حياتهم سمات الحمية والثأر والرغبة بالاستبداد، وهي الفترة التي انطلق فيها الشِّعر الجاهلي ودوَّنوا كل هذه الأحداث في أشعارهم، أما نهاية العصر الجاهلي فيكون ببداية الهجرة النبوية عام (٦٢٢م) لما تبع ذلك من استقرار وأمن عمَّ بين العرب[٥].

وهذا الرأي يجعل العصر الجاهلي قاصرًا على الأحداث السياسية التي عاصرت هذا الحدث، وهو أمر استبعدناه، إذ إن الأحداث السياسية هي جزء ونتيجة مترتبة من جاهليتهم التي ليس من المبالغة القول بأنها امتدت إلى كل جوانب حياتهم.

---

(١) للمزيد انظر: الحنفي، عمدة القارئ، ٢٨٩/١٦؛ الألوسي، بلوغ الأرب، ١٥/١.

(٢) أبو شهبة، السيرة النبوية، ١٧٣/١، ٢٥٩.

(٣) العسقلاني (أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبواب أحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي؛ قام بإخراجه وصحَّحه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب؛ وضع تعليقاته: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (د ط)، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩م، ١٤٩/٧.

(٤) (العصر الحميري): يبدأ هذ العصر من عام ١١٥ق.م، عندما انتقلت عاصمة السبئيين إلى (ريدان)، حيث تميز عهدها بالنزوع إلى الفتوحات، وانتهت بانقراضها على يد ذي نواس عام ٥٢٥م. هنري سعيد عبودي، معجم الحضارات، ص٣٦٧.

(٥) إبراهيم مصطفى، "رأي في تحديد العصر الجاهلي"، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، المجلد ٨، ١٩٥٥م، ص٣٤٣-٣٤٦.

رابعًا: يربط هذا الرأي بين القوى الخارجية المحيطة بجزيرة العرب، وبين مصـــير العرب، حيث أطلق عليها مسمى (الجاهلية المتأخرة)، ويبدأ بظهور الساسانيين على مسرح التاريخ عام ٢٢٦م، وينتهي بظهور الإسلام في القرن السابع للميلاد(١).

وهذا الرأي شابه الرأي الثالث في حصره العصر الجاهلي بالأحداث السياسية.

خامسًا: يقصر العصر الجاهلي على المئة والخمسين عامًا قبل البعثة النبوية، وهي الفترة التي ظهر فيها الشِّعر الجاهلي، واللغة العربية، وتكامل فيه نشوء الخط العربي وتشكله تشكلًا تامًّا، وقد قال بهذا الرأي الباحثون في الأدب الجاهلي الذين لا يتوسعون في هذا العصر إلى أبعد من قرن ونصـــف القرن من البعثة النبوية، وهذا الرأي يرتبط بما ذكره الجاحظ في قوله: "أما الشِّعر فحديث الميلاد، صغير السنِّ، أول من نهج سبيله، وسهّـل الطريق إليه: امرؤ القيس بن حجر، ومهلهل بن ربيعة... فإذا اســتظهرنا الشِّـــعر، وجدنا له- إلى أن جاء الله بالإسلام- خمسين ومئة عامٍ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمئتي عام"(٢).

وتتبع (الباحِثة) هذا الرأي، حيث إنها الفترة التي يمكن الاطمئنان إليها كفترة زمنية (للعصر الجاهلي) حيث تمَّ فيه توثيق تاريخهم وأفعالهم وأيامهم بواسطة أشعارهم.

(١) للمزيد انظر: كمال الصليبي، "الإطار الخارجي لجاهلية العرب"، الندوة العالمية الثانية لدراسات الجزيرة العربية، الجزيرة العربية قبل الإسلام، الكتاب الثاني، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ٣٢٥/٢ وما بعدها.

(٢) الجاحظ (عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي)، الحيوان، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ، ص٥٢-٥٣؛ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ط١٣، دار المعارف، (د ت)، ص٣٨-٣٩.

المبحث الثالث

توزيع القبائل العربية

يكاد يكون هناك اتفاق بين كثير من الروايات التي وردتنا حول العرب وأصلهم، حيث قُسِّم العرب إلى طبقتين:

عرب بائدة، وعرب باقية، فأما (البائدة): فهم الذين كانوا عُربًا صرحاء، ومنهم قبائل عاد وثمود وطَسَم وجُديس، وأما العرب (الباقية): فيسمون أيضًا بالعرب المتعربة والمستعربة، فهم ليسوا أعرابًا خُلُصًا، ويتكونون من بني يعرب بن قحطان، وبني معْد بن عدنان، وفي الحقيقة نجد أن معظم تلك التقسيمات مصدرها أساسًا الكُتَّاب اليهود، وهي مردودة جملة وتفصيلاً[١].

سكن العرب جزيرتهم وانتشروا فيها، فـ(القحطانيون) يرجع نسبهم إلى قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، ومن ابنه "يعُرب" كانت القبائل القحطانية التي انتشرت في الجزيرة كما كان من نسله "التبابعة"[٢]، وكانت مساكنهم الأولى بالجزء الجنوبي من الجزيرة العربية (باليمن)[٣]، أما (العدنانيون) فيرجع نسبهم إلى عدنان بن أد بن أدد ابن الهميسع بن تيمن بن نبت بن إسماعيل بن إبراهيم[٤]، وقد ذُكر أن العرب جميعًا من نسل نِزار بن معْد بن عدنان لذلك يُطلق

(١) عمرو فروخ، العرب في حضارتهم وثقافتهم، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص٤٤؛ محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب، ص١٣٧-١٣٨؛ محمد محمد حسن شراب، الجذور التاريخية للعرب في بلاد الشام، ط١، دار المأمون للتراث ودار قتيبة للنشر، دمشق، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص١٣١-١٣٣.

(٢) ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: لجنة من المحققين، ط١، دار الكتب العلمي، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ٣٢٩؛ ابن خلدون، تاريخه، ٢/٥٣-٥٤.

(٣) أبو شهبة، السيرة النبوية، ١/٤٧.

(٤) المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي)، التنبيه والإشراف، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، (د ط)، دار الصاوي، القاهرة، (د ت)، ص١٥٩.

عليهم: العدنانيون، النزاريون والمعْديون، ويُعرفون أيضًا بعرب الشمال، وكان موطنهم الأصلي مكة[١].

ومن هذين التقسيمين ظهرت ثلاثة تكوينات سياسية برزت تبعًا للموارد الاقتصادية القائمة عليها، والتي وفرتها جغرافية المنطقة القائمة عليها وامتدادها التاريخي، وهي:

١. الممالك الكبيرة التي قامت في قسمها الجنوبي والتي عُرِفت بممالك بلاد العرب الجنوبية[٢].
٢. الإمارات أو الممالك الصغيرة التي ظهرت شمال الجزيرة، والتي عُرفت بممالك بلاد العرب الشمالية[٣].
٣. التكوين القبلي الذي يتواجد في مناطق البادية[٤].

كما شهدت الجزيرة العربية حركات هجرة، وتنقلات مختلفة بين أجزائها وبالأخصّ تلك الهجرات التي نقلتها لنا المصادر التاريخية من الجنوب إلى الشمال، والتي قامت بها القبائل التي تعارف إطلاق لفظ (القحطانيون) عليهم، وذلك نتيجة للاضطرابات السياسية، أو الكوارث الطبيعية كتحطم سد مأرِب الذي يجعل منه الباحثون أحد أهم الأسباب التي دفعت القبائل اليمنية إلى

(١) توفيق برو، تاريخ العرب القديم، ص٥٧؛ أبو شهبة، السيرة النبوية، ١/٤٧؛ وقد قسم العرب طبقات أنسابهم إلى ستة أقسام: (الشعب): وهو النسب الأبعد كعدنان، (القبيلة): ما انقسم فيه الشعب كربيعة، (العمارة): ما انقسم فيه أنساب القبيلة كقريش، (البطن): ما انقسم فيه أنساب العمارة كبني عبد مناف، (الفخذ): ما انقسم فيه أنساب البطن كبني هاشم، (الفصيلة): ما انقسم فيه أنساب الفخذ كبني العباس، أما النويري فقد جعلها عشرة وهي كالتالي – ابتداء بالأكبر إلى الأصغر–: (الجذم) أصل النسب، الجماهير، القبيلة، العمائر، البطون، الأفخاذ، العشائر، الفصائل وآخرها الرهط: وهم أسرة الرجل. النويري (أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ، ٢/٢٧٧، ٢٨٣-٢٨٥؛ القلشقندي (أحمد بن علي بن أحمد الفزاري)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (د ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١/٣٦٠.

(٢) لطفي عبد الوهاب، "الوضع السياسي في شبه الجزيرة العربية حتى القرن الأول الميلادي"، الندوة العالمية الثانية لدراسات الجزيرة العربية، الجزيرة العربية قبل الإسلام، الجزء الثاني، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص٩١.

(٣) لطفي عبد الوهاب، الوضع السياسي، ص٩١.

(٤) لطفي عبد الوهاب، الوضع السياسي، ص٩١.

النزوح من الجنوب نحو الشمال، وتمكنوا من الانتشار في أطراف مُختلفة من شمال الجزيرة العربية، حيث شكَّلوا وحدات قبلية أو ممالك عربية كما في مملكتي: المناذرة والغساسنة(١).

أما بالنسبة للقبائل (العدنانية)، فكانوا –غالبًا– ضحيةً لضيق مساكنهم التي لم تستطيع امتصاص أعدادهم المتزايدة؛ الأمر الذي أوقد التنازع فيما بينهم على الأرض ولقمة العيش، والتي كان المنتصر هو من يحوزها، فيضطر الخاسر للبحث عن متنفس جديد له مع بقية بطونه التي قد تتفرق أيضًا مع الوقت لنفس الأسباب السابقة، فتفرقت بذلك القبائل، وهو أمر كبير بكل تأكيد لتبعاته السيئة عليهم، حتى أنَّهم أرَّخوا بمثل هذه الأحداث، فأرَّخوا (بعام التفرُّق): وهو العام الذي تفرَّقت فيه قبائل عدنان بن نزار في أرجاء الجزيرة، كذلك أرَّخوا (بعام الفساد): وهو عام كثرت فيه الحروب والنزاعات بين أحياء العرب، فاستبدلوا ديارهم وتنقلوا في المساكن وتفرقوا بعد وحدتهم(٢).

ومع الوقت انتشرت التحالفات القبلية القائمة على النصرة والتعاون والمدد؛ فكان كل حِلف للهدف الذي عُقد لأجله، حيث ساعدت تلك الأحلاف على إبراز القوي والضعيف بين القبائل، كما ساعدت على رفع الذليل على العزيز، فنتج عن ذلك: أن تزعزعت أنساب القبيلة الواحدة؛ نتيجة لدخول بعض البطون والأشخاص فيها، مما أشعل نزاعات لاحقة حول نسبة بعض القبائل لأصلها وبالأخصّ القبائل ذات القوة والشهرة(٣).

وقد ساهم الشُّعراء بشكل كبير في إرساء تلك التغييرات التي حدثت؛ وخاصة ضد تلك التي لم يولد فيها شاعرٌ قويٌّ يذود عنهم ويحافظ على كرامتهم ويبرز خصالهم التي يتفاخرون بها فترتفع به صِيت قبيلته(٤)، حيث يتجلى تأثير الشاعر على القبيلة في عدة ظواهر منها:

١- القبائل التي ليس فيها عدد ولم يظهر فيهم من يُثبت وجودهم بين القبائل هم بمثابة من لا يُرجى خيره ولا شره عند الشُّعراء، وضُرِب فيهم المثل بالذلة والقلة. لذلك كانوا ينسلَّون بين

(١) توفيق برو، تاريخ العرب القديم، ص١٢٤، ١٤١.
(٢) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص١٧٣.
(٣) البكري، معجم ما استعجم، ١/٥٣-٥٤.
(٤) انظر: الجاحظ، الحيوان، ١/٢٤١.

القبائل حتى يصبحوا في غِمار المنسيين والمجهولين، وهم مع ذلك قد لا يشعرون إلا وبذكرهم قد عاد على يد شاعر قذفهم وضرب فيهم المثُلات(١).

٢- القبائل التي يتخاصم فيها أخيارهم مع سفائهم حتى يفترقوا فيطلبوا جوارًا بدلًا من إخوانهم وبني عمومتهم؛ لم يَسْلَموا من هجاء الشُّعراء وضُرب الأمثال بهم في التفرُّق وتشتت الصف؛ لأنهم رضوا بالعيش على الذل والهوان تحت جَناح غيرهم على مضضٍ، فلا هُم الذين غلبوا على جِوارهم ولا هُم الذين عادوا لما كانوا عليه؛ حمية واتقاء شرٍّ جديد(٢).

٣- القبائل التي فيها شرف وفضل، لكنها تفتقر للكثرة: فكان مصيرها أن ترضى بالقليل بين إخوتهم وبني عمومتهم من القبائل، كقبيلة ضبة التي رغم قوتهم وشرفهم، اضطروا لتسليم المرباع وتحمّل الدِّيات والبقاء كأتباع في الحرب؛ فقلَّتهم جعلتهم يُؤثِرون الرضا بما سُلم لهم بالرغم من خصالهم الشريفة. فهم لم يرضوا بالهرب ليضيع اسمهم بين القبائل، ولم يرضوا بجوار حليف والعيش بظلم وذل، فكان عليهم تحمل ما يأتيهم من هجاء الشُّعراء(٣).

٤- القبائل التي فيها شرف وفضل كثير جعلها تتقدم على بقية بطونهم، غير أن هجاء الشُّعراء وطعنهم الشديد فيهم، جعل ذكرهم كمدرج الإقدام يتعثر فيه من شاء، فقبيلة باهلة وغني رغم مناقبهم لحقهم الهجاء حتى أصبح الصنفان السابقان أفضل حالا منهم(٤)، كقبيلة هاربة البقعاء من بني ذبيان بن بغيض من غطفان الذين أُبيدوا ولم يبق منهم إلا بقية قليلة دخلوا في بني ثعلبة بن سعد(٥).

ومما سبق نَجِد أن أسباب توزيع القبائل عائدة لثلاثة أسباب(٦):

أولاً: أسباب طبيعية.

---

(١) الجاحظ، الحيوان، ٢٣٨/١، ٢٤٣/١.

(٢) الجاحظ، الحيوان، ٢٣٩/١.

(٣) الجاحظ، الحيوان، ٢٤١.

(٤) الجاحظ، الحيوان، ٢٤٠/١.

(٥) الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٨٢؛ الجاحظ، الحيوان، ٢٤٠/١.

(٦) انظر: (خريطة رقم ٥).

ثانياً: أسباب اجتماعية: كالكثافة السكانية في المنطقة الواحدة.

ثالثاً: أسباب سياسية: كالحروب، وهي الأشهر في تأثيرها على التوزيعات القبلية في الجزيرة العربية، وهنا تحاول الباحِثة إعطاء لمحات عن التوزيعات القبلية في ربوع الجزيرة العربية.

أولاً: القبائل القحطانية.

أ- لَخْم[١]:

يعود نسبهم إلى لخم بن عُدي بن الحارث بن مُرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان[٢]، هاجروا من اليمن بسبب سيل العَرِم، وارتحلوا حتى نزلوا البحرين وعمان وتحالفوا على التنوخ –الإقامة– بها، وبعد فترة من الزمن آثروا الانتقال إلى أراضي العراق حيث استقروا بها وكوَّنوا بها مملكة (الحيرة)[٣].

---

(١) مملكة اللخميين من (٢٦٨-٦٣٢م): بعد أن أقام التنوخيون في البحرين وعمان طمعوا في أرض العراق، لانشغال البارثيين (Parthians) بالحرب الأهلية في آخر عصرها، فهاجروا إليها واستوطنوا المنطقة الواقعة بين الحيرة والأنبار، فأقاموا لفترة آمنين من (البارثيين) الذين انشغلوا بأنفسهم عن غيرهم، وعندما تولى أردشير الأول (Ardasher I) ملك فارس؛ وأحكم قبضته عليها، التفت للجبهات الخارجية المحيطة به، ومنهم العرب الذين هابوه فهاجر الكثير فِرارًا إلى الشام، أما (عمرو بن عدي) الذي تولى الحكم حوالي (٢٦٨-٢٨٨م)، فكان تحت خيارين حاسمين (إما الرحيل أو الطاعة) فاختار التسليم للفرس، فأهدى له أردشير الحيرة ومَلَكه على من معه وعلى غيرهم من العرب، وأمده بالمال والجند وحرص على تقويته ليكون درعًا له في وجه مملكة الروم. كان آخر ملوكهم (المنذر بن النعمان) الملقب بالمغرور، وقد زال ملكهم عام ٦٣٣م عندما استولى خالد بن الوليد على الحيرة في أثناء الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة الراشد أبو بكر الصديق، انظر: حمزة الأصفهاني (حمزة بن الحسن الأصفهاني)، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم السلام، (د ط)، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١م، ص٨٧؛ الحلي (أبو البقاء هبة الله محمد بن نما)، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، تحقيق: محمد عبد القادر خريسات؛ صالح موسى درادكة، ط١، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ١٩٨٤م، ص١٠٣؛ محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب، ص٥٢٠، ٥٣٤.

(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٨٥؛ ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي)، الأنباه على قبائل الرواة، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٩٨؛ القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي)، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط٢، دار الكتاب المصري، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٦٩.

(٣) حمزة الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض، (د ط)، ص٧٤.

ب- غسَّان[١]:

يعود نسبهم إلى جفنة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرؤ القيس بن ثعلبة بن مازن الأزدي[٢]، كانت مساكنهم الأولى في اليمن، غير أنهم خرجوا مرتحلين عنها عند التنبؤ بسيل العَرِم فسكنوا الشام باليرموك والجولان من دمشق، وكانت لهم أيضًا مساكن في الأردن، وفي هذه المناطق كوَّنوا مملكة لهم[٣].

ج- كِنْدة[٤]:

يعود نسبهم إلى ثور بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن كهلان بن سبأ، ويلقب بكندة[٥].

تقع أراضي كِنْدة باليمن مما يلي حضرموت والشحر، وحاضرتهم (دمون) بحضرموت[٦]، غير أن الروايات تذكر وقوع حرب كبيرة بينهم وبين قبائل من حضرموت كادت تفنيهم، فاضطروا

(١) (مملكة الغساسنة): عندما وصل آل غسَّان للشام وجدوا الشام تحت حكم بني سليح من قُضاعه بتوكيل من الروم، يأخذون الجباية لهم عما تحت أيديهم من العرب، فاضطر الغساسنة لدفعها مثلهم في مقابل الإقامة، غير أن هذا انتهى بثورة حَرب انتصر فيها آل غسَّان على بني سليح، وعِندما رأت الروم قوتهم سارعوا بتحالف وتمليك الغساسنة عقب سليح، انظر: ابن حبيب (محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي)، المحبر، تحقيق: إيلزة ليختن شتير، (د ط)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د ت)، ص٣٧٠-٣٧٢؛ اليعقوبي (أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب)، تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الأمير مهنا، ط١، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ٢٥٢/١ وما بعدها.

(٢) الكلبي (أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب)، نسب مَعْد واليمن الكبير، تحقيق: ناجي حسن، ط١، مكتبة النهضة العربية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ٣٦٣/١؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٣٣١.

(٣) البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد)، المسالك والممالك، (د ط)، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م، ٣٦١/١.

(٤) (مملكة كِنْدة): هم من آل حجر، وعرفوا (بكِنْدة الملوك) لأنهم مَلكوا على قبائل من عدنان، وكِنْدة كانت تابعة بالولاء لِحمير، كان آخر ملوكهم امرؤ القيس بن حجر بن الحارث والذي ذهب في سعيه لثأره لأبيه بعيدًا وبموته انتهت مملكتهم. للمزيد، انظر: أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد)، المختصر في أخبار البشر، ط١، المطبعة الحسينية المصرية، (د ت)، ١٠٣/١، ٧٥؛ ابن خلدون، تاريخه، ٣٠٨/٢.

(٥) الكلبي، نسب مَعْد الكبير، ١٣٦/١؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ٤٢٥/١؛ ابن عبد البر، الأنباه، ص١١١؛ القلقشندي، قلائد الجمان، ص٧١.

(٦) ابن سعيد (ابن سعيد الأندلسي)، نشوة الطرب في جاهلية العرب، تحقيق: نصرت عبد الرحمن، (د ط)، مكتبة الأقصى، عمان، (د ت)، ص٢٤٤.

للرحيل إلى أراضي معْد حيث استجمعوا قواهم، وكوَّنوا لهم مُلكًا بها[١]، فكان لهم مساكن في اليمامة ونَجْد بسبب تمليكهم على قبائل من معْد، وقد وصلت سلطتهم إلى شمال الجزيرة (بالحيرة) في فترة من تاريخهم، غير أنهم تفرقوا واقتتلوا بعد فترة من هذا؛ فانخرق ملكهم وضعف وتشتتوا وتمزقوا، إلى أن اضطروا نهاية للعودة إلى حضرموت موطنهم الأول، حيث كانت آخر مساكنهم[٢].

د– قُضاعة:

قبيلة لها اسمها وصِيتُها العريق في جزيرة العرب، أُختلف حول كونها قبيلة من قحطان أم عدنان، فالقائلون إنها من قحطان –هم الأكثر والأصح–[٣]: يُعيدون نسبها إلى قُضاعة بن مالك بن عمرو بن مُرة بن زيد بن مالك بن حِمْير من قحطان[٤]، حيث يُذكر أن قُضاعة تولى مُلك بلاد الشحر بعد والده[٥]، أما القائلون إنها من عدنان: ينسبونهم لقُضاعة ابن معْد بن عدنان[٦]، وقالوا

(١) اليعقوبي، تاريخه، ٢٦٣/١.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص٣٦٨–٣٧٠.

(٣) ابن حزم، جمهرة النسب، ص٨؛ الزركلي (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس)، الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م، ١٩٩/٥.

(٤) الكلبي، نسب مَعْد، ٥٥١/٢؛ المبرد (محمد بن يزيد)، نسب عدنان وقحطان، تحقيق: عبد العزيز الميمنى الراجكوتي، (د ط)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الهند، ١٣٥٤هـ/١٩٣٦م، ص٣٢.

(٥) ابن هشام (عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري)، التيجان في ملوك حمير، تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، ط١، مركز الأبحاث والدراسات اليمنية، اليمن، ١٣٤٧هـ، ص٦٥؛ ابن سعيد، نشوة الطرب، ص١٧٠؛ ابن الوردي (عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن اب الفوارس): تاريخ ابن الوردي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ٨٥/١.

(٦) الزبيري (مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير)، نسب قريش، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط٣، دار المعارف، القاهرة، (د ت)، ص٥؛ ابن عبد البر: الأنباه، ص٣١.

أيضًا: إن مساكنهم الأولى كانت بِتِهامة[١]، وإن قبائل قُضاعة كانوا دائمًا ما ينتسبون إلى عدنان؛ إلى أن حَلَّ زمَنُ خالد بن يزيد بن معاوية، فدخلوا في نسب قُضاعة آنذاك[٢].

وقد ذكر ابن هشام أن سبب هذا اللَّبس في نسبهم يعود إلى زواج أم قُضاعة بمعْد بن عدنان وهي حامل به، فتبنَّى معْد قُضاعة بعد ولادته ونسبه إليه كعادة العرب آنذاك، ومن هنا وقع اللبس[٣].

وبطون قُضاعة كثيرة ومتفرعة، أُشتُهِر منهم:

بنو وبرة بن تغلب، وكلب، وقد شملت أراضيهم: دومة الجندل، تِيماء، وتبوك، وأطراف الشام[٤].

كذلك: القين بن جسر بن شبع اللات. وبنو قدامة، بنو شن: الذين كانت مساكنهم باليمامة[٥].

ومنهم تيم الله بن أسد بن وبرة (إحدى قبائل تنوخ) وكانوا قد وافق خروجهم من تِهامة خروج قبائل الأزد من اليمن، فاجتمعوا جميعًا في البحرين، وتحالفوا هنالك على التنوخ –أي الإقامة–ومنه

(١) ابن هشام (عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا؛ إبراهيم الإبياري، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البأبي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م، ١١/١.

(٢) ابن كثير (إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ط١، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ١٨٩/٢؛ بينما قال جواد علي أنه عندما كثرت الفتن زمن معاوية ضمهم إليه لتقوية حزبه وسلطانه، انظر. جواد علي: المفصل، ١١/٨.

(٣) السهيلي (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد)، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٦١/١؛ الحلي، المناقب المزيدية، ص٣٣٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٩٠/٢.

(٤) ابن عبد ربه (أبو عمر شهاب الدبن أحمد بن محمد بن عبد ربه)، العقد الفريد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ، ٣٢٣/٣؛ ابن سعيد، نشوة الطرب، ص١٧٢.

(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٢٣/٣-٣٢٤.

سُّموا بذلك، ثم وجدوا ضعفًا من الفرس في زمن الطوائف، فساروا إلى العراق وأقاموا بها إلى أن حاربتهم الحيرة، فخرجت قُضاعة إلى الشام وسكنوها حيث أقام بني سليح ملكًا لهم هناك، وهم أبناء: عمرو بن حلوان بن عمران، وكان منهم (الملوك الضجاغمة) الذين حاربهم الغساسنة وسلبوهم ملكهم(١).

ومن قُضاعة: النمر بن وبرة(٢)، بلي بن عمرو بن الحاف(٣)، بنو مهرة بن حيدان،و(نهد) الذين كانت مساكنهم أواسط سروات اليمن، و(بنو جهينة) الذين استوطنوا أطراف الحجاز الشمالية من جهة بحر جدة(٤)، وعذرة بن سعد هذيم، وبنو الحارث بن سعد هذيم(٥).

هـ- مذحج:

اسمه: مالك بن أدد بن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان(٦)، وهي قبيلة كبيرة من قبائل اليمن، ويبدو أن بعض بطونها قد هاجرت موطنها الأصلي –اليمن–وسكنوا بنجران، ومن بطونهم:

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣/٣٢٣-٣٢٤؛ حمزة الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض، ص٧٤؛ ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ١/٣١١-٣١٢، ٣٥١.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣/٣٢٤.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣/٣٢٤-٣٢٥.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣/٣٢٥؛ ابن سعيد، نشوة الطرب، ص١٧٥-١٧٧.

(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣/٣٢٦.

(٦) الكلبي، نسب مَعْد واليمن، ١/٢٦٧؛ المبرد، نسب عدنان وقحطان، ص١٩، ابن عبد البر، الأنباه، ص١٢٠؛ القلقشندي، قلائد الجمان، ص٨٩.

سعد العشيرة بن مالك بن أدد، وله أبناء كثر اشتهر منهم: بنو الحكم، جعف، كذلك أود، وزبيد[١] والذين سكنوا إلى جانب (زبيد) باليمن[٢]، وكان إلى جوارهم أيضًا بنو (مراد)، بنو غطيف[٣].

ومن مذحج: بني عنس، بني صداء، رهاء، وبني جنب، والحارث بن كعب[٤]، وبني حبيب، وبني خولان الذين استوطنوا (صعدة) باليمن[٥].

و- همدان:

اسمه: أوسلة بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان[٦]، وهم من القبائل التي لم تخرج من اليمن وظلت فيها وكانت منازلهم بجهات صعدة[٧]، استطاعت همدان في فترة من تاريخها الإستيلاء على عرش سبأ، حيث كانت تتعبد وقتها للآلهة "تالب ريام" الذي علا ذكره مع شهرت همدان بعد هذه الحادثة، حيث أخذت الناس تعبده الى جوار معبود سبأ " المقة"، غير أن همدان سرعان ما اعتزلت عبادته وتحولت الى "يعوق"، وجعلت من "تالب" بشراً زعموا أنه جدهم[٨].

واشتهر من بطونهم: بنو حاشد، شبام، ناعط، يام، بكيل، بني جشم، وخيوان، ودالان[٩].

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٤٢/٣.

(٢) ابن سعيد، نشوة الطرب، ص٢٤١.

(٣) ابن عبد البر، الأنباه، ص١٢٨؛ ابن سعيد، نشوة الطرب، ص٢٦٥؛ الوردي، تاريخه، ص٨٨.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٤٣/٣؛ ابن عبد البر، الأنباه، ص١٣٠، ص١٢٣.

(٥) ابن سعيد، نشوة الطرب، ص٢٤١؛ الوردي، تاريخه، ص٨٧.

(٦) الكلبي، نسب مَعْد واليمن، ص١٣٣؛ المبرد، نسب عدنان وقحطان، ص٢١؛ القلقشندي، قلائد الجمان، ص٩٩.

(٧) ابن سعيد، نشوة الطرب، ص٢٤٣.

(٨) محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب، ص٢٥٩-٢٦٠.

(٩) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢٤٣/٣؛ ابن خلدون، تاريخه، ٣٠٢/٢.

ز- طيّء:

طيّء قبيلة عُدت من أقوى قبائل العرب، يعود نسبها إلى رجل يدعى جلهمة، ولقبه طيّء- ابن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان(١)، وقد هاجرت طيّء من موطنهم الأصلي (اليمن) بسبب سيل العَرِم فجاوروا بني أسد، غير أن حرب وقعت بينهما، انتهت بصلحٍ، حازت فيه طيّء جبلي أجا وسلمى فاستقرت فيهما، فكان جزء منهم يسكن السهل والبعض الآخر يسكن الجبل(٢)، كما انتشروا في مناطق متفرقة أخرى: كالعراق وبلاد الشام(٣)، ومن بطونهم: بنو جندب، و(الثعالب) وهم: أبناء ثعلبة بن جدعان بن ذهل بن رومان(٤).

ح- الأوس والخَزْرج:

أوس وخزرج ابنا الحارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرؤ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن النبت بن مالك بن زيد بن كهلان(٥)، كانوا في الأصل من اليمن، غير أنهم نزحوا منها، إلى أن وصلوا ليثرب فسكنوها بعد أن حالفوا سكانها الأوائل من يهود بني قُريظة وبني قينقاع وبني النضير وغيرهم(٦)، والذين كان لهم أيضًا مساكن في خيبر وتِيماء ووادي القرى وفدك(٧).

(١) المبرد، نسب قحطان وعدنان، ص١٨؛ ابن حزم، جمهرة، ص٤٧٦؛ الزركلي، الأعلام، ٢٣٤/٣.
(٢) ابن سعيد، نشوة الطرب، ص٢٢٢؛ ابن سعيد، العقد الفريد، ٣٤٧/٣؛ ابن الوردي، تاريخه، ٨٧/١.
(٣) جواد علي، المفصل، ٢١٩/٧.
(٤) ابن سعيد، العقد الفريد، ٣٤٧/٣.
(٥) الكلبي، نسب مَعْد، ٣٦٤/١؛ المبرد، نسب عدنان وقحطان، ص١٨؛ ابن حزم، جمهرة، ٣٣٢/١؛ القلقشندي، قلائد الجمان، ص٩٣.
(٦) للمزيد، انظر: ابن خلدون، تاريخه، ٣٤٣/٢.
(٧) أبو شهبة، السيرة النبوية، ٤٢٠/٢.

ط- خزاعة:

هم أبناء ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرؤ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد[١]، كانوا قد هاجروا من اليمن مع من هاجر بسبب سيل العَرِم، ثم ارتحلوا حتى وصلوا لمكة، وأقاموا فيها حتى ضعفت قبيلة جرهم اليمنية، فتولوا الزعامة فيها[٢]، وقد اشتهر من بطونهم: بنو حبيشة بن سلول، وبنو المصطلق بن سعد بن خزاعة[٣].

ثانيًا: القبائل العدنانية.

تعد قبائل (خندف) الأكبر في نسب عدنان، ويعودون في نسبهم لأخوين هما:

(مدركة) واسمه عامر و(طَابِخَة) واسمه عمرو[٤]، ابنا إلياس بن مُضَر بن نزار[٥]، وقد عاشت القبيلتان هانئةً لفترة بأراضي تِهامة وما جاورها، غير أن منازلهم ضاقت بهم عندما كثروا وقلت سُبل مَعيشتهم، فخرجوا يتتبعون مواطن الكلأ والماء، فتنافسوا على المِحال، الأمر الذي جعل الحرب

(١) الكلبي، نسب مَعْد واليمن، ٤٣٩/٢؛ المبرد، نسب عدنان وقحطان، ص٢٢.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ٩٢/١.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٣٣/٣.

(٤) كان لهما أخ ثالث يدعى (قمعة)، لكن قيل انه غاضب إخوته وارتحل إلى اليمن وعاش بها بعد أن حالف الأزد، كما عرف الثلاثة (بأبناء خندف) نسبت لأمهم، وقد أطلق والدهم عليهم هذه الألقاب في رواية طويلة، أطلق على عامر في نهايتها مسمى (مدركة) لأنه لحق بالإبل، أما عمر لأنه آثر أن يطبخ سماه (طابخة)، وأطلق إلياس على زوجته (خندف) لأنها كانت تخندف -أي تجد في سيرها-. انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٧٥/١-٧٦؛ البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر بن داوود)، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار؛ رياض الزركلي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م، ٣٥/١.

(٥) ابن الزبير، نسب قريش، ص٧؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ٣٢/١؛ ابن حزم، جمهرة، ١٠/١؛ ابن عبد البر، الأنباه، ص٤٩-٥٠؛ القلقشندي، قلائد الجمان، ص١٣٣.

تَضــرُم بينهم، إلى أن انتصــرت قبائل مُدركة على طابخة وأجبرتها على الخروج مُرغمة من تِهامة إلى أراضي نَجْد والحجاز، وقيل: بل بسبب اختلافهم حول دية أحدهم(١).

١- قبائل مدركة بن إلياس:

أ- كِنانة:

وهم أبناء كِنانة بن خزيمة بن مدركة، اشــتهر منهم: بنو النضــر، ملك، ملكان، وعبد مناة(٢)، وبنو الدئل: ومنه بنو رزن(٣)، كما اشتهر من بني النضر (قبيلة قريش)، وهم أبناء: فهر بن مالك بن النضــر بن كِنانة(٤)، والذين انقســموا إلى قســمين بعد أن جمعهم قُصــيّ بن كِلاب(٥): (قريش البطاح): الذين سُمُّوا بذلك لأنهم ســكنوا البِطاح، وهم: بنو عبد مناف، بنو عبد الدار، بنو عبد العُزّى، بنو عبد بن قُصــيّ بن كِلاب، بنو زهرة بن كِلاب، بنو تيم بن مرة، بنو مخزوم بن يقظه بن مرة، بنو سهم، بنو جُمح، بنو عدي بن كعب، بنو حسل بن عامر، بنو هلال بن أهيب بن ضبة، وبنو هلال بن مالك بن ضــبة(٦)، أما (قريش الظواهر) فهم: بنو معيص بن عامر بن لؤي، وتيم الإدرم بن غالب بن فهر، ابنا فهر بن مالك: محارب، والحارث(٧)، وكانت مســاكنهم جميعًا مكة وما حولها(٨).

(١) للمزيد، انظر: الكلبي (أبو المنذر هشام بن محمد السائب)، افتراق ولد مَعْد، تحقيق: أحمد حمد عبيد، ط١، دار الكتب الوطنية هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص٨٩-٩٠؛ البكري، معجم ما استعجم، ٨٧/١.

(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١١.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٨٤.

(٤) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٢.

(٥) للمزيد، انظر: ابن الأثير، الكامل، ٦٢٣/١.

(٦) ابن حبيب، المحبر، ص١٦٨.

(٧) ابن حبيب، المحبر، ص١٦٨.

(٨) ابن خلدون، تاريخه، ٣٨٣/٢.

ب- أسد:

هم أبناء أسد بن خزيمة بن مدركة، اشتهر منهم: بنو كاهل، حلمة، دودان، بنو غاضرة، بنو الصيداء، بنو جحوان، فقعس[١]، وقد سكن بعض قبيلة أسد فيما يلي الكوفة من نَجْد، وكان للآخرين مساكن بالقرب من قبيلة طيّء[٢].

ج- الهون:

أبناء الهون بن خزيمة بن مدركة، اشتهر منهم: عضل، و(القارة)[٣] وهم: عائذة وبيثع[٤].

د- هُذيل:

أبناء هُذيل بن مدركة، اشتهر منهم: بنو لحيان، خذاعة، كاهل، صاهلة، صبح، وكعب[٥]، كانوا قد سكنوا السروات المطلة على تِهامة من الحجاز، وسراتهم متصلة بجبل (غزوان) المتصل بجبل الطائف، كما كان لبعضهم مساكن ما بين مكة والمدينة[٦].

٢- طابخة بن إلياس:

أ- ضبة:

هو بنو ضبة بن أدّ بن طابخة بن إلياس، وكان له من الأبناء ثلاثة: سعد، وسعيد، وباسل، فأما (سعيد) فقُتل ولم ينجب، أما (باسل) فقيل إنه ارتحل وفارق أهله، وأما (سعد) فمن بنيه كان

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢٩٤/٣.

(٢) ابن سعيد، نشوة الطرب، ص٣٨٨.

(٣) سموا (القارة): لأنهم كانوا يسكنون على (القارة) وهي أكمة سوداء فيها حجارة، وقد أراد بعض بني كنانة أن يفرقهم في الأحياء، فقال شاعرهم: دعونا قارة لا تنفرونا ... فنجفل مثل إجفال الظليم، انظر: ابن دُريد (أبو بكر محمد بن الحسن بن دُريد الأزدي)، الاشتقاق، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص١٧٩.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢٩٥/٣؛ ابن سعيد، نشوة الطرب، ص٤٠٦.

(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢٩٢/٣-٢٩٣.

(٦) ابن سعيد، نشوة الطرب، ص٤٠٨.

كل بطون ضبة، والذين أُشتُهِر منهم: بنو ثعلبة، وعبد مناة بن بكر، وبنو عائذة، وبنو ذهل، وبنو كوز، زيد[١]، وقد استوطنوا الناحية الشمالية من تِهامة نَجْد إلى جوار بني تميم[٢].

ب- تميم:

وهو: تميم بن مر بن أد بن طابخة، اشتهر من بطونه: بني الحارث بن تميم، وبنو شقرة، وأسيد، ومازن، والعنبر[٣]، وأسلم، وعوف، وجشم، كذلك (الأجارب)، وهم: بنو ربيعة بن كعب بن سعد، وبنو الأعرج بن كعب بن سعد، كما اشتهر (مقاعس)، وهم: أبناء الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد[٤].

كذلك عُرف منهم بنو دارم، وسدوس، ونهشل، ومجاشع، و(البراجم)، وهم: غالب، وعمرو، وقيس، وكلفة، وظليم، وأيضًا بني يربوع الذين اشتهر من بنيه: رياح، وغدانة، وثعلبة، وسليط، وكليب، والعنبر[٥]، وقد امتدت مساكن (تميم) بنَجْد إلى البصرة واليمامة إلى العذيب في الكوفة[٦].

ج- الرباب:

هم أبناء عبد مناة بن أد بن طابخة: تميم، وعدي، وثور، وعكل، وسُمُّوا بذلك لأنهم اجتمعوا وتحالفوا فكانوا كالربابة، وقيل لأنهم كانوا إذا تحالفوا جمعوا أقداحًا، من كل قبيلة قدح، ثم جعلوها في قطعة أَدم تُسمى (الربة) فسموا بها[٧]، وكانت مساكنهم بالدهناء إلى جوار بني تميم[٨].

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣/٢٩٥-٢٩٦.

(٢) ابن خلدون، تاريخه، ٢/٣٨١.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣/٢٩٧-٢٩٨.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣/٢٩٩-٣٠٠.

(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢/٣٠٠-٣٠٢.

(٦) ابن خلدون، تاريخه، ٢/٣٧٧.

(٧) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣/٢٩٧؛ المبرد، نسب عدنان وقحطان، ص٦.

(٨) ابن خلدون، تاريخه، ٢/٣٨٠.

د- مزينة:

هم بنو عمرو بن أد بن طابخة[١]، عُرفوا ببني مزينة نسبةً لأمهم، نزلوا بضواحي المدينة المنورة لذا عُدُّوا من سكانها[٢].

هـ- صوفة:

هم بنو الغوث بن مر بن أد بن طابخة[٣].

٣-قيس بن عيلان:

وهم أبناء قيس بن عيلان بن مُضَر بن نزار[٤]، وتُعد (قيس عيلان)[٥] من أكبر قبائل العرب، حتى ليعدها بعض النسَّابين أكبر من قبيلة تميم وبَكْر من بطون طابخة؛ وذلك لما فيها من جماجم[٦] وأرحاء[٧] ورؤوس قبائل[٨]، وعدَّها بعضهم في مقابل قبائل اليمن كلها لكثرتهم، (فقيس) هي ممثلة

(١) ذكر ابن خلدون أنهم أبناء مربن أد بن طابخة، انظر: ابن خلدون، تاريخه، ٣٨٠/٢.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢٩٦/٣؛ ابن سعيد، نشوة الطرب، ص٤٧١.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢٩٧/٣.

(٤) الزبيري، نسب قريش، ص٧؛ القلقشندي، قلائد الجمان، ص١١٠.

(٥) قيل هو قيس بن مضر، وعيلان لقب فرسه أو كلبه فأضيف إليه، وقيل فيه غير ذلك مما يطول ذكره. للمزيد، انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٩٥/١٣؛ ابن عبد البر، الأنباه، ص٦٤-٦٦؛ ابن الوردي، تاريخه، ٨٩/١؛ ابن خلدون، تاريخه، ٣٦٤/٢.

(٦) (الجماجم): جماجم العرب هم رؤوسائهم، وكل بني أب لهم عز وشرف فهم جمجمة. أنظر: الهروي، تهذيب اللغة، ٢٧٧/١٠.

(٧) (الأرحاء): هم القبائل التي تستقل بنفسها وتستغني عن غيرها. أنظر: البلخي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف)، مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط٢، دار الكتاب العربي، (د ت)، ص١٤٢.

(٨) النويري، نهاية الأرب، ٢٨١/٢.

كل قبائل عدنان عندهم[١]، وقد كانوا يسكنون تِهامة، غير أنهم خرجوا منها وتفرقوا بسبب حروبهم مع مُضَر[٢]، ومن مشاهيرهم:

أ- عدوان:

أبناء عمرو بن قيس بن عيلان[٣]، وقد كانت مساكنهم الطائف إلى أن أجلتهم ثقيف فنزلوا تِهامة[٤].

ب- فهم:

وهم أبناء عمرو بن قيس بن عيلان[٥]، اشتهر منهم: بنو طرود الذين سكنوا بنَجْد[٦].

ج- غطفان:

هم أبناء غطفان بن قيس عيلان، اشتهر منهم: أشجع، وبغيض، وعبس، وذبيان، فزارة، ومُرَّة[٧]، وقد كانت أراضيهم بالبلاد النَجْدية بالقرب من وادي القرى وما قاربها[٨].

د- بنو أعصر:

أبناء أعصر بن سعد بن قيس عيلان، اشتهر منهم: غني، وباهلة[٩].

---

(١) القلقشندي، قلائد الجمان، ص١١١.
(٢) البكري، معجم ما استعجم، ٨٧/١.
(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٠٣/٣.
(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٠٣/٣؛ الدينوري، المعارف، ٨٠/١؛ ابن خلدون، تاريخه، ٣٦٤/٢.
(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ١٠١/١-١٠٢؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٠٣/٣؛ القلقشندي، قلائد الجمان، ص١١١.
(٦) ابن خلدون، تاريخه، ٣٦٤/٢.
(٧) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٠٣/٣.
(٨) ابن سعيد، نشوة الطرب، ص٥٢٧.
(٩) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٠٤/٣.

هـ- خصفة:

هم أبناء: خصفة بن قيس بن عيلان، برز من أبنائه: بنو محارب، (الأبناء) وهم: غنم، ذهل، و(الخضر): أبناء مالك بن محارب(١).

كذلك بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة(٢)، وذكوان، وعبس، عصية(٣)، والذين كانت مساكنهم في عالية نَجْد بالقرب من خيبر، وفي الحرَّتان: حرّة بني سليم، وحرّة النار بين وادي القرى وتِيماء(٤).

ومن خفصة أيضًا (هوازن) وهم: أبناء هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خفصة، ومنهم: بني سعد، وثقيف(٥)، بنو صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن الذي كان من أبنائه: بنو عامر، وكعب، وربيعة، والضباب أبناء: كِلاب بن ربيعة بن عامر(٦)، وقد كانت منازل بنو عامر بن صعصعة الطائف شرقًا إلى داخل جنوب نَجْد، أما بقية مساكن قبائل هوازن فسكنوا بالطائف(٧).

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٠٤/٣.

(٢) القلقشندي، قلائد الجمان، ص١٢٣.

(٣) ابن خلدون، تاريخه، ٣٦٧/٢-٣٦٨.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ٣٩٩/١. جعل ابن خلدون خيبر أيضًا من ديارهم. للمزيد انظر: ابن خلدون، تاريخه، ٣٦٩/٢.

(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٠٥/٣؛ ابن خلدون، تاريخه، ٣٦٩/٢-٣٧٠. وقد قيل في نسب ثقيف إنه من بقايا ثمود، وقال بعضهم إنه من إياد، وقال آخرون إنه من اليمن. للمزيد، انظر: الأصفهاني (أبي الفرج علي بن الحسين)، الأغاني، ط٣، إحسان عباس وآخرون، دار صادر، بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٩٩٨م، ٢١٢/٤ وما بعدها.

(٦) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٠٥/٣-٣٠٧.

(٧) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٠٥/٣-٣٠٧؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ص١٠٥-١٠٦؛ ابن خلدون، تاريخه، ٤٠٤/٢.

٤- ربيعة بن نزار:

هم أبناء ربيعة بن نزار[١] والذي يُعرف أيضًا بربيعة الفرس[٢]، وقد كانت مساكنهم الأولى مع إخوتهم من مُضَر، غير أنهم كثروا وضاقت بأعدادهم الأرض، فخرجوا يبتغون متنفسًا لهم، فانتشروا فيما قاربهم من نَجْد وتِهامة، وكوَّنوا علاقات طيبة مع كِنْدة؛ غير أن بطونهم أخذت تبغي على بعضها البعض فتحاربوا فيما بينهم، الأمر الذي جعل بعض بطونهم تبتعد أكثر فأكثر، فانتشروا بأطراف جزيرة العرب، ونزلوا المنازل إما بحرب أو حلف أو جوار[٣]، وقد كان بين ربيعة ومُضَر عداء شديد استمر قرونًا طوالًا، جعلها في بعض الأحيان تُحالف قبائل اليمن ضد أبناء عمومتهم من مُضَر[٤]، وقد اشتهر من قبائل ربيعة:

أ- أسد:

أبناء أسد بن ربيعة بن نزار، ومنه جديلة، وعنزة التي سكنت عين التمر في برية العراق ثم انتقلوا إلى خيبر[٥]، بنو يذكر، بنو الدول، وهزان[٦].

ب- عبد القيس:

هم أبناء عبد القيس بن أسد بن ربيعة، اشتهر منهم: اللبؤ، وأفصى، وعبد القيس بن أفصى، وشن، وهنب، ولكيز، كذلك: بنو الديل، محارب، عجل الذين كانت منازلهم من اليمامة إلى البصرة[٧].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ١١٢/٨؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٣٩٠/١.

(٢) (ربيعة الفرس): سمي بذلك لأنه كان له من ميراث أبيه الخيل، انظر: ابن هشام، التيجان في ملوك حمير، ص٢٢٣.

(٣) الكلبي، افتراق ولد مَعْد، ص٨٠-٨٨؛ توفيق برو، تاريخ العرب، ص٢٣٢.

(٤) توفيق برو، تاريخ العرب، ص١٩.

(٥) ابن خلدون، تاريخه، ٣٥٩/٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٣١٩/١.

(٦) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٠٨/٣؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ١٠٥/١؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٣٤٤/١.

(٧) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٠٨/٣-٣٠٩؛ الدينوري، المعارف، ٩٣/١؛ ابن خلدون، تاريخه، ٣٥٩/٢.

وقد كانت مساكن بقية (أسد بن ربيعة) بالأراضي الواقعة بين الجزيرة الفراتية والعراق، أما ما تبقى من (عبد القيس بن أفصى) فكانت منازلهم بتِهامة ثم ارتحلوا للبحرين[١].

ج- النمر بن قاسط:

وهم: تيم الله، قاسط، منبه، أوس مناة، عبد مناة، أبناء النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، وكانت مساكنهم برأس العين[٢].

د- تغلب بن وائل:

هم أبناء تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب، ومنهم: (الأراقم) وهم أبناء بكر بن حبيب: عمرو، وجشم، ومعاوية، والحارث، ومن تغلب: بنو كليب وائل، والفدوكس[٣]، وكانت ديارهم فيما عُرف (بديار ربيعة)، والتي تقع بالجزيرة الفراتية بجهات سنجار ونصيبين[٤].

هـ- بكر بن وائل:

اشتهر منهم: بنو يشكر، وعكابة، وعجل، وحنيفة، وقد كانت مساكن عجل اليمامة إلى البصرة، أما حنيفة فسكنوا اليمامة أيضًا والحجر، كذلك اشتهر منهم (اللهازم): وهم عنزة بن أسد، وعجل بن لجيم، تيم الله، وقيس بن ثعلبة، و(الذهلان) وهم: ذهل، وشيبان، وبنو سدوس، وبنو محلم[٥].

---

(١) ابن خلدون، تاريخه، ٣٥٩/٢.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣٠٨/٣-٣٠٩؛ ابن خلدون، تاريخه، ٣٦٠/٢.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣١٠/٣-٣١١.

(٤) ابن خلدون، تاريخه، ٣٦٠/٢. (سنجار): مدينة بالجزيرة الفراتية، أما (نصيبين): مدينة بالجزيرة الفراتية أيضًا، بينها وبين سنجار تسع فراسخ. انظر: الحموي، معجم البلدان، ٢٦٢/٣، ٢٨٨/٥.

(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣١٢/٣-٣١٤؛ الدينوري، المعارف، ص١٠٠؛ ابن دُريد، الاشتقاق، ص٣٤٩-٣٥٢، ص٣٥٨-٣٥٩؛ البكري، المسالك والممالك، ٣٨٠/١؛ ابن خلدون، تاريخه، ٣٦١/٢-٣٦٢.

٥- إياد بن نزار:

وهم أبناء إياد بن نزار[١]، كانوا يسكنون مكة ويتولون حِجابة الكعبة، غير أن مُضَر أخرجتهم منها[٢]، فارتحلت إياد إلى أراضي اليمامة فكثروا وانتسب بعض بطونهم في القبائل الأخرى، ثم زحفوا حتى نزلوا الحيرة، غير أن سابور ذا الأكتاف[٣] حاربهم بشدة، فانتشرت فلولهم في الأرض هربًا منه، وفي زمن أنو شروان[٤] أعادوا الكرَّة وهاجموا أراضيه، غير أنه وجه لهم جيوشًا فرقتهم، فنجح بعضهم في الهرب ولحقوا ببني تغلب الذين أساؤوا معاملتهم بعد فترة من الزمن، فهاجر بعضهم للحيرة وتِكريت، ومنها ارتحل بعضهم ليستقر ببلاد الروم[٥]، وكانت مساكنهم بعين أباغ وما والاها[٦]، وكانت قبيلة إياد أول قبيلة خرجت مهاجرة من ولد معْد[٧]، وليس منهم قبائل مشهورة.

(١) الدينوري، المعارف، ٦٤/١؛ ابن الوردي، تاريخه، ٨٩/١؛ ابن خلدون، تاريخه، ٣٥٨/٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٣٩٠/١؛ الزركلي، الأعلام، ١٦/٨.

(٢) الفاكهي (محمد بن إسحاق بن العباس)، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: عبد الملك عبد الله دهيش، ط٢، دار خضر، بيروت، ١٤١٤هـ، ص١٢٦؛ ابن حبيب (محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي)، المنمق في أخبار قريش، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ، ص٢٨٤-٢٨٥.

(٣) شاهبور الثاني ذي الأكتاف (Chahpuhr II) ٣١٠-٣٧٩م: ملك للفرس من السلالة الساسانية، ابن لأور مزد الثاني، وطد دعائم الديانة المزدكية في بلاد فارس، قامت بينه وبين بلاد الروم عدة معارك ذات طابع ديني، كان سببها الظاهر هو حماية المسيحين في فارس وأرمينيا. أنظر: هنري سعيد عبودي، معجم الحضارات، ص٥٢٦.

(٤) النويري، نهاية الأرب، ٢٨١/٢.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ٢٧/١؛ اليعقوبي، تاريخه، ٢٧/١.

(٦) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص١٧٨.

(٧) الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة)، الشعر والشعراء، (د ط)، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ، ١٩٥/١.

المبحث الرابع

مفهـــوم أيام العـــــرب

عند الحديث عن أيام العرب تجدر الإشارة أولًا إلى عدة أمور:

أن المادة العلمية عن أيام العرب مُبهمة للغاية، تفتقر إلى التاريخ والتنسـيق، كذلك إيضـاح تأثيرها على العرب أنفسـهم، وأثرها في صِـلاتهم مع غيرهم من الأمم، كما أن الروايات نفسـها قد تختلف من كتاب لآخر، وأحيانًا ترد مجزَّأةً في عدة كتب لمؤلفين مختلفين(١)، وحتى الشِّـعر الجاهلي الذي هو المصـدر الأول لهذه المادة لا نسـتطيع سـرد قصـة اليوم كاملة منه، لذا كان الشِّـعر فقط سجلًا لتعداد الأيام التي حدثت، ومنه نستخرج أحداث بسيطة ونتائج حاسمة.

أما المصـدر الثاني وهو ما نقلته لنا المصـادر من الروايات التاريخية: فترجع أهميته لكونه الجزء الأكبر الذي نكمل به ما نقص في الشِّعر، لكن هنالك كتابات لم تصلنا تخصصت بالحديث عن (أيام العرب): ككتابي "أبي عبيدة بن المثنى"، والذي كان أحدهما: كتابًا صـغيرًا حوى ٧٥ يومًا وآخر يحوي ١٢٠٠ يومٍ، ومؤلف آخر كان لأبي فرج الأصـفهاني: ذكر فيه حوالي ١٧٠٠ يوم(٢)، ويبرز هنا الاختلاف الواضـح في عدد هذه الأيام، وبالإمكان تتبع الروايات لهذين المؤلفين، لأن المؤرخين التالين غالبًا ما اسـتقوا مادة (أيام العرب) العلمية منهما، وإن كانت المؤلفات الأخيرة تقتصـر على ذكر الأيام المشـهورة وتتجاوز عن (أيام الغارات) لأنها كثيرة وتخرج عن إطار الحصـر، وهذا ما صرح به (ابن الأثير) في كتابه (الكامل) عند التعرض لمادة أيام العرب(٣).

---

(١) عمرو فروخ، العرب في حضارتهم، ص٦١.

(٢) القسطنطيني (مصطفى بن عبد الله كاتب)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (د ط)، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م، ١/٢٠٤.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ١/٤٥٤.

وإضافة إلى تلك الكتب المخصصة، فقد نقلت لنا المصادر العربية الأخرى الكثير من أخبار تلك الأيام وأفردت أبوابًا ومباحث عنها، كـــ(اليزيدي) في كتابه: شرح نقائض جرير والفرزدق والذي نقله عن ابن حبيب عن أبي عبيدة بن المثنى، و(ابن الأثير) في الكامل في التاريخ، و(ابن رشيق) في العمدة في محاسن الشِّعر وآدابه، و(ابن عبد ربه) في العقد الفريد، و(النويري) في نهاية الأرب في فنون الأدب، و(الأعشى) في صبح الأعشى في صناعة الإنشاء.

كما تفردت بعض المصـــادر والروايات بذكر روايات متفرقة عن أيام العرب، كما ورد في (الميداني) بمجمع الأمثال، و(ابن خلدون) في كتابه العبر، و(أبو فرج الأصفهاني) في الأغاني.

ومن الكتب الحديثة التي بذل مؤلفوها جهدًا مشكورًا في جمعها وأصبحت من أهم مراجع أيام العرب ما دونه محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون وحمل عنوان (أيام العرب في الجاهلية)، وكتاب (أيام العرب قبل الإســلام) الذي وفق البياتي في جمع شــتاته عن روايات أبي عبيدة بن المثنى المتناثرة، كذلك رسالة الماجستير لإيهاب فوزي الحجي والتي تحت مُسمى: " أبو عبيدة: معمر بن المثنى (ت٢٠٩هـ) ودوره بالكتابة التاريخية" وفيه ذكر لأيام العرب.

أولاً: المفهوم اللُّغوي (للفظ اليوم).

وفي مستهل الحديث عن أيام العرب يُعرف (اليوم): بأنه الفترة المقدرة من طلوع الشمس إلى غروبها، وجمعة: الأيام، وأصـــل اليوم:(أَيْوام) غير أن العرب إذا وجدوا في الكلمة الواحدة حرفي: (ياء، وواو) وأولهما ساكن أدغموا إحداهما في الأخرى[١]، ولفظ اليوم: يأتي بمعنى الوقت أيضًا فهو لا يختص بالنهار دون الليل[٢].

(١) الهروي، تهذيب اللغة، ٤٦٣/١٥.

(٢) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ٣٠٣/٥.

ثانيًا: المفهوم الاصطلاحي (لأيام العرب).

أيام العرب: هي وقائع العرب وحروبهم[١]، وفيها يقول عمرو بن كلثوم[٢]:

وأيامٍ لـنـا غُـرٍّ طِـوالٍ عَصـينا المَلِك فيها أن نَدينا

و(الحرب): هي "القتال بين قومين واختلاف بين فريقين يُفصل بقوة السلاح"، والغاية منها غالبًا: هي النصر وسحق العدو وسلبه ما تحت يديه[٣]، ولا تكاد أمة من الأمم تخلو من الحروب[٤]، فحتى أشد الأمم ميلاً للسلم تحتاج أحيانًا للحرب دفاعًا عن حقوقها أو مساعدة لجار أو خوفاً من بطش[٥].

ثالثًا: نبذة تاريخية عن (أيام العرب).

(أيام العرب) ظاهرة تصف حالة الحرب والمعارك عند العرب في عَصرهم الجاهلي في الفترة ما بين المئة وخمسين سنة إلى مئتي سنة بالأكثر قبل البعثة[٦]، وهي الفترة نفسها التي ارتبط تاريخها باستقامة الشِّعر العربي[٧]، ومن أشهر تلك الأيام (يوم البسوس)[٨] والتي أخذت بدايتها نمط التحرر من الظلم والاستبداد، لكن سَرعان ما أصبحت من الأيام التي تأخذ شكلاً انتقاميًا

(١) الفراهيدي (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم)، العين، تحقيق: مهدي المخزومي؛ وإبراهيم السامرائي، (د ط)، دار ومكتبة الهلال، ١٧٧/٢؛ الهروي، تهذيب اللغة، ٤٦٣/١٥؛ ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي)، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، ٦٥١/١٢.

(٢) ديوان عمرو بن كلثوم، ص٧١.

(٣) أمين أرسلان، حقوق الملل ومعاهدات الدول، ط١، مطبعة الهلال، مصر، ١٩٠٠م، ص٢١، ص٦٦.

(٤) أمين أرسلان، حقوق الملل، ص٣.

(٥) أمين أرسلان، حقوق الملل، ص٥.

(٦) الجاحظ، الحيوان، ٥٣/١.

(٧) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص٣٨-٣٩.

(٨) (البسوس): حرب وقعت بين بكر وتغلب، استعرت أربعين عامًا، كانت نهاية النصر فيها لبكر. انظر الهامش: محمد أحمد مولى جاد المولى بك وآخرون، أيام العرب في الجاهلية، (د ط)، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، (د ت)، ص١٤٢.

وتنافسيًا وعدوانيًا[١]، ويُرجع "ابن خلدون" ذلك: لطبيعة العرب أنفسهم لأنهم سكنوا القفر ذا الخيرات الشحيحة، فاستعاضوا عن ذلك بأن جعلوا رزقهم على أسنَّة رماحهم[٢]، وهكذا أصبحت تلك الأيام والمناوشات ليست فقط رهنًا لكسب لُقمة العيش، بل مقومًا من مقومات المجتمع العربي ككل كما أنها باتت دليلاً وشاهدًا حيًا للشهامة العربية، ومثالا للتحدي والشجاعة، والجرأة على الموت[٣].

وإذا ما تجاوزنا عن جانب الحرب القبيح والوحشي فيها، نَجدها مظهرًا من مظاهر الفروسية والصبر والشجاعة وخير شاهد لخُلق العربي، ومُثله، وقيمه التي تمسّك بها كالوفاء بالعهد، وإجارة المستجير، والذود عن المحارم، ونُصرة الجار الحليف[٤].

وعلى أية حال فهذه (الأيام) شهدتها القبائل العربية، كما طالت بعض الحواضر، حيث نَجد الكثير من تلك الأيام تقع بين القبائل القحطانية والعدنانية، وربما تحالفت قبائل من كلا الطرفين على حرب قبائل عدنانية أو قحطانية، بل أخذت إطارًا دوليًا كما كان بين العرب والفرس والروم[٥].

ولقد تعددت مسببات تلك الأيام، فربما أُرجعت لتصرفات تافهة، أو جادة لأسباب مختلفة: اقتصادية، أو سياسية، أو اجتماعية، وبالكاد بإمكاننا فصل أيًّا من هذه المسببات عن الأخرى فربما نشبت لطلب الثأر؛ إلا أنها تضمنت أهدافًا أخرى ومنها: إثراء أنفسهم اقتصاديًا، أو لجلب مجد شخصي أو قبلي، كقول امرئ القيس بن حجر[٦]:

---

(١) ابن خلدون، تاريخه، ١/٣٣٤.

(٢) ابن خلدون، تاريخه، ١/٣٣٤.

(٣) رجاء لازم رمضان، "موسيقى النص الشعري لصور الثبات والمواجهة الإيجابية للحرب في الشعر الجاهلي"، مجلة الأستاذ، ع ٢٠٣، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢، ص٤٦٤.

(٤) هاشم طه شلاش، "التراث الخلقي في أيام العرب"، مجلة الأقلام، ع ٣، مارس ١٩٦٤م، ص٣٦.

(٥) عمرو فروخ، العرب في حضارتهم، ص٥٩.

(٦) امرؤ القيس (امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن آكل المرار)، ديوان امرؤ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٥، دار المعارف، (د ت)، ص٢٣٥.

للنـاس أموال ترى ومعـايش مـال يـبـيـد ومـالي الجَـمْـدُ

المجـد والإقـدام أجمعُ والنـدى أحمي العشـيرة ذلـك المجـد

وربما نشبت حول (مرعى) فتكون مُسبباتها أكثر شمولًا، إذ أن الحرب تسعى للحفاظ على القيمة البشرية للقبيلة –أي أفرادها–من مجاعة قريبة والحفاظ على مالهم –أنعامهم–التي يتعايشون عليها وهذا سبب اقتصادي، أما السياسي: فيتمثل في فرض السيطرة والقوة على هذه الأرض.

و(أيام العرب) قد لا تزيد عن اليوم أو بعضه، إذ لم يذكر لهم أية حروب حصلت في أيام متتابعات، حتى وإن طالت وامتدت أزمنتها وتكررت، وحدث أن اجتمعوا مرة أخرى للحرب إما بتواعدٍ منهم، أو تقاربوا في الديار والمراعي فيتم ذلك أيضًا في يوم أو بِضعٍ من ساعاته، ثم يفترقون، وتبعد بينهم الديار والمسافات مرة أُخرى إلى أجل مُسمى آخر في حال إذا لم يُحسم الأمر(١)، وأما إذا حُسمت –وهذا ما يقع في الكثير من الأحيان– فتنتهي بصلح، ودفع الدية من القبيلة ذات القتلى الأقل للقبيلة ذات القتلى الأكثر(٢).

وقد تقع تلك الأيام بالليل أو النهار لم تختص بوقت معين، فإذا وقعت نهارًا كَنُّوا عنها: (بيوم) – وهو الأشهر– أما إذا وقعت مساءً كَنُّوا عنها: (بليلة)(٣)، كقول لبيد بن ربيعة(٤):

لَيْلَة العُرْقُوبِ لَمّا غامَرَتْ ,جَعفرٌ، تُدعى ، ورَهطُ ابنِ شَكَلْ.

(١) الحلي، المناقب المزيدية، ٢٠٢/١.

(٢) عمرو فروخ، العرب في حضارتهم، ص٨٠–٨١؛ انظر كمثال (ليوم سمير) في: الأصفهاني، الأغاني، ٢١/٣.

(٣) الهروي، تهذيب اللغة، ٤٦٣/١٥؛ الزبيدي (محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني)، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، (د ط)، دار الهداية، (د ت)، ١٤٥/٣٤.

(٤) لبيد بن ربيعة العامري، شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق: إحسان عباس، محقق، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٦٢م، ص١٩٣.

والأرجح أنها تحصل بكثرة في وقت الصباح[١] لأنه الوقت الأنسب لأخذ القوم على حين غِرَّة وأمن[٢]، لذا نَجِد في أخبارهم كلمات (كصبَّحناهم): أي باغتناهم، و(واصباحاه): كأداة للاستغاثة، كذلك كَنُّوا عن يوم الغارة (بيوم الصبح)[٣] وإنما فعلوا ذلك من قبيل "المجاز"[٤].

ولكثرة الحروب والخوف الدائم من المباغتة التي قد تُكلف القبيلة الكثير نَجِد بعض العرب من (صعاليك وفرسان) يحملون على عاتقهم الترقب الدائم لهذه الحرب على حد سواء، فيتخذون المكان العالي أو –المرقبة[٥]–أما ليحذروا من عدو لهم، أو لينالوا منه في حين غرة[٦]، وفي وصف امرؤ القيس بن حجر عن إحدى غارته خير شاهداً على ميزة هذا الموضع[٧]:

ومرقب تسكن العقبان قلته ... أشرفته مُسفرًا والنفس مُهتابه

عمدًا لأرقب ما بالجوِّ من نِعم ... فناظر رائحًا منه وعُزَّابه

لما نزلت إلى ركب مُعقلة ... شُعث الرؤوس كأنَّ فوقهم غابه

لا ركبنا رفعناهن زفزفة ... حتى احتوينا سوامًا ثم أربابه

كما نَجِد أن الكثير من أيام العرب سُمِّيت بأسماء الأماكن التي وقعت فيها أو القريبة منها، فنتج عنه اختلاف الأسماء للوقعة الواحدة كيوم طخفة[٨]، ومنعج[٩] وغيرها[١٠].

---

(١) الزبيدي، تاج العروس، ٥١٨/٦.

(٢) الخطابي (أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب)، غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، تخريج الأحاديث: عبد القيوم عبد رب النبي، (د ط)، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ٣٢٩/١.

(٣) الفراهيدي، العين، ١٢٥/٣؛ ابن فارس، مقاييس اللغة، ٣٢٨/٣.

(٤) الزبيدي، تاج العروس، ٥١٨/٦.

(٥) (المرقب والمرقبة): الموضع المشرف المطل، يرتفع عليه الرقيب. ابن منظور، لسان العرب، ٤٢٥/١.

(٦) هلال محمد الجهاد، "ظاهرة المرقبة في الوعي الشعري الجاهلي"، مجلة التربية والعلم، مج ١٤، ع٢، ٢٠٠٧م، ص٧٤.

(٧) ديوان امرؤ القيس، ص٣٤٦.

(٨) (يوم طخفة): يوم لبني يربوع على ملك الحيرة المنذر بن ماء السماء، وطخفة: موقع في طريق البصرة إلى مكة. انظر الهامش: محمد أحمد مولى جاد المولى بك وآخرون، أيام العرب، ص٩٤.

(٩) (يوم منعج): يوم لعبس على غني. للمزيد انظر الهامش: محمد أحمد مولى جاد المولى بك وآخرون، أيام العرب، ص٢٣٠.

(١٠) موجز دائرة المعارف الإسلامية، "أيام العرب"، ص١٤٢٨.

وكانت قيادة تلك الأيام من أهم المناصب التي يمكن أن يصيبها البطن الواحد، حيث يكون له سُلطانٌ يفرضه على بقية القبيلة، وحتى على أحلاف قومه(١)، وكانت لهم عند الحرب شعارات يتعارفون بها عند اشتدادها(٢).

أما الوصف الحربي لتلك الأيام، فنَجِد أنماطها مُبعثرة بين طيَّات الشِّعر الجاهلي والمصادر القديمة، فمثلاً نَجِد ألفاظًا كالجيش (الجحفل): والذي يقصد به الجيش العظيم(٣)، يقول امرؤ القيس بن حجر عن نفسه عندما انتقم لمقتل أبيه من بني أسد(٤):

إذ سار ذو التاج الهجان بجحفل لجِب يُجاوب بالفلاة صهيلا

وربما عُرفت بـ(الخميس): وهو الجيش الكثير(٥)، وقيل إنه سُمِّي بذلك لأن له ساق، ومقدمة، وجناحان، وقلب(٦)، يقول امرؤ القيس بن حجر مادحًا نفسه(٧):

لَهَا مِزهرٌ يعلو الخميس بصوته أجشّ إذا ما حركته اليدان

كما كان يُطلق عليها مُسمى (الجَرَّار)(٨): وهي تسمية أُخذت على ما يظهر من مُسمى قائدهم" الذي إذا قاد جيشًا يبلغ الألف عددًا دُعي (جرارًا)(٩)، وجيشه "جيش الجرار"(١٠).

(١) عمرو فروخ، العرب في حضارتهم، ص٨١.
(٢) الفراهيدي، العين، ٢٥٠/١.
(٣) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٥٠٩/١.
(٤) ديوان امرؤ القيس، ص٣٦٠.
(٥) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٢١٨/٢.
(٦) السهيلي، الروض الأنف، ٩٢/٧.
(٧) ديوان امرؤ القيس، ص٨٦.
(٨) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٤١١/١.
(٩) ابن حبيب، المحبر، ص٢٤٦.
(١٠) (الجرارون) كُثر في العرب، وقد أوردهم ابن حبيب في كتابه المحبر. ابن حبيب، المحبر، ص٢٤٦.

وأيضًا (الجمرة): وهو مُسمى تحوزه القبيلة الواحدة إذا اكتفوا بأنفسهم عن غيرهم، فلا يحالفون ولا ينضمون لأحد فيكونون كالجمرة متقدون صابرون على مقاتلة العدو، وقد اُختلف في عددهم فمنهم من قال: إنهم ألف فارس، ومنهم من قال: إنه متى ما بلغ في القبيلة ثلاثمئة فارس دُعيت (جمرة)(١).

وقد يحدث أن ينعقد (اليوم) بقتال أو نزال رهط من الرجال وأحيانًا الرجل والرجلان، كما حدث في يوم (الظعينة)(٢) عندما قاتل (ربيعة ابن مكدم) بضع رجالٍ منفردين وحده(٣).

وقد اتخذت الحرب أنظمة عدة واستُخدمت فيها استراتيجيات مختلفة لتحقيق النصر، وهي كالتالي:

أولاً: الزحف.

وهو التنظيم الأقل استخدامًا عند العرب، وكان يأخذ نمط (التعبئة)، وهو النمط المستخدم عند الامبراطوريتين (الفارسية والرومية)، وذلك أن جيوشهم لما كانت كثيرة، كثر اصطدامهم وجهلهم ببعضهم في الحروب فقسَّموا جُندهم إلى كتائب، ووضعوا المتعارفين منهم في كتيبة واحدة، ورأَّسوا عليهم قائدًا يكون في قلب الجيش عند الحرب، وهذا التنظيم كان الأثبت في الحروب، والأصدق عند القتال، والأرهب للعدو(٤)، وقد أخذت الحيرة والغساسنة هذا النمط من

(١) الفراهيدي، العين، ١٢٢/٦؛ الهروي، تهذيب اللغة، ٥٢/١١؛ ابن فارس، مقاييس اللغة، ٤٧٧/١. قيل إن (جمرات العرب) ثلاثة: ضبة بن أد، الحارث بن كعب، بنو نمير بن عامر، فأطفئت اثنتان هما: ضبة لمحالفتها للرباب، والحارث بن كعب لمحالفتها مذحج، بينما جعلهم "ابن حبيب" أربعة: ضبة، الحارث بن كعب، عبس بن بغيض، يربوع بن حنظلة. للمزيد، انظر: ابن حبيب، المحبر، ص٢٣٤؛ الحلي، المناقب المزيدية، ١٦٦/١.

(٢) (الظعينة): هي المرأة التي تنتقل وتسافر على ظهر الإبل، الفراهيدي، العين، ٨٨/٢.

(٣) (يوم الظعينة): يوم لربيعة بن مكدم على بضعة رجال أرادوا نهب ظعينة منه كان سائرًا بها، فقتلهم دونها. ابن المثنى (أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي)، أيام العرب قبل الإسلام، جمع وتحقي ودراسة: عادل جاسم البياتي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ١٤٧/٢.

(٤) ابن خلدون، تاريخه، ٣٣٥/١-٣٣٦.

الامبراطوريتين الفارسية والبيزنطية، وكان أكثر بروزًا عند مملكة الحيرة[١]، ويبدو أن جيش الخميس -المذكور أنفًا-من نتاج هذا التشكيل.

ثانياً: الكرُّ والفرُّ.

وهذا التنظيم يقوم بوضع الجيش أولاً في الواجهة، ثم يجعل العرب أنعامهم ونساءهم في الخلف، ويسمون هذا التشكيل: (بالمجبوذة)؛ وإنما كانوا يفعلون ذلك طلبًا للثبات والاستماتة في الحرب، فَهم حينها يذودون عن عارهم ومعاشهم، كما كان له فائدة أخرى: تتمثل في لجوء الخيَّالة إليها عند كرِّهم وفرِّهم[٢].

ثالثاً: الغارة.

وهو ليس بتنظيم بقدر ما هو طريقة، وهي الأكثر استخدامًا وانتشارا بين العرب، وتتم في العادة إذا ما وافقوا غِرَّة وضعفًا من العدوِّ فينهبون ويسبون ويعودون لديارهم بما غنموا، أما إذا كان العدو قويًّا اكتفوا بإلاغارة على أنعامهم فذهبوا بها، وحينها إما أن ينجو بما غنم، وإلاَّ أتبعه الطلب، فإن كان محظوظًا هرب ونجا بكل ما نهب أو بعضه، وإلاَّ ثَبُت وقاتلهم، وتكون نتيجة ذلك أن يُقتل عدد بسيط منهم قد لا يتجاوز الواحد وقد لا يُقتل منهم أحد[٣].

وختاماً... فعلى الرغم من "كثرة" أيام العرب، وسعي العرب الحثيث لها إلا أننا نَجِد الكثير من العرب مَنْ كان ينادون للسلم وترك الحرب، ودفع شرها بالتي هي أحسن، وهم في الغالب شعراء

(١) للمزيد انظر تنظيمات (الكتائب) في: المبرد (محمد بن يزيد)، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ٢/٦٣-٦٤؛ الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم)، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (د ط)، دار المعرفة، بيروت، (د ت)، ١/١١٨.

(٢) ابن خلدون، تاريخه، ١/٣٣٦-٣٣٨.

(٣) الحلي، المناقب المزيدية، ١/٢٠٢.

وفرسان جرَّبوها وعرفوا ويلاتها وعاينوا نتائجها، وتجرَّعوا مرارتها قبل مجدها، كما نستنتج ذلك من قول (أبي قيس بن الأسلت) في أبيات طويلة نذكر منها[١]:

وقُـل لهـم والله يحكـم حـكـمـه ذروا الحرب تـذهـب عنكم في المراحـب

متى تبعثوهـا تبعثوهـا ذميمـة هي الغول للأقصـــــين أو للأقارب

تقطع أرحـامًـا وتُـــــهلـك أمـةً وتبري الســـديف من ســـنام وغارب

إلى أن قال:

يُخبركم عنهـا امرؤٌ حَق عـالم بأيامهـا والعِلم علم التجـارب

(١) للمزيد انظر: ابن الأسلت (أبي قيس صيفي)، ديوان أبي قيس صيفى بن الأسلت الأوسي الجاهلي، دراسة وجمع وتحقيق: حسن محمد باجودة، (د ط)، مكتبة دار التراث، القاهرة، ص٦٥ وما بعدها.

الباب الأول

أثر أيام العرب على الحياة الدينية

الفصل الأول

أديان العـــــرب

- المبحث الأول: العبادات غير السماوية (المعبودات الوثنية، المجوسية، المزدكية).
- المبحث الثاني: الديانات السماوية (النصرانية، واليهودية).

المبحث الأول

المعتقدات الدينية الوثنية

المعبودات الوثنية:

ساهمت الحرب في تدعيم روحانية المعبودات[١] وتثبيتها في نفوس العرب، وهو أول أثر نلاحظه عند العرب وذلك عندما وضعوا كل إيمانهم بين أيديها رجاءً وطلبًا للنصر.

(١) لمعرفة الحقيقة المتكاملة عن طبيعة المعبودات العربية لابد من التطرق لهذه المعبودات، ومعرفة مدى تنوعها وتأثيرها على عرب الجاهلية، وقد قسم "الشهرستاني" العرب في عباداتهم لثلاثة أقسام، أولاً: من أنكر الخلق والبعث والإعادة، وهم الذين أخذوا بالقول: أن الطبع هو المحيي والدهر مُفنٍ، وهم أقل الأصناف من حيث انتشارهم غير أنهم أسوؤها، وقد عرفوا في التاريخ بمسميات عدة كالمعطلة، الملاحدة، الدهرية والزنادقة، وجاء ذكرهم بالقرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ سورة الجاثية، آية ٢٤. ثانيًا: من أنكر البعث والإعادة، وهذا القسم أقر بالخالق وابتداء الخلق، لكنهم أنكروا البعث والإعادة وقالوا كما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ سورة يس، آية ٧٨-٧٩. ثالثًا: من أنكر الرسل وعبد الأوثان والأصنام، وهو ما كان عليه غالبية العرب، حين أقروا بالخالق والخلق والبعث لكنهم أنكروا الرسل وعبدوا الأصنام، وقالوا كما جاء في الآية: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾ سورة يونس، آية ١٨.

أما من حيث الآلهة التي عبدها العرب، فهي كما قسمها الرازي ثلاثة أنواع، أولاً: (الموحدون أو الحنفاء): وهم الذين ساروا على الفطرة الحقة، وأصروا على التوحيد وإبطال الشركاء والأضداد وقالوا كما في الآية الكريمة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ سورة الفاتحة، آية ٥. ثانيًا: (المعبود المتجسد) وهو على قسمين: إما أن يكون من الأجسام السفلية، أو العلوية، (السفلية) ولها نوعان أيضًا: عبدة الأجسام المركبة وهم الذين يتخذون معبودًا منحوتًا من مَعْدن، أو يعبدون الأشجار، أو الحيوان، أو البشر، وعبدة الأجسام البسيطة وهم الذين يعبدون النار وأشباهها، و(العلوية) وهي كل العبادات التي تتخذ الكواكب والنجوم كآلهة. ثالثًا: (المعبود الروحاني) وهم على طوائف عدة كعبدة الملائكة، أو الضدين كالله تعالى وإبليس، والنور والظلمة. للمزيد، انظر: الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد)، الملل والنحل، (د ط)، مؤسسة الحلبي، (د ت)، ٣/٧٩-٨٠؛ الرازي (أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين)، مفاتيح الغيب، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ، ١/٢١٠.

وقد تعددت المعبودات الوثنية وتنوعت، وتبعتها شعائر اجتماعية جعلها العرب بمثابة (دِيْن) طبقوها في حياتهم، وجعلوا منها منهاجًا في تصريف شؤونهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية، كما شملت أيضًا المعبودات المعظمة التي أُتخذ لها بيوتٌ مضاهاةً لبيت مكة (الكعبة)، فأُقطعت لها الأحماء وأُهديت لها الهدايا والنفائس وقام بأمرها السدنة[١]، وربما دخلت العصبية في أمر اتخاذها: ككعبة (غطفان) التي أقامتها قبيلة غطفان بعدما اغترَّت بقوتها وفرسانها الذين استطاعوا الإطاحة "بمذحج" عندما باغتوهم دون أي استعداد أو تخطيط مُسبق، فأقسم زعيمهم بأن يجعل لقبيلته "حرمًا مثل حرم مكة، لا يُقتل صيده، ولا يُعضد شجره، ولا يُهاج عائذه"، ففعلوا[٢].

وفي الحقيقة لقد رأى العرب وجوب التقرب لتلك المعبودات، ولكي يُظهروا برهم المكنون في قلوبهم لها غمروها بالهدايا والنفائس، ويذكر الكلبي: أن علي بن أبي طالب –كرم الله وجهه –عندما بعثه الرسول –صلى الله عليه وسلم–لتحطيم (مناة) في السنة الثامنة للهجرة، وجد عنده سيفين كانت هدايا بعث بها الحارث بن أبي شمر الغسَّاني لـ(مناة)، وهذا الأمر شائعٌ في تعامل العرب مع ما يعبدون، فكلٌ كان يُهديها من سعته[٣].

وقد ارتبطت تلك المعبودات بطقوس وشعائر تدور حولها؛ وخاصة عند حروبهم، حيث كانوا يقومون بالاستقسام بـ(الأزلام): وهي الآنية التي يضرب بها عند تلك الأصنام، وخاصة المنصوبة حول الكعبة، ومنها (هُبل) كبير الأصنام، بهدف الاستخارة إذا ما همُّوا بأمر كسفر أو حرب أو غيره[٤]، حيث كانت المنطلق الأول لكثير من حروب العرب المدبرة، وكان الزعيم أو القائد يتوجه

(١) (السدنة): هم المتصرفين في شؤون الأصنام، وهم أصحاب الحق في فتح وغلق أبوابها، وتصريف شؤون معابدها وخاصة الكعبة، وكان ينظر إليها على أنها مهنة شرف وجاه. جواد علي، المفصل، ٩/٢٤٧-٢٤٨.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ١٩/١٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١/٤٥٥.

(٣) الكلبي (أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب)، الأصنام، تحقيق: أحمد زكي باشا، ط٤، دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص١٥.

(٤) توفيق برو، تاريخ العرب القديم، ص١٨٣؛ أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم، (د ط)، دار الفكر العربي، (د ت)، ص١٠٦.

لهذا البيت بعد العزم على شنِّ الغارة، ويقف بين يدي هذا الإله، يرجوه التوفيق ويستشيره في الخروج، حيث يتولى السادن ضرب الأقداح رغبة في استشارة ذلك الصنم للخروج من عدمه، فيقف السادن قائلاً ومبتهلاً بالدعاء: "اللهم أيهما كان خيرًا فأخرجه لفلان"، فإن خرج سهم (الأمر) استبشر بهذه الإشارة التي تدل عندهم على مباركة الإله، وبشرى مقدمة لنصر وشيك، أما إذا خرج (الناهي)[١] تشاءموا وتخاذلوا وربما ألغوا الحرب برمتها خوفًا من النكبات والفشل[٢].

وبالرغم من الطواعية التامة "غالبًا" لمثل تلك المعبودات وأوامرها، إلا أننا نَجد حالات شاذة تمت على أيدي (أفراد) في حقها وفي حق آرائها، فمثلاً: عندما قام امرؤ القيس بن حجر[٣] بالاستقسام عند "ذو الخلصة" ليأخذ برأيه في الأخذ بثأره من قاتل أبيه، وظهر له سهم (النهي) رفض امرؤ القيس رأيه واحتقره وضربه، وقال فيه شعرًا يُظهر مدى سخطه وامتعاضه[٤]:

لو كنت ياذا الخلص الموتور مثلي وكان شيخك المقبورا

لم تنه عن قتل العداة زورا

وقد كان لفعل امرئ القيس ابن حجر[٥]نتائجها المتمثلة في نبذ ذلك المعبود ورأيه حتى مجيء الإسلام[٦].

---

(١) الآمر والناهي: اسمان لسمهي القداح المخصصة للخروج، وهناك أنواع كثيرة ومختلفة للأسهم كلٌ تبعا للغاية من استخدامها. انظر: الدينوري (أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة)، الميسر والقداح، نسخه وصححه وعلق عليه ووضع فهارسه: السيد محيي الدين الخطيب، ط٢، المطبعة السلفية، الروضة، (د ت)، ص٣٣، ص٤٦.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص٣٣٢؛ الدينوري، الميسر والقداح، ص٣٣.

(٣) (امرؤ القيس): هو ابن الأمير الكندي حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار، أحد أشهر شعراء الجاهلية، يعرف بلقب: الملك الضليل. الأصفهاني، الأغاني، ٥٩/٩.

(٤) الكلبي، الأصنام، ص٣٥.

(٥) الكلبي، الأصنام، ص٣٥؛ السهيلي، الروض الأنف، ٢٢٢/١-٢٢٣.

(٦) ابن حمدون (محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون)، التذكرة الحمدونية، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤١٧هـ، ١٠/٨.

ومن الجدير بالذكر أن بعض القبائل العربية كانت تحمل أصنامها لِتشارك في معارك قومها، وتدافع عنهم في ساحة الوغى حيث يعتقدون في ذلك، فقد كانت قبيلة "مذحج" تحمل معبودها (يغوث) في حربها ضِد "مراد"، حيث يقول شاعرهم(١):

وســـــار بنـــا يغوث إلى مراد فنـــاجزناهم قبـــل الصـــبـــاح

وقد يؤدي ذلك إلى تأثر القبائل الأخرى بتلك الأصنام والتحول لعبادتها والتقرب منها دون معبوداتها، فها هي قبيلة مراد في وقت لاحق، طمعت في ذلك المعبود، وعلى الأرجح ضد مذحج بسبب ظنهم بأنه وراء نصر أعدائهم، وذلك أن إحدى غزوات مراد كانت ترنو لانتزاعه من مذحج لتنصيبه معبودًا عليهم، فقاتلتهم عليه بنو (غطيف) من مراد حتى اضطرت مذحج للهرب به إلى نجران، وجعلوا سدانته بيد بني الحارث بن كعب(٢) للدفاع عنه، ومع ذلك لم تيأس مراد فلحقت بهم لانتزاعه منهم، فاستنَجد بنو الحارث بحليفتهم (همدان) فوقع "يوم المرزم" بسبب هذا المعبود، حتى قُتل من هؤلاء ألف ومن هؤلاء ألف(٣).

وتلك الحادثة وأمثالها، تكشف لنا عن نتائج مُهمة تتعلق بذلك العصر:

فالقبيلة قد تحمل معبودها معها باعتباره الحامي والمدافع، وإذا ما تم سلبه حصل الاختلاط في مسميات المعبودات لتلك القبائل، كما قد تنشأ حروب جديدة قائمة على الاعتقاد بقدرة ذلك المعبود على النصر وإيقاع الهزيمة في سبيل الحصول عليه(٤).

---

(١) الكلبي، الأصنام، ص١٠.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص٣١٧.

(٣) الطبري (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب)، تاريخ الرســـل والملوك المعروف بتاريخ الطبري، ط٢، دار التراث، بيروت، ١٣٨٧هـــ، ٣/١٣٤؛ النهرواني (أبو الفرج المعافي بن زكريا بن يحيى)، الجليس الصـالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص٥٧٤.

(٤) جواد علي، المفصل، ١١/١٠، ٦٥.

ومن الجدير بالذكر أن بعض القبائل قد تتخلى عن معبودها كليًا؛ لاعتقادها أن ضعف معبودها هو سبب هزيمتها أو هلاكها، وقد تنساه وتستبدله بمعبود آخر مشهود له بالقوة والنصر، وأكثر كفاءة في تحقيق ما يطمح له أتباعه(١)، كما فعلت قبيلة طيّء عندما استولى بنو أسد على صنم لهم، فاستبدلوه بصنم آخر، وفيهم يقول الشاعر منكرًا فعلتهم تلك(٢):

فتبـدلوا اليعبوب بعـد إلههم صـــنمًا فقروا يا جديل وأعذبوا

ولم يكن أثر فشل الحرب يقف عند لوم الأصنام وحدها، بل تتعداها إلى سدنتها، إذ كان عليهم تفسير أسباب الهزيمة التي لحقت بقبائلهم، والبحث عن عُذر قوي لدفع الشك والدفاع عنه، والذي يكون غالبًا يتمحور حول أن هزيمتهم إنما هي سخط وعقاب من تلك المعبودات لتقاعسهم عن عبادتها وتنفيذ أوامرها وترك نواهيها، وأن عقباتهم لن تزول سوى بإرضاء تلك المعبودات(٣).

وربما ارتبطت عقيدة العرب بتقديس الجن والكهان الذين لعبوا دورًا بارزًا في حياة العرب وخاصة في العصر الجاهلي، فـ(الكاهن): هو الذي يمارس كشف الأخبار عن المستقبل والغيب، ويدعي معرفة الأسرار، وكان له غالبًا تابعٌ من الجن يخبره ويعاونه، وكانوا يسمونه بـ (الرئي)(٤).

والكهانة إحدى وسائل التعبد وليس التعبد ذاته، حيث ارتبطت بالدين بشكل مباشر لعلاقتها في الإخبار بالغيب عندهم وتربص القدر، فالكهانة (التنجيمية) مثلاً: هي كهانة ناتجة عن عبادة الكواكب، شاعت بين الشعوب السامية بدرجات متفاوتة، حيث كانوا يلجؤون إليها لاستشارة

---

(١) جواد علي، المفصل، ٦٥/١١.

(٢) الكلبي، الأصنام، ص٦٣.

(٣) جواد علي، المفصل، ٦٥/١١.

(٤) القسطلاني (أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ط٧، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ١٣٢٣هـ، ٣٩٨/٨؛ جواد علي، المفصل، ٣١٣/١٢.

معبوداتهم من الكواكب والنجوم في أمورهم، وكان منه علم (الأنواء) المعروف لدى العرب والذي اعتمدوا عليه في تصريف أمورهم المختلفة(١).

وقد اتخذت الكهانة إلى جوار كهانة التنجيم أشكالًا عدة منها: فمنها الكهانة الناتجة عن الأوقات، والاختيار، وخط الرمل، والبحث في الطالع والتي اندرجت جميعًا تحت مُسمى القيافة والفِراسة(٢).

كما ارتبطت الكهانة بـ(السحر) في فترة انحطاط الديانات القديمة، عندما اتحدت معًا للوقوف في وجه الفكر الفلسفي وهجماته عليها، ففي كل مرة تهاجم فيه يؤدي (السحر) كلا الدورين (الكهانة والسحر) حيث لعبتا في إطار ضيق ومتأخر من العصر القديم ما هو أشبه بالمعجزة والنبوة، وذلك لأن (السحر) يتمحور حول القوة، والكهانة حول (المعرفة)، مما مكنه من سلب عقول الناس بما يأتيه من أمور خارقة(٣).

أما الكاهن عند العرب فقد استحق أن يكون من ذوي الشورى والرأي الغالب في القبيلة، حيث تمتع الكهَّان بسلطة كبيرة وأحيانًا مطلقة في التأثير على حياتهم وخاصة الحربية، حيث كانوا يرجعون إليهم، ويأخذون بقولهم عند إبرام الأمور: كإعلان الحروب، والغارات أو كشف الجرائم، كما أن لهم مقدرة على التنبؤ بقرب الغارات والكوارث أو النصر والهزيمة(٤)، وربما أضافوا له وظائف أخرى ومنها: الطبيب، والسادن، ومقدم القرابين، والقاضي في النزاعات، ومفسر الأحلام(٥).

---

(١) توفيق فهد، الكهانة العربية قبل الإسلام، ترجمة: حسن عودة؛ ورندة بعث، تقديم: رضوان السيد، (د ط)، شركة قدمس للنشر والتوزيع، بيروت، ص٤٤-٤٥.

(٢) توفيق فهد، الكهانة العربية قبل الإسلام، ص٤٤.

(٣) توفيق فهد، الكهانة العربية قبل الإسلام، ص٤٤-٤٥.

(٤) انظر: جواد علي، المفصل، ٣٣٩/١٢.

(٥) جواد علي، المفصل، ٤١٠/١١، ٣٣٨/١٢، ٣٤٠، ٣٧٤/١٦.

وقد كانت الكهانة في الرجال والنساء على السواء، كما ورد اشتراك الكهان في الحروب، لتشجيع أقوامهم وحثهم على القتال، ومن أمثلة ذلك الكاهنة (رقاش) كاهنة طيّء التي كان لها يدٌ طولى في مسيرهم وتشجيعهم في قتالهم(١).

كما أطلق العرب تلك اللفظة على بعض الزعماء والفرسان عندما رأوا صحة رأيهم ورجاحتهم فكأنما تنبؤوا بها، وممن سُمِّي بذلك: (زهير بن جناب الكلبي)(٢) أحد الذين اجتمعت عليه قُضاعة، ذُكر أنه قام بمئتي وقعة، وكان "شجاعًا مظفرًا ميمون النقيبة"(٣).

وكعادة كل مُقدس عند العرب، حصلت التجاوزات والتسفيهات في حق بعض من الكهان وكلمتهم.

فمثلاً: عندما قام الكاهن "مأمور الحارثي" بنَهي مذحج وأحلافها عن غزو تميم، رفضوا السماع لكلامه، فانتهى الأمر بهزيمتهم بيوم الكِلاب الثاني(٤) وقتل المأمور الحارثي(٥).

كما أدخل العرب في ساحة حروبهم نوعًا آخر من الحروب: وهي حروبهم ضد (الجن)، وفي هذه الحرب كان العرب الطرف الأضعف، لأن عدوهم كما يعتقدون هو عدو خفي لا يستطيعون السيطرة عليه، فنسبوا إليه البغي والتعدي، وزعموا أنه قتل عددًا من رجالاتهم: كعلقمة بن سفيان،

---

(١) انظر: الضبي (المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم)، أمثال العرب، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص١٢٠-١٢١.

(٢) (زهير بن جناب): قيل عنه أنه جمع عشر خصال لم تجتمع لغيره في زمانه، فقد كان سيد قومه، وشريفهم، وخطيبهم، وشاعرهم، وقائدهم إلى الملوك، وطبيبهم، وكاهنهم، وفارس قومه، وكان البيت والعدد منه في قومه. انظر: ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٣٦/٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤٥٤/١.

(٤) (الكلاب الثاني): يوم لتميم على مذحج، والكلاب ماء بين الكوفة والبصرة. انظر الهامش: محمد أحمد مولى جاد المولى بك وآخرون، أيام العرب، ص١٢٤.

(٥) ابن المثنى، أيام العرب، ٤٠/٢ وما بعدها. (المأمور الحارث): وهو الحارث بن معاوية؛ أحد فرسان مذحج، وكانوا يأخذون بأمره في التقدم والتأخر. انظر: ابن دُريد، الاشتقاق، ص٤٠٠.

وسعد بن عبادة[١]، وربما ذهبت الروايات إلى عكس ذلك؛ حيث جعلوا من البشر من لديهم القدرة على قتل الجن كما نسبوا ذلك إلى تأبط شرا[٢] وقالوا: بأنه سمي بذلك لأنه قتل غولاً وجاء يحمله حتى ألقاه بين يدي أصحابه[٣]، وعلى كلٍّ نتج عن ذلك ظهور معتقدات جديدة:

كانوا إذا نزلوا واديًا وخافوا على أنفسهم من الجن، وقف أحدهم وصاح بأعلى صوته: "إنَّا عائذون بسِّيد هذا الوادي"، فيكونون بذلك قد اتخذوا لهم خفارة وعهدًا معهم حتى يجيزوا كما يعتقدون[٤]، كما تجنبوا قتل بعض الحيوانات في أوقات محددة، لأنها عندهم من مراكب الجن، فإن حدث وتجرأ أحدٌ على قتلهم خافوا عليه من العقوبة، ويتأكد لهم ذلك عند سماعهم أصوات تتوعدهم بالويل والثبور، واعتقد العرب أن قتل (الحيات) يعد من أعظم ما يتخوف منه العرب، ولهم فيها قصص كثيرة تنتهي بأخذ الجن بثأرها من العرب[٥]، ولكي يتخلصوا من طلب الثأر قاموا ببعض الطقوس للخلاص من شر ليس بالإمكان مواجهته، فيأخذون "روثًا" يُفت على رأس الثعبان المقتول، وهم يكررون: "روثة راث ثأرك"، وقد يأخذ البعض القليل من الرماد ويذرؤه عليها، وهم يقولون: "قتلك العين فلا ثائر لك"، وكل من قتل بعدها فيسمى: (بقتيل العين)[٦].

كما كانوا يُؤدون للجن الدية، ودية الجن تختلف عندهم عن دية البشر، فطبيعتها الغير مُدركة هي ما خلقت هذه الفكرة، فكانوا إذا مرض أحدهم بعد قتله لأفعى أو أيًّا من مراكب الجن، وشكُّوا

(١) الجاحظ، الحيوان، ١٩٩/١؛ الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ط١، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤٢٠هـ، ٦٦٣/٢.

(٢) (تأبط شرا) ٥٣٠م: لقبه واسمه: ثابت بن جابر بن سفيان الفهمي، ذكر أنه أسرع العرب، وكان يسابق الظباء فيقتلها ليأكلها، انتهت حياته بقتله في بلاد هذيل. هنري سعيد عبودي، معجم الحضارات، ص٢٦٣.

(٣) ابن سعيد، نشوة الطرب، ص٥٨٧.

(٤) الجاحظ، الحيوان، ٤٢٨/٦؛ الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ٦٦٣/٢.

(٥) الجاحظ، الحيوان، ٣٤٠/٦-٣٤١.

(٦) الألوسي، بلوغ الأرب، ٣٥٨/٢.

بِنيةِ الجن في الأخذ بثأرها، وبالأخصّ إذا طالت عِلّة المتعدَّى عليه، هرعوا بتشكيل جِمال من طين، ثم وضعوا عليها أوعية تملأ بالحِنطة والشعير والتمر، ثم وضعوها بهيئة معينة عند غروب الشمس، فإذا أشرق اليوم التالي وهي على هيئتها لم تتغير، كلفوا على أنفسهم عناء تزويد الدية لأن ذلك عندهم دليلٌ على عدم قبولها، أما إذا تساقطت كان ذلك علامة للرضى بها، واستيقنوا السلامة والنجاة، وضربوا بالدف فرحًا وابتهاجًا(١).

أما عند (مواجهة) الغيلان والسعالي(٢) فيجب اتخاذ إجراءات دقيقة، فعليهم للتخلص منها وقتلها، وذلك بضربها بالسيف ضربة واحدة، لأنها إذا ضُرِبت مرتين عاشت(٣).

كما عرف العرب تقديس (الشجر) حيث اعتقدوا فيها لسببين: إما لذاتها، وإما اعتقادًا بتجسد آلهة ما فيها(٤)، كالنخلة التي عبدها أهل نجران وأقاموا لها عيدًا كل سنة يعكفون ويعلقون عليها أجود الثياب والحُلي(٥)، وهنالك أيضًا الشجرة المُسماة (ذات أنواط) قرب مكة في وادي نخلة، حيث عظمت عند بعض القبائل العربية، يأتون إليها ويذبحون عندها، ويعكفون عليها يومًا، ويعلقون أسلحتهم عليها، وكل من حج وضع رداءه عندها، ويدخل الحرم دون رداء تعظيمًا للبيت(٦).

واعتقد العرب في بعض الحيوانات وتقربوا إليها وقدَّسوها إما في شكل حيوان بعينه أو في شكل أصنام، ومن أمثلة تلك الأصنام التي شُكلت على هيئتها: (اليعبوب) وهو صنم لطيّء على

(١) الألوسي، بلوغ الأرب، ٣٥٩/٢.

(٢) (الغيلان والسعالي): نوع من الجن، والسعلاة هي: الأنثى من الغيلان، وقيل بل هي أخبثها. الهروي، تهذيب اللغة، ٦١/٢.

(٣) الألوسي، بلوغ الأرب، ٣٤١/٢.

(٤) جرجس داوود بن داوود، أديان العرب قبل الإسلام ووجهها الحضاري والاجتماعي، ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٣٥٠.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٣/١.

(٦) الحموي، معجم البلدان، ٢٧٣/١.

هيئة أسد[١]، كما قدست طيّء الحيوان في هيئته عندما عبدوا (الجمل)، والذي ذكر فيما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم لوفد طيّء عند قدومها للمدينة حيث قال لهم -عليه الصلاة والسلام-: "أنا خير لكم من العُزّى ولاتها، ومن الجمل الأسود الذي تعبدون من دون الله"[٢].

وقد شاركت بعض القبائل العربية بعض تلك الحيوانات المؤلهة في معاركهم كما فعلت تميم عندما أرادت الدفاع عن أراضيها بوجه بكر بن وائل، فأحضروا جملين مقرونين مقيدين وسموهما (الزورين)[٣]—أي الإلهين-، وأقسموا عندها ألَّا يُهزموا حتى تولي آلهتهم، الأمر الذي جعل زعيم بكر "عمرو بن الأصم" **يتخذ** إجراءً حاسمًا بأن نصَّب نفسه إلهًا ليُقوي نفوس قومه وعزيمتهم، وكان ذلك سببًا لنصرهم[٤].

المجوسية:

المجوسية من الألفاظ المعربة الداخلة على اللغة العربية، عربت عن كلمة (مغوس) الفارسية[٥]، وهي عبادة قائمة على عبادة النار، وقد ذكر (الألوسي) أن أول نار عبدت كانت على يد (قابيل)، الذي أغواه الشيطان وأوهمه أن أخاه (هابيل) إنما تتقبل النار قربانه لأنه يعبدها، فبنى قابيل لها داراً وعكف على عبادتها[٦].

---

(١) (اليعبوب): صنم لطيء، كان على هيئة أسد. انظر: جورج كدر، معجم آلهة العرب، (د ط)، مؤسسة الساقي، (د ت)، ص٢٤٧.

(٢) السهيلي، الروض الأنف، ٤٧٤/٧.

(٣) (يوم الزورين): يوم لبني بكر بن ربيعة على تميم، والزورين: كانا بعيرين. انظر الهامش: محمد أحمد مولى جاد المولى بك وآخرون، أيام العرب، ص٢١٢.

(٤) ابن المثنى، أيام العرب، ص٢١٩.

(٥) جواد علي، المفصل، ٢٦٨/١٢.

(٦) الألوسي، بلوغ الأرب، ٢٣٣/٢. عبدت النار ثلاثة طوائف: فمنهم من يرى بتحريم إحراق الأبدان وإلقاء النفس فيه، وهم الأغلبية، ومنهم من لا يمانع بإلقاء أنفسهم فيها وهذه خاصة بملوك الهند ويقام ذلك في احتفال عظيم، ومنهم الزهاد العباد الذين يقضون حياتهم حولها بين صيام ورجاء، يحثون أتباعها على التمسك بمحاسن الأخلاق وترك سيئاتها، أنظر: الألوسي، بلوغ الأرب، ٢٣٤/٢-٢٣٥.

تعظيم النار لم يكن أمراً جديداً، فالكثير من الديانات قدستها، فالديانة المسيحية مثلاً تزعم أن الله سبحانه أوصاهم بها، فلم تكن توجد أي كنائس أو بيع أو بيوت عبادة إلا والنار متأججة بها أبداً، وأنفقوا على ذلك الكثير(١).

أختلف في حقيقة المجوس؛ فيرى البعض أن بدايتهم بفارس، تكونوا من طائفة من رجال الدين لا يُعرف حتى الآن حقيقة أصلهم ومنشأهم وتأريخهم، عبدو مظاهر الطبيعة غير أنهم قدموا النار عليها، وكانوا يسمون (ماجي) أي المجوس، وكان لهم رغم عزلتهم أثر كبير على حياة الفرس السياسية والاجتماعية، فكان بيدهم تفسير الأحلام، وتتويج الملك الجديد، كذلك القيام بطقوس التضحية للجيوش وغير ذلك(٢).

ويرى البعض الآخر وهم الأكثرية أن المجوسية هي الزرادشتيه(٣)؛ وأن زرادشت كما ذكر ابن خلدون كان فقط مُجدداً لِعبادة النّار(٤).

عرف العرب المجوسية(٥) واعتنقتها بعض قبائلهم، حيث وصلت إليهم من عدة أطراف منها(٦):

---

(١) الجاحظ، الحيوان، ٤/٤٩٨.

(٢) الجاحظ، الحيوان، ٤/٤٩٩؛ محمد أبو المحاسن عصفور، معالم، ص٢٧٨-٢٧٩.

(٣) (زرادشت والزرادشتية) حوالي القرن ٧ و٦ ق.م: الزرادشتيه ديانة قديمة مؤسسها زرادشت، كتابه "الأفيستا"، وقد أضاف زرادشت الى ديانته بعض من المعبودات الفارسية القديمة، وقسم آلتها الى ألهين: آلهة للخير وآخر للشر. الموسوعة العربية الميسرة، "زرادشتيه"، ص١٧٣١-١٧٣٢.

(٤) ابن خلدون، تاريخه، ٢/١٩٠.

(٥) انتشرت المجوسية بين العرب لأنها سهلة وهينة عليهم، ولا تكلفهم بناء الهياكل، كما أن العرب لا تبذل في عبادتها للنار شيئًا، ويروى أنها قد انتشرت في قبائل تميم، واعتنقها كثيرٌ من زعمائهم (كزرارة بن عدس) وابنه (حاجب)، والأقرع بن الحابس. الدينوري، المعارف، ص٦٢١؛ محمد بيومي مهران، الحضارة العربية القديمة، دار المعرفة الجامعية، كان، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص٣٩٦.

(٦) برهان الدين دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، ط٣، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٧م، ص٦٠٥-٦٠٦.

أولاً: العلاقات بين الفرس وعرب الحيرة.

حيث يذكر أن (بني دارم) من تميم كانت ممن دخلت لها المجوسية، والتي أخذوها من مخالطتهم لملوك الفرس والسعي وراء إرضائهم(١).

ثانياً: اختلاطهم بالجاليات الفارسية.

والتي كانت مقيمة بمناطق مختلفة من جزيرة العرب، وحضرموت، وعمان؛ وخاصة شرق الجزيرة العربية (البحرين) التي أقاموا بها حيث كانوا أكثر تأثيرًا وأوسع نفوذًا من مجوس عمان لقربهم موطنهم الأصلي الامبراطورية الساسانية(٢)، كذلك انتشرت بهجر(٣)، واليمامة حيث عملوا بالتعدين والزراعة(٤)، وكان لهم تأثيرهم على سكان تلك المناطق من العرب.

ثالثاً: بعد سيطرتهم على اليمن وطرد الأحباش سنة ٥٧٥م.

ويتجلى تأثير المجوسية على العرب من خلال تقديسهم للنار، فقد ذكر "المسعودي": أن جماعة من العرب عبدت نار الحرتين التي كانت بين مكة والمدينة، حيث أُفتتن كثير من العرب بها حتى كادت أن تغلب عليهم المجوسية، إلى أن جاء "خالد بن سنان العبسي" فأطفأها بإذن من الله سبحانه(٥).

---

(١) ابن سعيد، نشوة الطرب، ص٤٤٩؛ أنستاس ماري الكرملي، أديان العرب وخرافاتهم، تحقيق: وليد محمود خالص، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥م، ص٤٣.

(٢) جواد علي، المفصل، ٢٦٩/١٢.

(٣) الشامي (محمد بن يوسف الصالحي)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود؛ علي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ٣٦٨/١١.

(٤) جواد علي، المفصل، ١٢/ ٢٧٠.

(٥) المسعودي (أبي الحسن علي بن الحسين بن علي)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ٥٤/١؛ المقدسي (المطهر بن طاهر)، البدء والتاريخ، (د ط)، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، (د ت)، ١٣٤/٣.

وقد ذهب بعض المؤرخين[١]، أن من آثار تلك الديانة، تعظيم النار عند العرب، وانتشار إشعالها بينهم في سلمهم أو حروبهم[٢]، ومن أشهر تلك النيران التي كانوا يشعلونها:

١- نار الحرب:

وهي من أعظم النيران عند العرب، وكانت توقد على قمم الجبال، عندما يريدون حربًا أو يتوقعون هجومًا قادمًا؛ فيشعلوا النار حتى يُعلموا بها حلفاؤهم، ومن يرجون مساعدته لنصرتهم، وقد يوقدون نارين إذا كان الأمر عظيمًا خطيرًا[٣]، كما حصل (يوم خزاز) عندما أرسل "كليب وائل" قائده لحرب اليمن وطلب منه أن يشعل نارًا على جبل خزاز ليهَتدوا بها، وإذا ما غشيهم العدو يوقد نارين، وهذا ما فعله قائده عندما اجتمعت عليه جموع "مذحج"، فأسرع كُليب لنَجْدته وهزمهم[٤]، وفي هذا يقول عمرو بن كلثوم[٥]:

---

(١) برهان الدين دلو، جزيرة العرب، ص٦٠٦؛ جواد علي، المفصل، ٢٧٢/١٢ وما بعدها؛ سميح دغيم، أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٥م، ص٨٣.

(٢) النار عند العرب أربعة عشر ناراً وهي: (نار المزدلفة) بعرفه وضعت ليستدل بها الحجيج، وأول من أوقدها قصي بن كلاب، (نار الاستسقاء) كانوا إذا أجدبت للسنين جمعوا ما قدروا من البقر، وعلقوا في عراقيبها وأذنابها العشر والسلع، ثم صعدوا بها في جبل وعْر وأضرموا فيها النار وعجُّوا بالدعاء، ويرون أنهم يمطرون بذلك، (نار التحالف) لا يعقدون حلفاً إلا عليها، (نار الغدر) تشعل إذا غدر الرجل بجاره أوقد له نارًا بمنى أيام الحج، ثم قالوا: هذه غدرة فلان، (نار السلامة) توقد للقادم من سفره سالمًا غانمًا، (نار الزائر والمسافر) وذلك أنهم إذا لم يحبوا الزائر والمسافر أن يرجعا أوقدوا خلفه نارًا، وقالوا أبعده الله وأسحقه، (نار الحرب) وتسمى نار اللاهبة، توقد على بقاع إعلامًا لمن بعد عنهم، (نار الصيد) يوقدونها فتغشى أبصارهم، (نار الأسد) كانوا توقد لطرده، (نار السليم) وهي للملدوغ إذا سهر، (نار الكلب) يوقدونها للكلاب حتى لا تنام، (نار الفداء) كانت ملوكهم إذا سبوا قبيلة وطلبوا منهم الفداء كرهوا أن يعرضوا النساء نهارًا لئلا يفتضحن، (نار الوسم) يسمون بها الإبل، (نار القرى) وهي أعظم النيران توقد لجذب الضيوف، (نار الحرتين) وهي التي أطفأها الله تعالى لخالد بن سنان العنسي حيث دخل فيها وخرج منها سالمًا وهي خامدة؛ انظر: الهمذاني (محمد بن حسين بن عبد الصمد)، الكشكول، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٩١/١-٢٩٢.

(٣) العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد)، الأوائل، ط١، دار البشير، طنطا، ١٤٠٨م، ص٣٧.

(٤) ابن المثنى، أيام العرب، ٢٠/٢.

(٥) ديوان عمرو بن كلثوم، ص٨٢.

ونحن غداة أوقد في خزازى رفدنا فوق رفد الرافدينا

٢- نار الحلف:

كانت العرب تجتمع عند عقدها الأحلاف حول النار، وقد يُلقون فيها الكبريت والملح، حتى إذا ما فرقعت قال بعضهم: إن النار تتوعد من نقض هذا الحلف، ويدَّعون بأن تحرم النار خيرها على من يخون قدسيتها، ويتلفظون بعبارات يعتقدون أنها تشد وتزيد من قوة حلفهم ذلك، فيَنسحب بعد ذلك من أضمر الغدر، ويبقى من أراد وفاءه فيُعقد عندها الحلف(١)، ومن هذا الباب، ما قامت به بطون من بني مرة بن عوف، عندما تحالفوا بجوار نار ولبثوا مُحيطين مجتمعين حولها حتى ضعفت أبصارهم، وكادوا يحترقون بها فسموا (المحاش)(٢)، وفي هذا يقول النابغة يهجو رئيسهم(٣):

جمّع محاشك يا يزيد فإنني جمعت يربوعًا لكم وتميما

٣- نار الفداء:

وهي نار أُختصت بالملوك والأشراف، فمتى ما حصلت الحرب وقام الملوك بسبي القبائل، خرج إليهم مشايخهم للاستيهاب والفداء، فتوقد لذلك النار لسببين:

حتى يَعرضوا على ضوئها النساء لأهلهن ليلًا فلا يُفضحن، وحتى لا يُعرضن في الظلمة، فتخفى قدر ما استطاع الملوك غنيمتهم واصطفائها لأنفسهم(٤).

---

(١) توفيق برو، تاريخ العرب، ص٢٠١.

(٢) الجاحظ، الحيوان، ٤/٤٩٤.

(٣) النابغة (النابغة الذبياني)، ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، القاهرة، (د ت)، ص١٠٢.

(٤) السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر)، شرح شواهد المغني، وقف على طبعه وعلق على حواشيه: أحمد ظافر كوجان؛ تعليق وتذييل: محمد محمود ابن التلاميد، (د ط)، لجنة التراث العربي، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، ١/٣٠٨.

ففي يوم "أوارة الأول"[١] عندما حارب المنذر بن ماء السماء[٢] بكر بن وائل، فقتل منهم الكثير وأسر وسبى الكثير، وكاد أن يقوم بإحراق السبايا لولا شفاعة رجل من قيس بن ثعلبة قد استعطفه فيهن، فأطلقهن[٣]، وفي ذلك يقول الأعشى[٤]:

ومنا الذي أعطاه بالجمع ربه على فاقة وللملوك هباتها

نساء بني شيبان يوم أوارة على النار إذ تجلى له فتياتها

وللتعقيب على ما سبق، تجد الباحِثة أنه لا توجد علاقة تربط بين تلك النيران والمجوسية، باستثناء "نار الحلف" التي يظهر أن لها جذورًا فيها، فنار (الحرب) لم تكن حصرًا على العرب فقط؛ إذا أن الكثير من الشعوب القديمة وخاصة تلك التي تكثر فيها التضاريس الجبلية كانت النار هي الوسيلة الأكثر سرعة وفاعلية، فهي الوسيلة الوحيدة التي يخرق نورها حالك الظلمات، وتقف عاتية في أغلب وجوه تقلبات المناخ، لذلك إذا قيل إن نار الحرب اكتسبت قدسية عند العرب فلكونها منقذة أرواحًا، على الأقل لإحدى طرفي الحرب.

أما (نار الفداء): فترى الباحِثة أن سببها لا يتجاوز حدود ما ذُكر في وصفها، فالغرض منها طلب الكتمان والسرية، والحفاظ على كرامة مشيخة القبائل.

---

(١) (أوارة الأول): يوم للمنذر بن ماء السماء على بكر بن وائل، وأوارة: اسم جبل لبني تميم. انظر الهامش: محمد أحمد مولى جاد المولى بك وآخرون، أيام العرب، ص٩٩.

(٢) (المنذر بن ماء السماء) ٥١٤-٥٦٣م: أشهر ملوك اللخميين وأكثرهم أعمالًا. انظر: هنري سعيد عبودي، معجم الحضارات، ص٨١٥.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ٤٩٧/١.

(٤) الأعشى (ميمون بن قيس)، ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق: محمد حسين، (د ط)، مكتبة الآداب بالجماميزت، (د ت)، ص٨٧.

المزدكية (من حوالي ٤٩٦-٥٢٩م)[١]:

يتلخص تأثير (المزدكية) في جزيرة العرب على: مملكة الحيرة، وكِنْدة، فبعد أن أصبحت الديانة المزدكية الملة الجديدة للفرس[٢]، أرسل (قباذ)[٣] للمنذر بن ماء السماء يدعوه لاتِّباع دينه الجديد، فرفض المنذر اتِّباعها وفرَّ من قباذ[٤].

ولما كانت أطماع مملكة كِنْدة في تزايد مستمر وبالأخصّ بعد أن امتد سلطانهم ليشمل: قبائل ربيعة بنَجْد، وبكر بن وائل، وبني أسد، وكِنانة[٥]، كانت هذه فرصة مواتيه لن تتكرر لهم، فوافق الحارث بن عمرو الكندي[٦] على اتِّباعه[٧].

وقد كثرت الأقوال في سبب عزل قباذ للمنذر وتولي الحارث، وكيف تم ذلك، وترى الباحِثة أن في أقوال (بروكوبيس) خير ما يبرر هذا الحدث:

---

(١) هنري سعيد عبودي، معجم الحضارات، ص٦٧٠، ٧٨٩.

(٢) (المزدكية): تنسب إلى مزدك وقد نادى بأن تكون الأموال والنساء مشتركة، وقد قبل قباذ بن فيروز تلك الديانة لأسباب اختلف فيها، وكانت سبب فيما بعد لحبسه وهربه، ثم عاد للحكم ولم يعلن تمسكه بها رسميًا، ورأى إخفاء اتباعها سرًا. حسن بيرنيا، تاريخ إيران القديم، ترجمة: محمد نور الدين عبد المنعم؛ والسباعي محمد السباعي، مراجعة: يحيى الخشاب، (د ط)، مكتبة الأنجلو، القاهرة، (د ت)، ص٢٥٣.

(٣) (قباذ) ٤٨٨-٥٣١م: ملك فارسي من ملوك السلالة الفارسية، تم خلعه من الحكم بواسطة رجال الدين والأشراف من الفرس عام ٤٩٦م، غير أنه استعاد ملكه عام ٤٩٨/٤٩٩م حيث بقي فيه إلى أن مات. انظر: هنري سعيد عبودي، معجم الحضارات، ص٦٧٠.

(٤) وقد أورد أبو عبيدة ابن المثنى رواية أخرى في ذلك، للمزيد؛ انظر: أبو عبيدة بن المثنى، أيام العرب، ٢/٢٥-٢٦؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ١/٧١؛ الأصفهاني، الأغاني، ٩/٦٠.

(٥) محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب، ص٦٠٩.

(٦) (الحارث بن عمرو الكندي): ملك كندة، توفي حوالي عام ٥٤٠م، كان شديد في حكمه وله مطامع كبيرة، وافق قباذ في دعوته للأخذ بالديانة المزدكية، فكافأه بملك الحيرة، غير أنه تركها هارباً بعد تولي أنو شروان، حيث ارتحل لديار بني كلب وظل بها حتى قتل في ظروف غامضة. هنري سعيد العبودي، معجم الحضارات، ص٣٣٦.

(٧) أبو الفداء، المختصر، ١/٥٢، ١/٧١؛ ابن خلدون، تاريخه، ٢/٣٢٤.

إذ أنه يصف شخص المنذر بأنه: رجل يمتلك رصانة وخبرة حربية عظيمة، كما أنه مخلصٌ للفرس بشكل غير طبيعي(١)، ثم قال:

إنه أخطر وأصعب عدو واجهته روما ذلك الوقت، أجبرها أن تركع على ركبتيها لمدة خمسين سنة، ويكفي الذكر بأنه ساح قتلًا وسلبًا ونهبًا، يأسر الكثير في كل غارة يشنُّها، دون ذكر القتلى، ولم يستطع أحدٌ أن يتصدى له، إذ لا يوجد قائد في الروم أو أتباعهم الغساسنة بإمكانه الوقوف في وجهه، وكان عذره في شنِّ حروبه: أنه وجد الفرصة سانحة أمام وجهه(٢).

ومن هنا يظهر كيف أن المنذر شخص لا يهاب الموت بل يَهبُه أيضًا، وهذه من صفات العرب في تلك الفترة، ثم بين (بروكوبيوس) مصدر قوته، قائلاً: وذلك لأنه يحمل منصب ملك، ويحكم وحده كل قبائل فارس، وإلى جوار ذلك كان مخوَّلٌ له القيام بأي غارة وبالجيش الذي يريده على أراضي الروم(٣).

أما (قباذ) فقد ابتدأ بالفعل فرض مبادئ عقيدته على مملكته وما تحت يده من ممالك، ويُذكر أن ملك مملكة إيبريا (Iberians) النصرانية، خافت من عرض قباذ، وبالأخصّ عندما قال إن عليهم رمي موتاهم لتنهشهم الكِلاب والطيور، فطلبوا المساعدة من الروم(٤).

ومثل هكذا أمر ما كان المنذر المجبول بفطرة العربي وذو الشخصية القاهرة أن يرضخ لها، ويلوث سمعته التي بناها طيلة حياته، لذا كان من المناسب له التخلي عن مُلكه مع الحفاظ على كرامته، وربما لو أن شخصًا آخر غيره لقبل بها، مثلما فعل (الحارث بن عمرو الكندي).

أما عن انتشار المزدكية في جزيرة العرب فكان انتشارا ضعيفًا جدًا؛ وترى الباحِثة أن ذلك يعود لقلة فترة حكم كِنْدة على الحيرة، إضافة أن كِنْدة نفسها لم تعمل على نشرها، ولم تجد الباحِثة ما

(1) Procopius, History of the wars, 1/157.
(2) Procopius, History of the wars, 1/157.
(3) Procopius, History of the wars, 1/159.
(4) Procopius, History of the wars, 1/97.

يدلل على أنهم أنفسهم طبقوا شيئًا منها، مما يدل على أن هدفها منذ البداية كان سياسيًا بحتًا، وبما أن قوة كِنْدة التي سيطرت على العرب لم تُجبر ساداتهم والأغنياء منهم على شيء فما الفائدة من أن يقاسموا فقراءهم في مالهم ونسائهم، أما الفقير فلا يَجرؤ على المطالبة بشيء من رؤسائه، فالعصبة أهم، وإلا أصبح خليعًا طريدًا، فكان الانتساب لقبيلته والحفاظ على أمنها أرحم له وأأمن من أن يحل النزاع بينهم فيطمع فيهم الأعداء.

المبحث الثاني

الديانات السماوية (اليهودية، والنصرانية)

اليهودية:

هناك العديد من الأدلة على انتشار اليهودية في جزيرة العرب، غير أن الأثر الديني لليهود على أيام العرب أو العكس كان غير واضح المعالم؛ وذلك لأنهم سكنوا مناطق محددة من الحجاز واليمن داخل مستوطنات محددة فلم تنقل لنا المصادر التاريخية حروبًا خاصة بهم، فكل الحروب التي شاركوا فيها كانوا طرفًا ثانويًّا فيها، لكونهم أحلافًا، وهو الغالب على مشاركتهم في أيام العرب (حروبهم).

وربما كان حفاظهم على مكانتهم الاقتصادية جعلتهم بعيدًا عن المشاركة، وربما اكتفوا بإثارتها والكسب المادي من تصريف بضائعهم، وصناعاتهم وخاصة الحربية.

ولا شك أن طبيعة الديانة اليهودية شكلت عامل طرد للعرب؛ فالدين اليهودي لم يكن دينًا تبشيريًا، كما أنه كان محظورًا على اليهود أنفسهم العمل على نشره في بعض الوجوه(١).

كما أن التغيرات الطارئة عليه، والتي وُضعت لتلائم أوضاع اليهود الاجتماعية والروحانية في الجزيرة العربية التي وصلوا إليها، أبعدت الراغبين في الدخول فيها، فعندما كان الوافد الجديد يَعرض بالأخذ بجوهر الديانة دون فروعها لم يرضَ منهم اليهود هذا؛ لأن ذلك بالنسبة إليهم كالوثنية، وأن الواجب على الوافد الجديد فيهم أن يقوم بكل طقوسهم على قدمٍ وساقٍ(٢)، فمثلاً كان بإمكان اليهود العمل ما شاءوا طيلة الأسبوع باستثناء (يوم السبت)، يرد في التوراة:

"وأما اليوم السابع ففيه يكون لكم سبت عطلة مقدس للرب، كل من يعمل فيه عملًا يُقتل، لا تشعلوا نارًا في جميع مساكنكم يوم السبت"(٣).

---

(١) إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود، ص٧٢.

(٢) إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود، ص٧٢-٧٣. انظر: (خريطة رقم ٥).

(٣) العهد القديم، الخروج، ١/٣٥.

كذلك عند الحرب والغنيمة تُباد كل نفس من (الأمم القريبة) التي حاربوها ولا يبقى منهم نسمة، سواء من البشر بشتى أطوار حياتهم، بل حتى الحيوانات، يرد في التوراة:

"حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، (١١) فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك، (١٢) وإن لم تسالمك بل عملت معك حربًا فحاصرها، (١٣) وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، (١٤) وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة، كل غنيمتها، فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك، (١٥) هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدًا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا، (١٦) وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبًا فلا تستبق منها نسمة ما، (١٧) بل تحرمها تحريمًا"[١]، وهنا وقف العربي حائرًا إذ أن أغلب حربه ومعاشه هو مما يسلبه من الآخرين.

كما أن طبيعة الإنسان العربي نفسه تميل إلى الحرية لا التقيد، وبما أن اليهودية كانت تُكلف أتباعها بتكاليف صعبة وتقاليد كثيرة، لم يشأِ العربي ربط نفسه بكل هذه الأغلال والقيود[٢].

وكان اليهود أنفسهم يرون أنهم شعب الله المختار، ولم يشأِ العربي أن يدخل نفسه في دين يجعله في طبقة دنيا[٣]، حيث نَجِد في كتابهم:

"متى أتيت إلى الأرض التي يُعطيك الرب إلهك، وامتلكتها وسكنت فيها، فإن قُلت: اجعل علي ملكًا كجميع الأمم الذين حولي، فإنك تجعل عليك ملكًا الذي يختاره الرب إلهك من وسط إخوتك تجعل عليك ملكًا، لا يحل لك أن تجعل عليك رجلًا أجنبيًا ليس أخاك"[٤].

---

(١) العهد القديم، التثنية، ٢٠/١٠-١٧.

(٢) إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود، ص٧٣.

(٣) أبو شهبة، السيرة النبوية، ٧٩/١؛ إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود، ص٧٤.

(٤) العهد القديم، التثنية، ٨/١٧.

وكذلك نظرة العرب أنفسهم لهم، حيث يجدونهم ما بين صبّاغ وجلّاد وصائغ، وهي الأعمال التي احتقرها بعض العرب وعيّروا أهلها، فاعتقدوا أن دينهم محتقر مثلهم(١)، كما أن الأغلبية منهم كانوا يتصفون بصفات يمقتها العرب، كحرصهم على المال، والمماطلة، والتدليس(٢)، فشكل ما سبق عامل طرد للعرب جعلهم يعزفون عن الدخول في دينهم، ومع كل ذلك لا يتبين دورهم في المشاركة في أيام العرب والتأثر بها.

أ- يهود يثرب:

لعب يهود يثرب دورًا بارزًا في حياتها اليومية على عكس بقية يهود الحجاز، حيث نَجِدهم يُدخلون أنفسهم في تأليب الصراعات الدامية بين سكان يثرب من العرب وعلى رأسهم قبيلتي الأوس والخزرج، وكانت أول مشاركة لهم في يثرب هي: (يوم سمير)، والتي قامت بسبب دية حليف رفضت الأوس أن تدفع إلا نصف الدية الكاملة لكون المغدور حليفًا، بينما أصر الخزرج على دفعها كاملة، فوقف الطرفان في وجه بعضهما وأرسلوا ليهود يثرب يستنصرونهم كلٌّ على الآخر، فدخل (بنو قينقاع) مع الخزرج، بينما انضم بنو النضير وبنو قريظة للأوس، وأشارت المصادر لاستمرار الصراع بينهم حوالي عشرين عامًا، يعودون للقتال بين كل مرة ومرة، ولم تحفظ الكثير من أيامهم(٣).

وهذا الحلف على ما يظهر قائم على أساس الجوار، فقد كان كُلٌّ من بني قريظة وبنو النضير يسكنون أراضي زراعية قريبة من مساكن الخزرج الذين كانوا يُسيطرون على المناطق الزراعية الغنية في يثرب، أما الخزرج الذين كانوا يسكنون مناطق أقل خصوبة فكان إلى جوارهم (بنو قينقاع)(٤).

---

(١) الجاحظ (عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي)، الرسائل السياسية، (د ط)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د ت)، ٣١٦/٣.

(٢) أبو شهبة، السيرة النبوية، ٧٩/١.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ١٦/٣ وما بعدها.

(٤) أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة، ص٢٥٩. عندما سكن الأوس والخزج يثرب؛ كان اليهود هم المتحكمين في زمامها، فسمحوا لهم بالبقاء وتحالفوا، غير أن اليهود عندما رأت الأوس والخزرج تزداد أعدادهم وقوتهم، خافوا أن يظهروا عليهم،

وقد ترتب على هذه الحرب نتائج مهمة:

إذ كانت فاتحة حروب كثيرة بين القبائل العربية في يثرب وخاصة الأوس والخزرج ويهودها، غرقوا بسببها في دوامة من التشتت بدل من اتحادهم، فالأوس والخزرج نسوا أخوتهم في الدم، بينما نسي اليهود أخوتهم في الدين، وتحاربوا فيما بينهم(١)، وهذه الحروب مهدت لحروب أخرى بعد مجيء الإسلام.

وقد اشتهرت حروب الأوس والخرج بين العرب، وعملت كثرتها على صقلهم وتنوع مهاراتهم، فعظم أمرهم في عيون العرب وخافوهم واعتزلوا حربهم(٢).

أما بالنسبة لليهود فلم يكن في أيديهم سوى اتخاذ موقف الدفاع، والنهوض لنَجْدة أحلافهم متى ما طلبوهم في الحرب، فأكثروا من تسليحاتهم وحصونهم لحماية أنفسهم وأموالهم(٣)، وتحقيق أهدافهم الاقتصادية والدينية حيث عملوا على تنفيذ شريعتهم وتطبيقها في شؤونها.

كما لا يمكننا الخروج بالشيء الكثير من دورهم في أيام العرب في العصر الجاهلي، لكن بالإمكان أخذ فكرة عامة عن أساليبهم التي اتَّبعوها في حروبهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم، والتي كانت امتدادًا لحروبهم السابقة، ومنها:

فعملوا على فض حلفهم معهم، وسعوا لنزاعهم لدرجة أزعجت الفريقين منهم، فقاتلوهم واستبدوا بحكم يثرب، وأمسى اليهود هم القوة المستضعفة فيها. انظر: ابن خلدون، تاريخه، ٣٤٦/٢.

(١) الطبري (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب)، جامع البيان في تأويل القرآن (المعروف) بتفسير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ٣٠٧/٢.

(٢) البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر بن داوود)، فتوح البلدان، (د ط)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م، ص٢٦.

(٣) الشريف، مكة والمدينة، ص٢٨٣؛ ابن خلدون، تاريخه، ٣٤٦/٢.

١- كانوا يُحرّمون على أنفسهم قتال أعدائهم في أوقات أعيادهم الدينية كيوم السبت، وعيد رأس السنة وغيرها(١).

٢- كانوا يستعدون للحرب والمباغتة في وقت قريب من الفجر، حينها يكون الوقت ليلاً والظلام دامس، والناس في مساكنهم نيامٌ، كما أنه وقت مناسب لكسب المزيد من الوقت قبل أن يأتي المدد(٢).

٣- كانوا يستفتحون حروبهم بطقوس دينية لتكون حروبهم حربًا مقدسة(٣)، حيث يرد في كتابهم: "لأن الرب إلهكم سائرٌ معكم لكي يحارب عنكم أعداءكم ليخلصكم"(٤)، وكذلك ما جاء في القرآن الكريم:

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٥).

(١) الواقدي (محمد بن عمر بن واقد السهمي)، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، ط٣، دار الأعلمي، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ٥٠٢/٢-٥٠٣؛ حسن ظاظا؛ محمد عاشور، شريعة الحرب عند اليهود، ط١، دار الاتحاد العربي للطباعة، ١٩٧٦م، ص٩٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣٠/٤.

(٢) الواقدي، المغازي، ٦٤٢/٢؛ حسن ظاظا ومحمد عاشور، شريعة الحرب، ص٦٩.

(٣) حسن ظاظا ومحمد عاشور، شريعة الحرب، ص٦٩.

(٤) العهد القديم، التثنية ١/٢٠-٤.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٤٩ و٢٥٠.

وقد ورد أنهم كانوا يستخدمون اسم النبي -محمد صلى الله عليه وسلم-في استفتاحهم في حروبهم قبل بعثته عليه الصلاة والسلام فيُنصرون بإذن من الله ضد القبائل التي كانت تهاجمهم: كجهينة، ومزينة، وبني عذرة، وأسد وغطفان، فكانوا يقولون في دعائهم: "اللهمَّ إنَّا نسألك باسم النبي الذي نَجِده في كتابنا تبعثه فِي آخر الزمان أن تنصرنا"(١)، وكانت قبل ذلك دائمًا ما تلحقهم الهزيمة(٢)، وهو ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٣).

٤-اعتبر اليهود أنفسهم شعبًا مضطهدًا على الدوام، لذا اقتبسوا فكرة تحصيناتهم الحربية من كتابهم المقدس الذي أمرهم بذلك لحماية أنفسهم ممن حولهم، فاتخذوا الحصون والمخابئ(٤)، ويرد في التوراة:

"بسبب المديانيين عمل بنو إسرائيل لأنفسهم الكهوف التي في الجبال والمغاير والحصون"(٥)، ولهذا السبب لقبهم الأوس والخزرج (بالثعالب)(٦) لأنهم كانوا يختبئون دائمًا في آطامهم أثناء الحرب، فهم بذلك كالثعالب التي تلجأ لتختبئ في جحورها(٧).

(١) مقاتل بن سليمان (أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير البلخي)، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ط١، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٣هـ، ١/١٢٢.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢/٣٧٨.

(٣) سورة البقرة، آية ٨٩.

(٤) حسن ظاظا ومحمد عاشور، شريعة الحرب، ص١٧٢.

(٥) العهد القديم، القضاة، ٦/٢.

(٦) للمزيد، انظر (يوم بعاث) في: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١/٦٠٢.

(٧) الواقدي، المغازي، ١/٤٩٩.

٥- لا يسمح للنساء دخول الحرب أو المشاركة فيها، فعند الحرب يُلجؤون نساءهم وذراريهم إلى حصونهم[١]، وهم في هذا خالفوا العرب الذين يُحضرون نساءهم للحروب ليستبسلوا فيها، جاء في التوراة: "نساؤكم وأطفالكم ومواشيكم تلبث في الأرض التي أعطاكم موسى في عبر الأردن، وأنتم تعبرون متجهزين أمام إخوتكم، كل الأبطال ذوي البأس، وتعينونهم"[٢].

٦- حُرِّم على اليهود سفك دماء بعضهم البعض، وطُلب منهم فداء أسراهم، غير أنهم التزموا بنصف وعطَّلوا النصف الآخر، فنَجِدهم متى ما شبَّت الحرب بين الأوس والخزرج يهبُّون للحرب إلى جوار أحلافهم ضد إخوتهم في الدين، ويغلبون بعضهم، ويخربون بيوتهم ويخرجونهم منها، وإذا ما انقضت الحرب اجتمعت (كل الأطراف اليهودية التي حاربت ضد بعضها) وسارعوا لجمع المال وفكّ أسراهم منهم[٣]، فكانوا بهذا يفدون بعضهم إذا وجدوه في يد غيرهم بينما يقتلونهم بأيديهم، وفي هذا ورد قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٤].

(١) حسن ظاظا ومحمد عاشور، شريعة الحرب، ص٧٢.

(٢) العهد القديم، يشوع، ١/١٤.

(٣) الطبري، تفسيره، ٢/٣٠٥-٣٠٩.

(٤) سورة البقرة، آية ٨٤-٨٥.

وهذا الأمر أثار سخرية العرب منهم، أن كيف تقاتلونهم ثم تفادوهم! فكانت اليهود ترد عليهم: بأن ديننا يأمرنا بفداء أسرانا، كما يُحِرّم علينا قتالهم، وإنما خالفنا ديننا لأننا نستحي أن نخذل حلفاءنا![١]

٧- اهتموا بقتلاهم في ساحة المعركة أشد الاهتمام، حيث كانوا يقومون بسحبهم من ميادين المعركة وقت القتال، ويحرصون على إدخالهم لحصونهم وهم قتلى في أسرع وقت ممكن؛ وذلك لأن اليهود ملزمين باتّباع طقوس خاصة بموتاهم وإلا حلّت لعنة الرب على الميت وعائلته: حيث يجب عليهم دفنه بأسرع وقت ممكن على أرض يهودية كلما أمكن ذلك وإذا لم يُدفن: هامت روحه[٢] عليهم، فكانوا يقولون إن روحه أو (الهامة) تبقى على قبر المقتول سبع ليالٍ تحوم عليه ثم تذهب دون رجعة[٣]، وهم في ذلك خالفوا العرب في أنها تبقى حتى يُؤخذ بثأر صاحبها.

٨- كانوا دائمًا ما يُهددون الأوس والخزرج، أن كُتَّابهم ينبِّئونهم بقرب ظهور نبي سيتبعونه وسيستبيحون به دماءهم ويبيدونهم إبادة ثمود وإرم[٤].

ومن الجدير بالذكر أن يهود يثرب اكتفوا بمحالفة أهلها، فعمل هذا الحلف على توطيد وتقوية العلاقة بين المتحالفين فنما بينهم الود والإخاء[٥]، لدرجة أنه عندما أجلى رسول الله اليهود من المدينة حزن بعضهم لفراقهم[٦]، كما أن بعضًا من الأوس والخزرج بالفعل كان قد قَدَّم بعض أبنائه ليتهوَّد؛ وذلك لِما علموا حقهم في كونهم أهل ملَّة ودين، فكانت المرأة من نساء الأوس

(١) الطبري، تفسيره، ٣٠٧/٢.

(٢) حسن ظاظا ومحمد عاشور، شريعة الحرب، ص٧٠؛ انظر (غزوة خيبر) في: الواقدي، المغازي، ٦٦٣/٢.

(٣) العسقلاني، فتح الباري، ٢٤١/١٠.

(٤) الطبري، تفسيره، ٣٣٣/٢.

(٥) العسقلاني، فتح الباري، ٢٢٦/١٠.

(٦) للمزيد انظر: الواقدي، المغازي، ٥١٥/٢؛ إضافة لبقية غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود بذات الكتاب.

والخزرج تنذر إذا عاش ابنها أن تُتْبعه بالدين اليهودي، وعندما جاء الإسلام وأُجلِي بنو النضير من المدينة كان من بينهم أبناء من الأنصار(١).

وعلى كُلٍّ يبدو أن الحروب أثقلت كاهل الطرفين في فترة من تاريخهم، لدرجة أنه لم يعد بالإمكان التوفيق بينهم إلا بملك يجمعهم، فارتحل رجل من الخزرج يدعى (عمرو بن الإطنابة) إلى النعمان بن الحارث الغسَّاني يشكوه حالهم، فملَّكه عليهم وألبسه تاجًا؛ فأصبحت الرئاسة بذلك في الخزرج(٢)، غير أن هذا الملك الجديد لم يُقدم شيئًا في سبيل التوفيق بين الأطراف، ويتضح أنه لم يكن على حكمة ورشد تامٍّ لُيدرك مدى تأزم أوضاع يثرب ويعمل على إصلاح ذات البين، ولأجل هذا نَجِد والد الشاعر حسان بن ثابت الخزرجي—رضي الله عنه-يهجوه، ويقول(٣):

ألكني إلى النعمان قولا محضـــته وفي النصــح للألباب يومًا دلائل

بعثت إلينا بعضـــنا وهو أحمق فيـا ليتـه من غيرنا وهو عـاقـل

وبذلك ازدادت حروبهم التي كان (يوم بعاث) آخرها خاضــوها قبل مجيء الإســلام بخمس سنوات عام (٦١٧م)(٤)، وهي إحدى أيامهم العظيمة، حيث شَحنت كلُّ الأطراف أحلافها من اليهود ومن العرب، وكان يبدو من مطلعها أن النصر لا يكون إلا بفناء أحدهم، فاستطاع الأوس هزيمة الخزرج حتى كادوا أن يفنوا لولا أن حَكَّم (الأوس) عقولهم فتركوا القتال خشــية أن يســتعيد اليهود مركزهم السابق فيضطروا لمواجهتهم على انفراد، وبالأخصّ بعد أن بدت نوايا اليهود واضحة في تحطيم الخزرج كقوة(٥).

---

(١) الطبري، تفسيره، ٤٠٧/٥؛ المقريزي (أحمد بن علي بن عبد القادر)، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ٣٦٧/١٤.

(٢) ابن خلدون، تاريخه، ٣٤٦/٢.

(٣) ابن سعيد، نشوة الطرب، ص١٨٩، ١٩٦؛ الأصفهاني، الأغاني، ٨٥/١٣-٨٦.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ٦٠٢/١؛ محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب، ص٤٢٨؛

(٥) ابن الأثير، الكامل، ٦٠١/١-٦٠٢؛ الشريف، مكة والمدينة، ص٢٨١.

وبعد هذه الحرب التي استنزف فيها الأوس والخزرج الكثير قوتهم وأرواحهم، وأضرَّت بسبل عيشهم، وكرهوا الفتنة، رأوا أن يركنوا إلى السلام، ولما كان "عبد الله بن أبي" قد استغل موقفه الحيادي بين الطرفين فحمى نفسه وأمواله من الاعتداء، استطاع أن يكسب لنفسه مركزًا بين هذا الجو المضطرب(١)، حتى أمسى أشرف من في يثرب، لأجل هذا اتجهت إليه الأنظار فأرادوا تنصيبه ملكًا عليهم غير أن ظهور شخص النبي – صلى الله عليه وسلم- ألغى هذه الفكرة لخير أعظم كُتِب لهم(٢).

ب- اليهود خارج يثرب:

أما عن بقية يهود الحجاز، فقد ركزوا على تجارتهم، وليس لهم ذكر في حروب العرب سوى لبعض أفرادهم ومنهم: رجل من يهود وادي القرى لم يرد اسمه كان من أحلاف بني ثعلبة، فأغار رجل من العرب على رجل من أحلافه وأخذ إبله منهم فأعطاها هذا اليهودي في دَيْنٍ له عنده، ولما علم اليهودي بذلك ردها إلى صاحبها من أحلافه، وآثر السلام والإيمان على المال حين قال: بأن هذا سينقض العهد مع أحلافنا، وقال أيضًا: "نحن نقرأ الكتاب ولا ينبغي لنا أن نغدر"(٣).

أما الشخصية الأخرى، فهي الأكثر شهرة من بين اليهود والعرب أيضًا، ممثلة بشخص: (السموأل بن عاديا)(٤)، الذي ترك امرؤ القيس بن حجر أدرعه عنده قبل سيره إلى الروم وموته في طريق عودته، فاتجه (الحارث بن أبي شمر الغسَّاني) ليأخذها من السموأل الذي تحصن في قلعته،

(١) أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة، ص٢٨١.

(٢) ابن خلدون، تاريخه، ٣٤٧/٢.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ١٩١/٣.

(٤) (السموأل بن عاديا): يهودي من أهالي تيماء، وأحد شعراء الجاهلية، له قصته المشهورة بالوفاء مع امرئ القيس. هنري سعيد عبودي، معجم الحضارات، ص٤٩٢.

ليمنعه، فأخذ الحارث ابنًا له كان خارج السور وهدده بقتله إن لم يسلمه الدروع، فاختار السموأل الوفاء بنذره، فقَتلوا ابنه أمام عينيه(١).

وهناك أيضاً شخص الملك الحِمْيري يوسف أسار (ذو نواس)(٢) وصراعه مع نصارى نجران، فقد كان الأثر اليهودي في جنوب الجزيرة أكبر في عهد الملك الحِمْيري (زرعة ذو نواس) الذي اعتنق اليهودية، والذي كان قد تولى مُلك حِمْير بطلب منهم عام ٥٢٢م(٣)، فغير اسمه إلى (يوسف) أسار يثأر(٤).

وهنا تكثر الروايات التي طَرحت عدة آراء حول الحقائق التي تحكمت بأفعال ذي نواس، تجاه نصارى نجران، **منها (دينية):**

جعلت من ذي نواس يهوديًا متعصبًا لدينه، يحاول فعلًا إلغاء الوجود النصراني في مملكته، وجَعلِ بلاده مملكة يهودية مستقلة دينيًا، وبالأخصّ بعد أن ظهر جليًا أنه يتقصد الطوائف النصرانية دون التعرض للطوائف الدينية الأخرى(٥)، كما أن نجران كما تذكر المصادر الإسلامية هي إحدى أقوى معاقل النصرانية في جزيرة العرب وإحدى أهم المنافذ التي دخل منها الدين النصراني

(١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١٢/٣.

(٢) (ذو نواس) ٥١٥-٥٢٥م: من ملوك حمير التبابعة، يعرف عند اليونان بمسمى: (دميانوس). هنري سعيد عبودي، معجم الحضارات، ص٤١٦.

(٣) ابن هشام، التيجان في ملوك حمير، ص٣١٢؛ ابن حبيب، المحبر، ص٣٦٨؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١١٨/٢-١١٩؛ حسين علي أبو الحسن وآخرون، طرق التجارة القديمة، (د ط)، الهيئة العامة للسياحة والآثار؛ متحف اللوفر، ٢٠١٠م، ص٨٨.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣١/١.

(٥) الدينوري، المعارف، ٦٣٧/١؛ نشوان الحميري (نشوان بن سعيد الحميري)، خلاصة السير لعجائب أخبار الملوك التبابعة، تحقيق: علي بن إسماعيل المؤيد؛ إسماعيل بن أحمد الجرافي، ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٧٨م، ص١٤٨.

لليمن فالقضاء عليها سيغلق هذا المنفذ[١]، فيكون إذًا الهدف من هذا الصراع هو إعلاء ومحو دين على حساب الآخر.

ومنها (سياسية):

ترمي لقطع أي أمل للأحباش والروم في العودة أو التدخل في أمور اليمن، وبالأخصّ أن هذا هو ما كانت تفعله في فترات متفاوتة من تاريخهم، كذلك القضاء على أية قوة تدعمهم بأي شكل من الأشكال والتي قد تمثل خطرًا مستقبليًا عليهم، فاتخذوا الدين عُذرًا لحروبهم[٢]، وهذا سيكون هدفًا طَموحًا للغاية بلا شك إذ أنه يتحدى بذلك جميع القوى النصرانية التي تطوق جزيرة العرب من مناطق شتى[٣].

وعند تحليل الأسباب كانت النتائج غير حاسمة البتة، وبالأخصّ فيما إذا كانت حادثة (الأخدود) هي ذاتها[٤] الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[٥].

---

(١) للمزيد انظر لروايات دخول النصرانية لنجران في كلٍّ من: ابن إسحاق (محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي)، سيرة ابن إسحاق (أو) السير والمغازي، تحقيق: سهيل زكار، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ٥٢/١؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ٣١/١ وما بعدها؛ ابن هشام، التيجان في ملوك حمير، ص٣٠٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٠٣/٢ وما بعدها.

(٢) عبد المعطي محمد عبد المعطي سمسم، العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة، ط١، ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧، ص١٨٩؛

(٣) للمزيد حول الآراء التي قيلت بشأن حرب ذو نواس لنجران، انظر: محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب، ص٣٢٩ وما بعدها.

(٤) كوثر محمد سعيد، "حادثة الأخدود بين المصادر العربية والمصادر القديمة دراسة تاريخية حضارية"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة أم القرى، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ص٣٩٨.

(٥) سورة البروج، الآيات ١-٨.

وما يُهمنا هنا ليس مناقشة الروايات والحقائق عن هذه الحادثة، إذ يفي بالغرض المعرفة: بأن الطابع الديني كانت لديه السيطرة على هذا الحدث التاريخي، وهذا ما اتفقت عليه أغلب المصادر القديمة والإسلامية(١).

وقد وصف التاريخ (ذو نواس) على أنه ذو طبيعة قاسية، يؤمن باستخدام كُل الوسائل والذرائع لتحقيق أهدافه، حيث تذكر الروايات أنه عمد إلى حرق الكنائس وقتل رجال الحامية الحبشية في العاصمة ظفار باليمن، واجتاح المناطق الساحلية للبحر الأحمر(٢) وهاجم نجران في (عام ٥٢٥م، وقيل: عام ٥٣١م، وفي رأي آخر ما بين عام ٥٢٨-٥٣٠م)(٣) مستخدمًا الحِيَل والخديعة باسم الدين بعدما عجزت جيوشه عن اجتياح أسوارها(٤)، ولم يهتم حتى بصورته (كملك) عندما ذَكرهُ رئيس نجران: بأن الغدر بعد إعطاء الأمان ليس من تصرفات الملوك(٥).

وما أن استطاع دخول (نجران) حتى احتجز أهلها وقام بتوعدهم إذا لم يتبعوا رغبته في العدول من النصرانية لليهودية، وعند رفضهم استباحهم لعدة أيام، وعمد إلى الحرق والتنكيل(٦)، وخلال ذلك استطاع أحدهم التسلل هاربًا، وطلب النَجْدة من إخوتهم النصارى، فأتاهم الدعم ممثلاً في قوى الأحباش، الذين قضوا على ذي نواس، وأنقذوا إخوتهم النصارى ونجران(٧)، وقد ترتب على هذه الحادثة نتائج مهمة:

---

(١) كوثر محمد سعيد، حادثة الأخدود، ص٣٧٧.

(٢) حسين بن علي أبو الحسن وآخرون، طرق التجارة، ص٨٨-٨٩.

(٣) حسين بن علي أبو الحسن وآخرون، طرق التجارة، ص٨٩.

(٤) أغناطيوس يعقوب الثالث، الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية، (د ط)، المجلة البطريكية، دمشق، ١٩٦٦م، ص٢٥، ص٤٨-٤٩.

(٥) أغناطيوس يعقوب الثالث، الشهداء الحميريون، ص٢٩-٣٠،٤٤.

(٦) أغناطيوس يعقوب الثالث، الشهداء الحميريون، ص٢٦ وما بعدها، وللمزيد: انظر الرسائل السريالية الواردة بذات الكتاب.

(٧) ابن هشام، التيجان في ملوك حمير، ص٣١٢-٣١٣؛ ابن حبيب، المحبر، ص٣٦٨؛ الدينوري، المعارف، ٦٣٧/١؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ١٨٣/٣؛ ابن نشوان، ملوك حمير، ص١٤٨.

فالحبشة استطاعت بعدها السيطرة على العاصمة ظفار، كما سيطرت على: صنعاء، ومأرِب، ونجران، والجوف، ووضعت سُلطتها تحت يد أمير مسيحي من اختيارهم(١).

وبموت ذي نواس، تم القضاء على حِمْير كمملكة قائمة بذاته، حيث عاشت تحت الوصاية الحبشية خمسين عامًا قبل أن تزول نهائيًا(٢).

كما أن اليهود لم يسلموا من الاضطهاد على أيدي النصارى، الذين عملوا لاحقاً على إبراز مظاهر دينهم أكثر، فشيدت بذلك الكنائس وبأعداد كبيرة(٣).

أما أهل نجران المنكوبين فقد استطاعوا لم شَتاتهم، وكوَّنوا علاقة طيبة من بعد ذلك مع الروم، فيذكر أن امبراطور بيزنطة كان يُرسل إليهم من يشيِّد لهم الكنائس(٤)، وبذلك ظل دينهم حيًّا بينهم حتى مجيء الإسلام، وكان لهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قصتهم المشهورة عندما وفدوا عليه(٥).

النصرانية:

انتشرت النصرانية في عدة مناطق من جزيرة العرب، ومع ذلك بقيت المعلومات عنها قليلة للغاية ؛ وذلك لأن أتباعها لا يحملون غالبًا منها (غير الاسم)، أما في تصرفاتهم فقد ظلوا وثنيّي الطباع(٦)، أخذوا نصرانيتهم غالبًا بتنصر زعمائهم، أو بمحاورة مع رهبانهم، أو إظهار المعجزات كالشفاء من مرض لم يَعلم العرب له دواء، فدخلوا فيه دون تعمق في شكل أفراد وجماعات(٧)، ولم

(١) حسين بن علي أبو الحسن وآخرون، طرق التجارة، ص٨٩.
(٢) حسين بن علي أبو الحسن وآخرون، طرق التجارة، ص٨٩.
(٣) حسين بن علي أبو الحسن وآخرون، طرق التجارة، ص٨٩.
(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ٥٧٣/١.
(٥) مقاتل بن سليمان، تفسيره، ٢٧٩/١ وما بعدها.
(٦) جواد علي، المفصل، ١٤/١١، ٢٩٢/٧. انظر: (خريطة رقم ٥).
(٧) جواد علي، المفصل، ٦٦/١١.

تُشر لنا المصادر التاريخية عن اعتناق كامل لقبائل أو ممالك بحديث، بل تواجدوا بكثافة في مناطق مختلفة من بلاد الشام وأطراف اليمن(١)، ومن أشهر تلك المناطق:

١- الحيرة:

بدأت النصرانية تنتشر بين أهل الحيرة بشكل ثابت منذ القرن الرابع الميلادي تقريبًا، ومع الوقت أصبحت الحيرة مركزًا مُهمًا للمسيحية في المشرق منذ أوائل القرن الخامس للميلاد، وأصبح المذهب (النسطوري)(٢) منذ منتصف القرن الخامس للميلاد هو المذهب السائد، حيث ركز متَّبعوه جهودهم على نشره بين المراكز الحضارية خاصة، حتى أصبحت الحيرة منذ أواخر القرن الخامس مركزًا هامًا لهذا المذهب، وانتشر بين كثيرٍ من سكانها، غير أن ملوكهم لم يعتنقوها سوى في أواخر القرن السادس عندما تنصَّر النعمان الثالث أبو قابوس(٣) على حسب بعض الروايات(٤).

ومن الجدير بالذكر أن الفرس سمحوا لسكان الحيرة بممارسة الديانة النصرانية بأريحية بينهم ؛ وذلك لأنهم لم يجدوا فيها ما يهدد سياستهم بالخطر(٥)، فهي بالنسبة إليهم (كالوثنية) التي كان عليها العرب، وكان منهم طائفة مسيحية عُرفوا (بالعُبَّاد): وهم طائفة كبيرة مكونة من قبائل شتى، اشتهروا بشرفهم وثرائهم(٦)، غير أن النصرانية لم يكن لها تأثير حربي واضح على العرب إذا ما

(١) حسين العودات، العرب النصارى عرض تاريخي، ط١، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٢م، ص٣٢.

(٢) انقسمت المسيحية إلى فرق عدة، وأشهرها ثلاثة هي: (الملكانية): نسبة لرجل يدعى (ملكا) وعلى مذهبه أغلب الروم. (النسطورية): نسبة إلى (نسطور الحكيم). (اليعقوبية): نسبة لـ(يعقوب البرادعي). وكل الثلاثة تختلف حول حقيقة المسيح عليه السلام من حيث أصله: أهو بشر أم إله. للمزيد انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ٢٧/٢ وما بعدها.

(٣) (النعمان بن المنذر أبو قابوس) ٥٨٥-٦١٣م: ملك الحيرة، بلغت الدولة في أيامه منتهى الترف والرخاء، وفي عهده جرت العديد من مؤامرات البلاط التي أدت إلى سجنه على يد كسرى وموته سجينًا. هنري سعيد عبودي، معجم الحضارات، ص٨٥١.

(٤) سلوى بالحاج صالح العايب، المسيحية العربية وتطوراتها من نشأتها إلى القرن ٣هـ/١٠م، ط٢، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٨م، ص٥٣-٥٤.

(٥) جواد علي، المفصل، ١٧٢/١٢.

(٦) الحلي، المناقب المزيدية، ص١٠٧.

استثنينا إحدى الروايات التي تذهب إلى أن أحد ملوك المناذرة وهو "المنذر بن ماء السماء" قد قام بإحراق بعض الراهبات بعد أسرهن من غارة له على مملكة الغساسنة، وقدمهن قربانًا للعُزَّى(١)، وإن صحَّت الرواية فإنها تدلل على عمق الوثنية عند العرب، وأنها لم تفارق عقائدهم.

٢- الغساسنة:

عندما تحولت الامبراطورية البيزنطية إلى النصرانية (الملكانية) في القرنين الرابع والخامس أخذت تروج أن بإمكانها التغيير من العرب (البربر) وإقناعهم بالتنصر، ولما كان على كُل القُرى والمدن المتنصِّرة أن تَخضع لبيزنطة وتدخل في نطاق ممتلكاتهم(٢) فقد اهتمت بيزنطة بذلك.

ولقد عرف الغساسنة النصرانية عن طريق الروم في القرن السادس الميلادي، عندما تأثروا بسلوك بعض الرهبان (اليعاقبة) النصارى فاعتنقوا النصرانية على مذهبهم، حيث شيدت بها سنة ٥٤٣م أسقفية عربية يعقوبية نصرانية تعرف (بأسقفية غسَّان)، وهو المذهب الذي اعتنقه الملك الحارث بن جبلة الغسَّاني(٣) ونشره بين أفراد عائلته والقبائل الخاضعة له(٤).

غير أن النصرانية لم تُقرب ما بينهم وبين بيزنطة، بل على العكس تأزَّمت العلاقة بينهم بسبب اختلاف المذاهب حيث كان لكلٍّ منهم مذهبه المختلف عن الآخر، فـ(المنذر بن الحارث) في بدايات حكمه قام بعقد مُجمع كنسي ينظر في بدعة المعتقدين بالمذهب "الملكاني"، وحكم هذا المجلس على أصحاب هذا المذهب وأتباعه بالهرطقة، وأمضى على قرار الكنيسة: (الكاهن الرسمي للمنذر) -والذي لم يَرِد ذكر اسمه-(٥).

---

(١) جواد علي، المفصل، ٢٤٠/٩، ١٩٩/١١.

(2) Jhf Dijstra' and other, Inside and outInteractions between Rome and the Peoples on the Arabian and Egyptian Frontiers in Late Antiquity, peeters, 2014, P354.

(٣) (الحارث بن جبلة أبي شمر) ٥٢٩-٥٦٩م: أمير غساني، أطلق عليه لقب (باسيليوس) بمعنى ملك من قبل الروم. أنظر: هنري سعيد عبودي، معجم الحضارات، ص٣٩٥.

(٤) سلوى بالحاج العايب، المسيحية العربية، ص٣٦-٣٧.

(٥) ثيودور نولدكه، أمراء غسَّان، ترجمة: بندلي جوزي؛ قسطنطين رزيق، ط١، شركة دار الورق للنشر المحدودة،٢٠٠٩م، ص٤٨-٤٩.

وبسبب ذلك قام الامبراطور البيزنطي يوستينوس[١](Justin II) في عام ٥٧٤م، بقطع المدد المالي عنه، وأوعز للبطريق (مرقيانوس) مهمة قتله، غير أن الخبر وصـــل للمنذر فثار عليهم لمدة ثلاث سنوات، فانتهز العرب فرصة ذلك وعاثوا بكل سوريا فسادًا ونهبًا[٢].

كما أن نصرانية الغساسنة لم تجعلهم يخضعون لكل التعاليم النصرانية وبالأخصّ فيما يتعلق بالطعام: كأكل لحوم الجمال، فتغاضت بيزنطة عنهم في البداية مما زاد من قوتهم[٣] كونهم يستطيعون إخضـاع الروم لإرادتهم، وازداد القلق أكثر بين البيزنطيين وبالأخصّ موظفي الدولة، عندما تسـامح الامبراطور البيزنطي (تيبريوس الثاني) مع كنيســـة المنذر وأتباعها عام ٥٨٠م وأعطاهم الإذن بحرية ممارســة شــعائرهم، وفوق هذا كرمه بأن أعطاه تاجًا بدلاً من الإكليل تشــريفًا له وهذا ما لم تفعله الروم من قبل لأحد من العرب[٤].

وعلى ما يبدو فقد تغيرت تلك التسهيلات التي منحها البيزنطيون للغساسنة حول معتقداتهم عندما بدأ القائد البيزنطي ماريوس (Maurice) في تشويه سُمعة المنذر أمام امبراطوره، وساعد على ذلك عندما ســـار ماريوس برفقة المنذر بن الحارث الغسَّـــاني ليُهاجم عاصـــمة الفرس حيث يُقيم ملكهم، ووجدوا الجســـر الوحيد المؤدي للعاصـــمة محطمًا، فاتهم ماريوس (المنذر) بالخيانة وأنه أبلغ الفرس بحملتهم، ولم يكتفِ بذلك بل عمل على إقناع الامبراطور البيزنطي (تيبريوس الثاني) بصـحة اتهاماته تجاه المنذر فأحضـر الشـهود الزور لدعم كلامه[٥]، فترتب على هذا الأمر تبعات كبيرة، إذ

---

(١) (يوستينوس الثاني) ٥٦٥م-٥٧٨م: امبراطور بيزنطي، تسبب عام ٥٧٢م بالحرب مع الفرس بسبب مسيحي أرمينا والتي دامت عشرين سنة. انظر: هنري سعيد عبودي، معجم الحضارات السامية، ص٩٣٦.

(٢) ثيودور نولدكه، أمراء غسَّان، ص٤٩.

(1) Jhf Dijstra' and other, Inside and out, P357-358.

(٤) ثيودور نولدكه، امراء غسَّان، ص٥٠. كذلك:

Ephesus (John Bishop of Ephesus), Ecclesiastical History, translated to English: R. payne smith' M. A., 1stED, the university press, oxford,1866, 2/304; Evagrius, the Ecclesiastical History of Evagrius scholasticus, translated with introduction by: Michael whitby, 1stED, Liverpool university press, Cambridge street, 2000, P292.

(5) Ephesus, Ecclesiastical History, 2/236-237.

أن تيبريوس الثاني عمل على الإطاحة بالمنذر بن الحارث، وساعده في ذلك صديق المنذر (ماغنوس): أسقف كنيسة سوريا، والذي اتخذ افتتاحه لإحدى الكنائس ذريعة للإطاحة بصديقه، وعندما قام المنذر بزياته، قُبض على المنذر هناك، وحُمل إلى القسطنطينية حيث تم نفيه فيما بعد إلى صقلية(١).

وكان هذا تصرفًا غير مبالٍ بقوة الغساسنة، الذين هاجموا أراضي (ماغنوس) بعد هذه القصة بقيادة النعمان بن المنذر(٢)، فعمل فيها سلبًا ونهبًا انتقامًا لأبيه، ومنها زحف على الأراضي البيزنطية حتى أرعبوا أهلها، فاضطر تيبريوس أن يصالح النعمان ويعطيه مطالبه(٣).

٣- القبائل العربية:

لا نلاحظ أثرًا واضحًا للنصرانية على القبائل العربية الأخرى في (أيامهم) التي لم يهذبها دينهم، فقبيلة تغلب كمثال على الرغم من تنصرها(٤) إلا أنها حافظت على مركزها بكونها من أشد القبائل حربا وتنكيلا وافتخرت بذلك ولم تغير فيه شيئًا(٥)، يقول عمرو بن كلثوم مادحًا قبيلته تغلب(٦):

إذا ما المَلك سام الناس خسفاً أبينا أن نُقر الذُّل فينا

لنا الدُنيا ومن أمسى عليها ونبطش حين نبطش قَادرينا

(1) John Bishop of Ephesus, Ecclesiastical History, 2/237-240; Evagrius, the Ecclesiastical History, P292.

(٢) (النعمان بن المنذر): أمير غسَّاني، ابن الملك (الحارث بن جبلة) يكنى أبي كرب، وأيضًا يكنى بقطام. أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ١/٧٣.

(2) John Bishop of Ephesus, Ecclesiastical History, 2/240-241.

(٤) ابن خلدون، تاريخه، ٢/٣٦٠.

(٥) للمزيد انظر: الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار): شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٥، دار المعارف، (د ت)، ص٣٦٩ وما بعدها.

(٦) ديوان عمرو بن كلثوم، ص٩٠.

ويظهر من أيام قديمة لتغلب، أنها كانت تتحيز لبيزنطة النصرانية ضد الفرس المجوس فشاركوها في حروبهم ضدهم(١).

كما يُذكر أن بني حنيفة من بكر بن وائل، كانوا قد اعتنقوا النصرانية من نصارى تغلب(٢)، بالرغم من الصراع المشهور بين القبيلتين.

كما لعبت الأحلاف بين القبائل العربية دورًا في تنصر بعضهم، حيث أثر الحلف في انتقال النصرانية بين قبيلتي إياد وتغلب، فبعد حروب إياد مع الفرس وتشريدهم من قبل كسرى أنو شروان بسبب إغارتهم على سواد العراق، لجأ بعضهم لتغلب، وكان هذا اللجوء والحلف سبب في اعتناقهم النصرانية(٣).

كما كان من مظاهر انتشار النصرانية بين تلك القبائل والممالك العربية النصرانية: تشييد المعابد والأديرة النصرانية، ومن هذه المعابد التي ارتبطت بالحرب:

أ- دير الجماجم:

قيل في سبب تسمية هذا الدير بهذا الاسم إنه بسبب انتقام (إياد) من كسرى عندما شرد جمعًا منهم إلى الشام، فأقبلوا في ألف فارس ونزلوا بالعراق، وعندما علم كسرى بذلك أرسل إليهم ما يفوقهم، غير أنهم علموا بمسير جيش كسرى لهم، فاستنَجدوا قومهم فجاءهم المدد، وقتلوا جيش كسرى عن آخرهم، وعندما علم كسرى بذلك اغتم لمصيرهم، فأمر أن يبنى عليهم ديرٌ سُمي (بدير الجماجم)، وقد قيل فيه غير ذلك(٤).

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥٨/٢ وما بعدها.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٧٢/٣.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ٢٧/١؛ سلوى بالحاج العايب، المسيحية العربية، ص٦٤.

(٤) للمزيد انظر: الحموي، معجم البلدان، ٥٠٤/٢.

ب- دير بني مَرِينا:

وهو الدير الذي قَتل فيه المنذر بن النعمان أبناء (حجر بن آكل المرار) حين أمسك بهم وهم يتصيدون، فحبسهم لفترة ثم أرسل في طلبهم فلم يصبر حتى مجيئهم له خوفًا ألا يصلوا إليه، فأرسل رُسله في طلبهم محملين برسالة: أن اقتلوهم حيث تقابلكم رُسلي، فوافتهم الرسل عند دير مرينا، وهناك قُتلوا(١).

ج- دير هند الصغرى:

ويقع بالحيرة وكانت (هند الصغرى بنت النعمان بن المنذر) قد نذرت نذرًا إن ترك كسرى أباها أن تبني ديرًا وتعتزل العبادة فيه حتى تموت، وكان كسرى قد غضب على أبيها وزجَّه في السجن، وعندما خَلَّى كسرى أباها أوفت بنذرها، وبقيت فيه حتى ماتت(٢).

٤- أبرهة والكعبة:

بعد أن تولى أبرهة الحبشي النصراني(٣) حكم اليمن، عمل على العناية بالنصرانية ونشرها بين أتباعه، وكان من مظاهر عنايته بها: بناء الكنائس ومن أشهرها كنيسة (القليس) في صنعاء، والتي ذُكر عنها: بأنها "لم ير مُثلها في زمانها"(٤) وأن سبب بنائها رؤية (أبرهة) لمجموعة من الناس يتجهزون للحج، وعندما سأل عن حجهم وعرف الكعبة التي يحجون إليها وشكلها وبساطة

(١) الحموي، معجم البلدان، ٢/٥٠١.

(٢) الحموي، معجم البلدان، ٢/٥٤١.

(٣) (أبرهة الحبشي): أول ملك من الحبشة على اليمن. للمزيد، انظر: ابن هشام، التيجان في ملوك حمير، ص٣١٤.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ١/٣٤.

كسوتها[١] بنى كنيسته، وحرص على جلب النفائس وتزيينها بها، ليُضاهي بها الكعبة تمهيدًا لنقل شعيرة الحج في مكة وتحويلها لكنيسته في صنعاء[٢].

فلما عرف العرب بما ينوي أبرهة فعله دخلت في قلوبهم الحمية فخرج رجلان من نسأة كِنانة إلى صنعاء وقاموا بفعل النجاسة بالكنيسة، فلما علم أبرهة أقسم بدينه على تحطيم الكعبة المشرفة، فسار بجيش كبير اختلفت المصادر في كبره تقوده الأفيال حتى وصل لمشارف مكة[٣]، في سنة ٥٧١م[٤].

وتذهب المصادر إلى أن (قريش، وكِنانة، وهُذيل) علموا بمقصده وتهيؤوا لقتاله، لكنهم عدلوا عن ذلك عندما أدركوا أنه لا طاقة لهم به، باستثناء عبد المطلب الذي خرج إلى أبرهة يطالبه بإعادة إبله التي غنمها جيشه منه، حيث يدور حوار بين أبرهة وبين عبد المطلب، جاء فيه: أن أبرهة سأل عبد المطلب عندما طلب منه إعادة إبله: أتطلب مالك وتترك البيت! فأجاب عبد المطلب: "إني أنا ربُّ الإبل، وأن للبيت ربًا سيمنعه"[٥].

وتستمر الرواية بأن عبد المطلب عاد إلى مكة وأمسك بحلقات الكعبة مع أفراد من قريش، يدَّعون الله أن يحمي حماه، ثم لحق ببقية قريش الذين هربوا إلى سفوح الجبال، وبقوا هنالك حتى أنزل الله أمره في جيش أبرهة، وتكللت حملته بالفشل الذريع، وحِمى الله بيته[٦]، وفي هذا قوله تعالى:

---

(١) الجوزي (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا؛ مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢، ٢/١٢٧-١٢٨.

(٢) الدينوري (أبو حنيفة أحمد بن داوود)، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، ط١، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة، ١٩٦٠م، ص٦٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢/١٣٠ وما بعدها.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١/٤٠٢ وما بعدها.

(٤) توفيق برو، تاريخ العرب، ص٨٥.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢/٢١٣-٢١٤؛ ابن خلدون، تاريخه، ٢/٧١-٧٢.

(٦) ابن حبيب، المنمق، ١/٧٤؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ٣/١٨٦؛ الوردي، تاريخه، ١/٩٢.

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾[١].

وقد بيَّن فشل تلك الحملة (عظم) بيت الله الحرام وعظم حماه، فعظم العرب شعائره أكثر عندما علموا أن ما سار عليه آباؤهم إبراهيم وإسماعيل هو الصواب، كما عَظُم شأن قريش بين بقية العرب فقالوا عنهم: أنهم أهل الله وأوليائه، وأن الله دافع عنهم وصد الأعداء دونهم، فزادت مكانتهم وتقديرهم بين العرب[٢].

وهذه الحادثة حَدْت من سُلطة وانتشار النصرانية ودورها في بلاد العرب والتي كانت في ازدياد مستمر وبالأخصّ بعد حادثة نجران، فلم تنتشر أكثر من المناطق التي وجدت فيها أصلاً، وكانت هذه الحادثة طريقاً لطرد الحبشة من اليمن نهائياً[٣].

كما أن حملة أبرهة على مكة مهدت لعدة مظاهر طرأت على المجتمع العرب وتعلقت بشعيرة الحج على السواء، وذلك متمثلاً بـ(الحمس، والحُلَّة، والطلس)[٤].

أولاً: الحمس.

والحمس: سُّموا بذلك لأنهم تحمسوا في دينهم أي تشددوا فيه، وقيل إنما سموا بذلك: من الكعبة، لأنها حمس يضرب حجر بنائها الأبيض إلى السواد[٥].

وقد استحدث هذا الأمر لما رأى العرب (العبرة) التي أوقعها الله بجيش أبرهة، وكيف دفع الله عن أهل مكة كيد عدوهم بالمعجزات الباهرة الجلية، عندئذ أقرَّ لهم العرب بأنهم (أهل الله) الذين

(١) سورة الفيل، آية ١-٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤٠٧/١.

(٣) الدينوري، المعارف، ص٦٣٨-٦٣٩.

(٤) للمزيد انظر: ابن إسحاق، السير والمغازي، ص١٠١؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ١٩٩/١.

(٥) النووي، المنهاج، ١٩٧/٨.

دافع عنهم، فازداد تقديرهم وتعظيمهم لهم، وازدادت قريش تعظيمًا لأنفسهم وللبيت، ورأوا أن ما هم عليه من دين أفضل الأديان وأحبها لله[١] فقالوا:

"نحن بنو إبراهيم وأهل الحرم، وولاة البيت، وقاطنو مكة وسكانها، فليس لأحد من العرب مثل حقنا، ولا مثل منزلتنا، ولا يعرف له العرب مثل ما تعرف لنا، فلا تعظموا شيئًا من الحل كما تعظمون الحرم، فإنكم إن فعلتم استخفَّت العرب حرمتكم" فدخلوا بعدها في الحمس[٢].

والتحمُّس: يعني التشدد، وهو أمر تعبدي ابتدعته قريش وفرضته على نفسها زيادة في الزهد[٣] للأسباب السابقة، ودخل معهم في "حلفهم قبائل أخرى، فأصبح الحمس يضم:

قبيلة قريش كلها، إضافة لخزاعة التي سكنت معهم في الحرم، وكذلك القبائل التي سكنت حول مكة وهم: الحارث بن عبد مناة بن كِنانة، ومدلج بن مرة بن عبد مناة بن كِنانة، كما وأدخلت قريش معها كل القبائل التي ارتبطت معها بنسب، فأدخلوا: (كِلاب، وكعب، وعامر، وكلب) أبناء: ربيعة بن عامر بن صعصعة، وقيل: بل كُل عامر بن صعصة، وأدخلوا عامر بن عبد مناة بن كِنانة، ومالك وملكان من كِنانة، وثقيف، وعدوان، ويربوع بن حنظلة، ومازن بن مالك بن عمرو بن تميم، وبطني قُضاعة: علاف، وجناب[٤]، ويذكر أن قريش كان لها بعد أمر "الحمس" أن تتزوج من أي القبائل شاؤوا، أما هم فلا يزوجون أحدًا إلا أن يكون على دين الحمس مثلهم، وبهذه الطريقة تم دخول كل القبائل السابقة، إضافة لعدد الأفراد الذين كانوا ينتقلون إليهم ويدخلون في حمسهم[٥].

---

(١) ابن إسحاق، السير والمغازي، ص١٠١؛ الأزرقي (أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، (د ط)، دار الأندلس للنشر، بيروت، (د ت)، ١/١٧٦؛ ابن الأثير، الكامل، ١/٤١٠.

(٢) ابن إسحاق، السير والمغازي، ص١٠١.

(٣) السهيلي، الروض الأنف، ٢/١٨٥.

(٤) ابن حبيب، المحبر، ص١٧٨-١٧٩.

(٥) المقدسي، البدء والتاريخ، ٤/٣١؛ الأزرقي، أخبار مكة، ١/١٧٩؛ ابن فقيه (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني)، البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص٧٥.

وبما أن الحمس كان على درجة (جديدة) من التشدد في الدين والعبادة كان لابد أن ترافقه طقوس جديدة أيضًا، ألزموا أنفسهم بها وهي كالتالي:

تركوا الوقوف بعرفة والإفاضة منها، لأنهم أخذوا على أنفسهم عهدًا ألا يعظموا شيئًا من المشاعر كتعظيمهم للبيت الحرام الذي هم أهله وسكانه(١)، لذا كانوا يقفون بالقرب من أنصاب حدود الحرم بالمزدلفة(٢)، وعندما جاء الإسلام نهاهم عن ذلك، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾(٣).

ولم يكتف الحمس بذلك بل زادوا في تشددهم: فكانوا لا يدخلون بيوتاً صُنعت من شعر وهم حرماً، وإذا أرادوا الظلة استظلوا في بيوت من (أَدِم)(٤) لأنهم كرهوا أن يدخلوا تحت سقف يحول بينهم وبين السماء، وإذا دخلوا بيوتهم تجنبوا دخولها من أبوابها(٥)، فكانوا يضعون سُلماً بالخلف من بيوتهم، أو يتسوروا جداره، أو حتى يثقب في بعضه ليُدخل منه ويخرج(٦)، كذلك حرموا على أنفسهم أن يطوفوا بالبيت الحرام إلا بثوب جديد، وحذاء جديد تعظيمًا أن تمس أقدامهم أرض البيت(٧)، كما حرموا على نسائهم نسج الشّعر والوبر، وسلء السمن –أي طبخ الزبد حتى يصير سمناً–(٨)، ولا يأكلون لحمًا ولا سمنًا، ولم يحولوا بين أمٍّ ورضيعها حتى يترك الرضاعة بنفسه،

(١) ابن إسحاق، السير والمغازي، ١٠١/١؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ١٩٩/١؛ ابن حبيب، المحبر، ص١٨٠.

(٢) المكي (عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود؛ علي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ٢٦٣/١.

(٣) سورة البقرة، آية ١٩٩.

(٤) ابن إسحاق، السير والمغازي، ١٠٢/١؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٠٢/١؛

(٥) ابن حبيب، المحبر، ص١٨٠.

(٦) مقاتل بن سليمان، تفسيره، ١٦٦/١.

(٧) ابن حبيب، المحبر، ص١٨٠.

(٨) ابن إسحاق، السير والمغازي، ١٠٢/١؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٠٢/١؛ السهيلي، الروض الأنف، ١٨٥/٢.

وتركوا إزالة الشَّعر والأظافر، وأخذوا على أنفسهم ألا يلبسوا إلا الثوب الجديد طيلة مناسكهم، وإذا طافوا بالبيت طافوا بثيابهم وأحذيتهم تعظيمًا للبيت أن تمسه أقدامهم(١)، كما اختصوا برؤية الصفا والمروة دون غيرهم، أما الحُلَّة فكان بعضهم يرونها والآخرون لا، حيث كانوا يقضون مناسكهم دون المرور عليها(٢).

كل هذه الأمور التي أثقل بها الحمس أنفسهم وألزموها على أنفسهم، عملوا على نشرها بتصريف آخر على بقية العرب، حيث جعلوا (للحلة) مناسكهم الخاصة أيضًا، وألزموهم بها أيضًا.

ثانياً: الحُلَّة.

الحُلل: برود اليمن من مواضع مختلفة منها، وتكون: إزار ورداء، ولا تُسمى حلَّة حتى تكون ثوبين وقيل: بل هي ثلاثة أثواب وقيل غير ذلك(٣).

وقد تكونت قبائل (الحُلَّة) من:

تميم كلها باستثناء: بني يربوع، ومازن الذين كانوا حمسًا، وقبائل: ضبة، وحميس، وظاعنة، وكل قبائل قيس عيلان، باستثناء الحمس: ثقيف وعدوان لدخولهم مع قريش في الحمس، ومنهم الغوث بن مر، وبقية قبائل عامر بن صعصة، وقبائل ربيعة بن نزار، وكل قبائل قُضاعة ماعدا الحمس من: علاف وجناب الذين دخلوا في الحمس، والأوس والخزرج، وبجيلة، وخثعم، وبكر بن عبد مناة بن كِنانة، وهُذيل مدركة، وأسد، وطيّء، وبارق(٤).

---

(١) ابن حبيب، المحبر، ص١٨٠.

(٢) المكي، سمط النجوم العوالي، ٢٦٣/١.

(٣) الهروي، تهذيب اللغة، ٢٨٣/٣.

(٤) ابن حبيب، المحبر، ص١٧٩.

وقد كلفهم (الحمس) بأمور أصبحت جزء لا يتجزأ من مناسكهم ورضوا ذلك منهم لظنهم أنما ذلك أمر من الله ألقاه للوافين من عباده الذين دافع عنهم، فكلفوهم بالتالي:

ألا يأكل (الحُلَّة) إلا من طعام الحمس طيلة أدائهم لمشاعرهم(١)، أما عند الطواف فخيروهم في أمور رجالا كانوا أم نساء ألا يرتدوا إلا من ثياب الحمس طيلة إحرامهم: أما بإجارة أو هبة(٢)، فإن لم يجدوا طافوا عُريًا، وإن قرر (الحُلَّة) التمسك بثيابه التي جاء بها من دياره كان عليه إلقاؤها بعد طوافه، فكانت تُسمى (باللقى) لأنها لم تكن تُؤخذ بعدهم أو حتى تمس، بل تبقى مكانها حتى تبلى(٣)، وكان قصدهم من فعلهم هذا ألا يطوفوا بثياب اقترفوا فيها ذنباً، لذا يجب التخلص منها بهذا الطريقة(٤)، أما النساء فتضع الواحدة منهن ثيابها كُلها إلا (درعاً)(٥) مفرجاً(٦).

كما كانوا يُحرمون الصيد في النسك ولا يحرمونه في غير الحَرم ويتواصل الناس فيه، وكان الغني منهم يمنح ماله أو أكثره في نسكه، وفقيرهم لا يُمنع من تناول السمن، كما كان عليهم ألا يجتزوا من الأصواف والأوبار والأشعار إلا ما يكفيهم، وكان بإمكانهم أن يدَّهنوا، ويأكلوا اللحم، كما شابهوا الحمس في كونهم لا يدخلون من أبواب البيوت(٧).

ثالثاً: الطلس:

وكانت قبائلها تشمل: كل أهل اليمن وحضرموت، وعك، وعجيب، وكل إياد بن نزار(٨).

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٧٣/٢.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص١٨٠.

(٣) ابن إسحاق، السير والمغازي، ص٩٧؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٠٢/١-٢٠٣.

(٤) السهيلي، الروض الأنف، ٢، ١٨٨؛ المكي، سمط النجوم العوالي، ٢٦٣/١.

(٥) (درع المرأة): ثوبها أو قميصها الذي ترتديه. ابن فارس، مقاييس اللغة، ٢٦٨/٢.

(٦) ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٠٢/١؛ ابن حبيب، المنمق، ص١٢٩.

(٧) ابن حبيب، المحبر، ص١٨٠.

(٨) ابن حبيب، المحبر، ص١٧٩.

وسموا طلساً لأنهم يأتون من طول السفر والمشقة طلساً مغبرين فيطوفون بثيابهم المغبرة[١]، وكانوا في مناسكهم الفئة الوسطى بين السابقة، يفعلون بثيابهم ودخولهم البيوت كما يفعل الحمس، وفي إحرامهم يكونون كالحُلَّة، ولم يكونوا يتعرون حول الكعبة ولا يستعيرون الثياب، وكانوا يدخلون البيوت من أبوابها[٢].

(١) المكي، سمط النجوم العوالي، ١/٢٦٣-٢٦٤.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص١٨١.

الباب الأول

أثر أيام العرب على الحياة الدينية

الفصل الثاني

الشعائر والطقوس الدينية عند العرب

- المبحث الأول: الحج والعمرة.
- المبحث الثاني: طقوس وثنية.

المبحث الأول

الحـــج والعمـــرة

الحج:

الحج لفظة سامية ذُكرت في معظم كتابات الشعوب السامية[١]، فمثلاً جاء لفظ الحج في الكتابات الجنوبية للدلالة على أحد شهور السنة بمسمى (ذجحتن) بقصد تحريم (الشهر المحرم) والذي تقام فيه شعائر دينية مقدسة، وفي كتابات بلاد العرب الشمالية جاء لفظ (Aygathalbaeith) بمعنى (حج البيت)[٢].

حيث مارســت تلك الشــعوب شــعائره في مراكز عباداتهم الدينية ضــمن طقوس وأفعال محددة، يعرفها كل منتســب لذلك الدين، حيث يَقصــد الناس مراكز الحج لأدائه في جماعات وفي أوقات محددة[٣].

أما العرب فاحتفظوا بشــعائرهم الدينية التي اتبعوها منذ زمن إبراهيم الخليل –عليه الســلام– وعرف أصحابها بـــ(الحنفاء)[٤]، ومن الشعائر التي عظموها وكان لها أثر على أيام العرب (شعيرة الحج)، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾[٥].

(١) جواد علي، المفصل، ١٦/٢٦٨.

(٢) جواد علي، المفصل، ١١/٣٤٨.

(٣) ماجدة آل مرتضى المؤمن، الحج عبر الحضارات والأمم دراسة مقارنة بين الحج في الإسلام وطقوس الديانات الأخرى، ط١، دار مشعر، ١٤٢٢هـ، ص٢٧-٢٨.

(٤) جواد علي، المفصل، ١٢/٢٥-٢٦.

(٥) سورة البقرة، آية ١٢٥.

فلم يكن يوازي حرمة البيت الحرام أي حرمة عند العرب بالرغم من وثنيتهم، فمن عظمته عُظم أهلها، وهذا ما دعا بعض العرب لِبناء بيوت أخرى ليضاهوا به حرم الله(١): ككنيسة صنعاء، وبيت الأقيصر، وبيت نجران، وذو الخلصة، وبيت بساء، وبيت غطفان وغيرها(٢)، وابتدأت شعيرة الحج مع انتهاء إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام-من بنائهما للكعبة الشريفة، وبأمر من الله وبإرشاد من جبريل عُلِّم إبراهيم كيفية أداء مناسكها، فعلَّم إبراهيم الناس إياها بعد أن أذن لهم بالحج(٣)، قال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾(٤).

وقد ارتبطت هذه الشعيرة بشعائر أخرى منها:

أ- الأشهر الحرم:

أحاط العرب الأشهر الحرم بقدسية دينية، يفضي الاستخفاف بها إلى تفشي النحس والشر بينهم، وعلى الرغم من عدم معرفة الزمن الذي أُتخذت فيه إلا أنه من غير المستبعد وجودها مع إقرار مواسم الحج(٥).

والأشهر الحرم عند العرب هي: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم(٦). قال تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾(٧).

---

(١) محمد نعمان الجارم، أديان العرب في الجاهلية، ط١، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٤١هـ/١٩٢٣، ص٣٣.

(٢) الكلبي، الأصنام، ص٤٤،١٢-٤٨؛ جواد علي، المفصل، ٩٩/٨.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ٩٦/١.

(٤) سورة الحج، آية ٢٧.

(٥) أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة، ص١٦٤-١٦٥.

(٦) المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، ص١٦٦.

(٧) سورة البقرة، آية ١٩٧.

ومما يبدو أن هنالك خلافا سابقا حصل بين قبيلتي ربيعة ومُضَر على ماهية تلك الأشهر الحرم، فكانوا متفقين أن ثلاثة منها مجتمعة وهي: ذو القعدة وذو الحجة ومحرم، غير أنهم اختلفوا في رابعها، فكانت ربيعة ترى أنه شهر (رمضان)، أما مُضَر فتقول أنه (رجب)[١]، ويبدو أن هذا التنازع استمر ولم يُحسم سوى بمجيء الإسلام، عندما بتَّ فيه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال عليه الصلاة والسلام: "الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مُضَر الذي بين جمادي وشعبان"[٢].

وقد كان العرب يستقبلون هذه الشهور بنزع الأسنة عن الرِّماح إعلاناً بالقعود عن شنِّ الغارات وطلب الثارات، فكأنما ذلك تطهيراً لأرواحهم من الأحقاد والخصومات التي استمرت طيلة السنة، فتكون وقتاً مباركاً يأمن فيه الرجل على نفسه وأهله وماله، حتى قيل أن الرجل ليلقى قاتل أبيه وأخيه فلا يعرض له بسوء[٣].

ومن هذا الباب ما يذكر: أن (صخر بن عمرو) رأى وفد مرة بن عوف من ذبيان عندما أتوا لمكة في الأشهر الحرم، فأتاهم وكانوا قبلاً قد قتلوا أخاه (معاوية)[٤]، فوقف عليهم وسألهم: من قتل أخي؟ فقام واحد منهم مُعترفاً وقال: "وَقفت له فطعنني هذه الطعنة في عضدي، وشد أخي عليه فقتله، فأينا قَتلت أدركت بثأرك، إلا أننا لم نسلب أخاك"، ولم يقل "صخراً" شيء غير سؤاله عن فرس أخيه، فردوها له، وعاد عنهم، وغزاهم العام التالي على فرس أخيه ونال بثأره[٥].

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢/٢٥٩-٢٦٠.
(٢) البخاري، صحيحه، ٤/١٠٧.
(٣) الخطابي، غريب الحديث، ٢/١٢٦.
(٤) (صخر ومعاوية): أبناء عمرو بن الحارث بن الشريد، وهم اخوة الخنساء. انظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣/٣٠٥.
(٥) الأصفهاني، الأغاني، ١٥/٦٩-٧٠.

هذه الأشهر التي شكلت فترة سلام، تنتهي كُلياً مع نهاية غروب آخر لياليها، وتعد هذه الليلة من أسوأ الليالي التي عرفها العرب، حتى أنهم أطلقوا عليها مسمى: (الفلتة) وذلك لكونها مشكوك في ثبوت نقص أو كمال الشهر، فكان كل غارم ينتهز هذه الفرصة لمباغتة عدوه ويدرك ثأره معللاً ذلك: أنه ظن أنها من ليالي (الحل) وليست (الحُرم)، فيكثر فيها من الفساد وسفك الدماء والغارات ما الله وحده أعلم بقدره[١]، ومن هذا الباب ما فعله "تأبط شرا" عندما سار في بضع من أصحابه لغارة، فوجدوا بيتاً منعزلاً، وظلوا يرقبونه حتى أمسوا، وكان ذلك في آخر ليلة من الشهر الحرام، فتنبهت ابنة الرجل وحذرت أباها، فقام إلى سيفه وبات حذراً يحرس أهله، ولما خشوا بزوغ الصبح ولم يغنموا شيئًا، ساروا إليه وأقنعوه أن هذه الليلة هي بقية الشهر الحرام، وأعطوه من المواثيق ما أقنعه، ولما اطمأن لهم قتلوه وقتلوا ابناً له صغيراً بالكاد يمشى[٢].

وقد ربط العرب بين الأشهر الحرم و(النسيء) في الشهور، وهو تحليل أحد الشهور الحرم، وتحريم شهر من شهور الحل بدلاً منه، وهذا الإجراء ترتب عليه: تأخير الشهر المحرم عن وقته وبذلك تأخرت شعائر أخرى ومنها شعيرة الحج نفسها[٣]، وكان يتم النسيء بتأخيرهم من كل سنة شهرًا يبدؤون من شهر ذي الحجة ثم العام الذي يليه يحجون صفراً وهكذا، فلا يوافق الحج شهر ذي الحجة مرة أُخرى إلا كل اثنتي عشرة سنة[٤]، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٧﴾[٥]، وتُرجع المصادر

(١) الخطابي، غريب الحديث،١٢٦/٢.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ١٢٣/٢١.

(٣) ابن إسحاق، السير والمغازي، ص١٠٠؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٣/١.

(٤) ابن إسحاق، السير والمغازي، ص١٠٠.

(٥) سورة التوبة، آية ٣٧.

النسيء إلى عهد قُصيّ بن كِلاب، حيث ذُكر أنه من المناصب التي أقرَّها قُصيّ على ما كانت عليه عندما حاز مكة، باعتبار أنها (منصب ديني)، لذا لم يتدخل فيه وأبقاها على ما هي[١].

وكان النسيء يتم بطلب من قبائل العرب لأسباب يتفقون عليها، فيتم تقديم طلبهم بين يدي (الناسئ)[٢]، وبعد أن يقف ويجتمعون إليه يقرهم على ما أرادوا، فينصرفون على ذلك[٣].

وكان سبب استحداث النسيء عائدٌ لسببين:

١- تتابع الأشهر الحرم: وهذا الأمر أزعجهم كونهم أصحاب غارات وحروب يتعايشون منها[٤].

٢- اختلاف فصول السنة، فشق عليهم ذلك لأنهم أرادوا أن يكون الحج مناسبًا لمواسمهم وتجارتهم، فصاحب الغلة يريد أن يبيع زراعته، والبعض يتأذى من عناء السفر الطويل وبالأخصّ إذا وافى فصل القيظ، فكانوا يريدون الترحال في وقت يكون هواؤه لطيفًا ومناسب للتجارة، فاستحدثوا عندئذ (النسيء) ليوافقوا بين الحج ومصالحهم الدنيوية، غير أنهم احتفظوا بحرمة رجب فلم يتجاوزوه لتعظيمهم الشديد له[٥].

وتبعًا لذلك كان النسيء عند العرب على نوعين:

الأول: يتم فيه تأخير شهر المحرم إلى صفر: وهو خاص بنسء الحروب والغارات[٦].

---

(١) الطبري، الرسل والملوك، ٢/٢٥٩.

(٢) (الناسئ): وهو الذي ينسيء النسيء، ويعين شهر الحج ويثبته للناس، فهو بمثابة مُفتي القوم وعالمهم، وعادة ما يكون من بني مالك بن كنانة ويُعرفون بـ(القلامسة). انظر: ابن حبيب، المحبر، ص١٥٦-١٥٧.

(٣) المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، ١/ ٦٨.

(٤) السهيلي، الروض الأنف، ١/١٣٩؛ موسى جارالله الروسي، نظام النسيء عند العرب قبل الإسلام، (د ط)، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م، ص٤.

(٥) موسى جارالله الروسي، نظام النسيء، ص٤.

(٦) السهيلي، الروض الأنف، ١/١٣٩.

الثاني: يتم فيه تأخير فريضة الحج لتوافق الشهور الشمسية[١]، يتم فيه تأخير فريضة الحج لتوافق الشهور الشمسية[٢].

وبالرغم من تحريم العرب لهذه الشهور (واستحداث) النسيء لإسكات الأطراف المتذمرة بشأنه إلا أن التجاوزات حصلت فيها، حيث يُذكر أن "قيسبة بن كلثوم السكوني" -أحد ملوك العرب من حضرموت-أراد الحج لمكة، غير أن بني عامر بن عقيل تعرضوا له مع علمهم بالأشهر الحرم فأسروه وأخذوا كُل ماله وما كان معه، وبقي فيهم سنين حتى يئِس منه أهله، إلى أن قابل رجلًا من اليمن، فوعده بمئة ناقة إن أبلغ أهله بأمره، وبالفعل أوفى له الرجل وأخذ ما وُعد به، فقيل: أن كِنْدة والسكون اجتمعوا للحرب لأجل تخليصه، وكان أول يوم تجتمع فيه على قتال قيس عيلان، ونجحوا بإنقاضه، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة[٣].

وقد ابتدعت بعض القبائل نمطاً من الأشهر المحرمة الخاصة بها فقط، هذا النظام عرف (بالبسل): وهو ثمانية أشهر حُرم من كل عام، مخصصة فقط (لبني مرة بن عوف) من بين العرب أجمع، فاستطاعوا بهذا النجاة من الحروب والسير بسلام آمنين مطمئنين في أرض العرب لا يخافون منهم شيئًا، وكانت العرب تعرف ذلك منهم وتقرهم ولا تنكر عليهم[٤]، أما قريش فلم يكن يعرض لهم إكراماً لهم لصيانتهم وحفظهم وقيامهم ببيت الله الحرام، فكان العرب يقولون إذا عرفوهم: إنهم من أهل الله –أي من جوار بيت الله-فيدعونهم[٥]، وكل هذه الأمور من أشهر حرم و(بسل) إنما تدل على رغبة بني مرة وقريش للسلام، فبها استطاعة الأولى العيش بطمأنينة، والأخرى استطاعت

(١) انظر: السهيلي، الروض الأنف، ١٣٩/١.

(٢) ابن إسحاق، السير والمغازي، ص١٠٠.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ٦/١٣.

(٤) الكلاعي (سليمان بن موسى بن سالم بن حسان)، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ، ٢١/١.

(٥) الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنه، ٢١/١.

أداء شعائرها وتجارتها بأريحية، أما (النسيء) ككل فما كان إلى نتيجة وسطًا لإرضاء الأطراف المحبة للحرب والمحبة للمال[١].

ب- القرابين:

القربان هو: ما تقرب به إلى الله -سبحانه وتعالى-من ذبائح وغيرها[٢]، ولا أحد يعرف تمامًا ماهي نهاية تلك القرابين عند العرب، أكانت فقط تذبح عند الأنصاب؟ أم تحرق؟[٣] وهل كانت تؤكل أم تترك هباءً؟ غير أن الهدف منها معروفٌ: وهو التقرب إلى الله شكرًا وعرفانًا، أو سعيًا وراء تحقيق مطالبهم عنده سبحانه، وقد اتخذت شكلين[٤]: فهي إما أن يتم بتقديم القربان عن طريق ذبحه، أو أن يكون وقفًا لله تعالى، أو للصنم: كالوصيلة والحام[٥].

كما انقسمت (القرابين) إلى قسمين من حيث وقت تأديتها:

١- ما يؤدى في أوقات معينة:

ويتم ذلك في أيام محددة: كالأعياد والمواسم، أو في أوقات معينة من اليوم، كالهَدْي والقلائد التي تعد من أهم القرابين التي ترتبط بشعائر الحج وطقوسه قبل الإسلام[٦].

---

(١) عواطف أديب سلامة، قريش قبل الإسلام ودورها السياسي والاقتصادي والديني، (د ط)، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص٣٠١.

(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٨١/٥.

(٣) جواد علي، المفصل، ١٩٨/١١.

(٤) عواطف أديب سلامة، قريش قبل الإسلام، ص٢٩٤.

(٥) (الوصيلة): هي الشاة إذا أنجبت سبعة بطون؛ عمدوا إلى السابع، فأن كان ذكراً ذبح، وأن كان أنثى تركت، وأن كانا توأمين ذكر وأنثى تركا معاً، فيقولون: وصلت الأنثى أخاها، فيحرمان معاً فلا تقتل، ويكون ألبانها ومنافعها للرجال دون النساء. و(الحامي): الفحل إذا أدرك أولاده فصار ولده جداً. حيث يقولون: حمى ظهره، فيترك ولا يحمل عليه ولا يركب ولا يمنع من ماء ولا مرعى، وأن مات اشترك في أكله الرجال والنساء. النويري، نهاية الأرب، ١١٦/٣-١١٧.

(٦) جواد علي، المفصل، ١٩٧/١١.

٢- ما يؤدى في أي وقت:

كالقربان الذي يؤدى عند تشييد المعابد، أو عند القيام بحملة عسكرية بهدف تحفيز الجيش، أو القرابين التي تؤدى للآلهة شُكرًا على النصر(١).

والقرابين نوعان: منها ما هو حيواني، ومنها ما هو بشري(٢).

فالقرابين (الحيوانية) أمر مشهور بين العرب بكثرة، حيث يذكر أن (عمرو بن مالك) –وهو فارسٌ من فرسان بكر–عندما قتل المهلهل بن ربيعة نحر فوقه جمله المسمى (ربيباً) وقطع رأسه عليه(٣)، أما (البشرية) فعلى الرغم من عدم توفر الكثير من الدلائل على استخدام العرب للتقدمة البشرية إلا أن بعض الروايات تشير إلى معرفة العرب بهذا القربان، كما حصل مع (عبد المطلب) الذي نذر "لئن ولد له عشرة نفر، ثم كبروا بخير حتى يمنعوه لينحرن أحدهم لله عز وجل عند الكعبة"، غير أنه غير نذره، وأوفى بمئة من الإبل بدلاً عن رأس ابنه العاشر(٤).

ويعد الهدي من أهم القرابين والنذور المرتبطة بشعيرة الحج قبل الإسلام، حيث يتم تقليدها بغرض التمييز، والقلادة: هي ما يُوضع على العنق وهو أمر عام للبشر والحيوانات، وأما تقليد البدن –أي الإبل–: هو أن يعلق في عنقها شيء متعارف عليه ليُعلم أنها من الهدي(٥).

وهذه الظاهرة ارتبطت بحروبهم وأيامهم عندما وضعها العرب ليأمنوا بها على أنفسهم وأنعامهم في أثناء طريقهم إلى الحج، وفيهم يقول تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗا ﴾(٦).

(١) جواد علي، المفصل، ١٩٧/١١.
(٢) عواطف أديب سلامة، قريش قبل الإسلام، ص٢٩٥.
(٣) الأصفهاني، الأغاني، ٩٤/٦.
(٤) ابن إسحاق، السير والمغازي، ص٣٢ وما بعدها.
(٥) الهروي، تهذيب اللغة، ٤٧/٩.
(٦) سورة المائدة، آية ٢.

فكانوا يقلدون أنفسهم بالشَّعر والوبر ليُعلم أنهم حُجاج في حِمى الله فلا يُتعرض له، أما الهدي فيقلد ليقدمه الحاج قربانًا لله، حيث تساق بعد تقليدها بوضع علامة تميزها على عنقها من نعلٍ بالٍ أو جلد، أو أشعروها بشق على سنامها صغير ليسيل الدم منه ليعرف بأنها هدي فلا يتعرض لها(١)، ثم تسفك دماؤها بحفرة كبيرة بمنى يُطلق عليها (الجباجب)، حيث يتم جمع دماء البدن والهدايا المقدمة، والتي كانت أيضًا من المعظمات عند العرب ومفاخرها(٢).

أما (الأنصاب) التي كانت تذبح عندها معظم قرابين العرب فهي: حجارة كان بعضها ينصب حول الكعبة، تُبدل متى شاء العرب تبديلها، أو إذا رأوا ما هو أفضل منها بالنسبة لهم(٣)وهي على نوعين: نوع صغير يحمل في الأسفار وأخرى كبيرة كانت توضع حول حياض المياه وعلى المرتفعات ليُستدل بها، فكانوا إذا مروا بها قدموا لها القرابين، وهذه الأنصاب كانت ضرورة لكل قبيلة ليس في الحج فقط، حيث يتفاءلون بوجودها لكونها تمنحهم النصر والقدرة والحماية، كما كانوا يعتبرونها مقرًا للأرواح، لذلك سفكت عندها دماء قرابينهم الحيوانية وصُبت عليها تقرباً لآلهتهم(٤).

ج- التلبيات:

ارتبط تاريخ التلبية عند العرب في مكة مع شعائر الحج منذ زمن إبراهيم الخليل –عليه السلام –وظل العرب يلبون تلبيته – عليه السلام–: "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك"، واستمرت كذلك حتى ظهور عمرو بن لحي وحمله للأصنام إلى مكة، وأدخل مع إبليس في التلبية

(١) الهروي، تهذيب اللغة، ٢٦٦/١، ٤٧/٩.

(٢) السهيلي، الروض الأنف، ٤٧/٣.

(٣) المخزومي (أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي)، تفسير مجاهد، تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، ط١، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص٣٠٠.

(٤) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص٩٢؛ فضل بن عمار العامري، الدم المقدس عند العرب، ط١، مكتبة التوبة، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٣٢-٣٣.

عبارة: إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك" فاستحسن عمرو ذلك، وأصبحت التلبية: "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك"(١)، حيث بدأت ملامح المناسك الحقة تضمحل شيئا فشيئا عندما لطختها الوثنية، وأخذوا يشركون خواصها ويربطونها بكل شيء مع الله سبحانه وتعالى(٢)، وبدءؤوا يربطون تلبيتهم بالأصنام، التي أصبحت "منطلق العرب الأول" الذي يصدرون فيه إلى الحج، وكانت أيضًا أول ما يستلمونها عند عودتهم منه(٣)، ثم تلا ذلك قيام التحالفات الدينية بين القبائل على نفس المعبود.

وقد طالت (التلبيات) بعض التغيرات في أسلوب التلبية نفسه، حيث تفككت الدعوة الموحدة لكل القادمين لمكة، وتحولت إلى تلبيات متعددة متناثرة قد تنفرد بها قبيلة أو قد تشارك فيها بعد أن كانت تلبيتهم واحدة توحدهم عندما يتوجهون لمعبودهم(٤)، ومثال ذلك ما جاء في تلبية ثقيف: "لبيك اللهم لبيك، هذه ثقيف قد أتوك وخلفوا أوثانهم وعظموك، قد عظموا المال وقد رجوك، عزاهم واللات في يديك، دانت لك الأصنام تعظيما إليك، قد أذعنت بسلمها إليك، فاغفر لها فطالما غفرت"(٥).

كما أن التلبيات أصبحت عرضًا وسبيلاً لتحقيق مطالب مادية، كالشهرة والمفاخرة(٦)، فقد كان نمط تلبية "بني أسد" هكذا: "لبيك اللهم لبيك، ربنا أقبلت بنو أسد: أهل الوفاء والنوال والجلد، فينا الندى والذرى والعدد، والمال والبنون فينا والولد، الواحد القهار والرب الصمد، لا نعبد

(١) الأزرقي، أخبار مكة، ١٧٩/١.
(٢) مقاتل بن سليمان، تفسيره، ١٢٤/٣.
(٣) ابن حبيب، المحبر، ص٣١٩.
(٤) ليلى توفيق العمري، تلبيات العرب في الجاهلية دراسة موضوعية فنية، ط١، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٣٠هـ/٢٠١٠م، ص٥٧.
(٥) قطرب (محمد بن المستنير بن أحمد)، الأزمنة وتلبية الجاهلية، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٣٩.
(٦) ليلى توفيق العمري، تلبيات العرب، ص٥٨.

الأصـــنام حتى تجتهد لربها ونعتبد، لحجه لها الدما وحجها حتى ترد"[١]، ولبوا أيضًـــا: "لبيك اللهم لبيك، إننا لقاح، حُرمتنا على أسنة الرِّماح، يحسدنا الناس على النجاح"[٢].

كما كانت (التلبيات) مُشـــتركة بين كُل القبائل المتحالفة في معبودها وصـــنمها، وقد تنفرد القبائل الكبيرة بتلبية خاصة لصنمها للدلالة على مركزهم الديني وتميزهم[٣].

وإلى جوار ذلك نَجِد التلبية تتخذ منحىً آخر، عندما اتخذت صورة الثأر والنيل من أعدائهم باستخدام الفاظ التلبية، حيث يتم ذلك في نعرة عصبية واضحة كما جاء في تلبية بكر:

"لبيك اللهم لبيك، لبيك لولا أن بكرا دونك، يبرّك الناس ويهجرونك، ما زال حج عثج يأتونك، إنا على عدوائهم من دونك"[٤].

كما أُســـتخدمت الفاظ التلبية في أســـلوب يجمع ما بين (الدعاء والرجاء) في محاولة لدفع ضر العدو وأذاهم، ومثال ذلك ما ورد في هذه التلبية:

"لبيك اللهم لبيك، لبيك، رب فاصـــرف عنا مُضَـــر، وســـلم لنا هذا الســـفر، أن عما فيهم لمزدجر، واكفنا اللهم أرباب هجر"[٥].

العمرة:

ارتبطت شـــعائر الحج (بالعمرة)، حتى أنها سُميت (بالحج الأصـــغر)[٦]، وكان العرب يعتبرون أداءها في الأشـهر الحرم من أفجر الفجور[٧]، لذا خصـصـوا لها شـهر رجب، وكانت مقصـورة غالبًا على أهل مكة والمناطق القريبة منها، في حدٍّ أقصـى: مسـيرة خمسـة عشـر يومًا من ديارهم إليها، والسبب في ذلك أن رجب شـهر واحد فقط، فلا يستطيع العربي أن يأمن فيه على نفسـه وأهله وماله سوى خمسة عشر يوماً مقبلاً للحرم، وخمسة عشر يوماً راجعاً لدياره[٨].

---

(١) قطرب، الأزمنة وتلبية الجاهلية، ص٤٠.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص٣١٥.

(٣) ليلى توفيق العمري، تلبيات العرب، ص٥٨-٥٩.

(٤) ابن حبيب، المحبر، ص٣١٣.

(٥) ابن حبيب، المحبر، ص٣١٤.

(٦) مقاتل بن سليمان، تفسيره، ١٦٦/١.

(٧) المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، ص١٦٥.

(٨) محمد الجارم، أديان العرب، ص٣٨.

والعمرة لا ترتبط بأي من مناسك الحج، وحرص العرب على ألا يوافق موعدها موسم الحج، حيث كانوا يأتون أصنامهم فيها ليذبحوا عندها العتائر، ويحلقون رؤوسهم، ويلبسون لبس الإحرام مع الاكتفاء بالطواف حول الكعبة دون السعي بين الصفا والمروة(١).

وقد تعددت مسميات شهر (رجب) من بين بقية الأشهر لتميزه بكونه الشهر الذي يعرض بعد شهور طويلة، متفردًا عن البقية، فمن مسمياته:

أ- الشهر (الأصم): لأنهم كانوا يوقفون الغارات والحروب عند دخوله، فلا يُسمع فيه قعقعة أسلحتهم ولا قتل ولا استصراخ لغارة(٢).

ب- (منصل الأل) أو (منصل الأسنة): لأنهم كانوا ينزعون فيه رؤوس الحراب وهي: الأل والأسنة(٣).

وكان من أهم الطقوس التي خُصت بهذا الشهر هي (العتائر) التي كانت تساق لتذبح في العمرة الرجبية شكراً ومنَّة للآلهة على ما من عليهم من نعم وأمن أو نصر(٤)، ولم تكن العتيرة مقصورة على الكعبة فقط، بل قد تقدم للأصنام، وللمعبودات الأخرى(٥).

وكان العرب إذا أرادوا المسير في عمرة أو حج: عَلَّموا بيوتهم وأنفسهم إخباراً للناس بوجهتهم حتى لا يسعى أحد لهم بثأر أو يعرض لهم بأذى، فكان من ضمن تلك التقاليد أن (الأوس) تعلق سعف النخل على بيتوهم(٦) لينطلقوا آمنين للبيت الحرام.

(١) جواد علي، المفصل، ١١/٣٩١-٣٩٢.

(٢) المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، ص٢٠٦.

(٣) الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة)، المعاني الكبير في أبيات المعاني، تحقيق: سالم الكرنكوي؛ وعبد الرحمن بن يحي اليماني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ٢/١١١٤؛ الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة)، أدب الكاتب (أو) أدب الكّتاب، (د ط)، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، (د ت)، ص٣٤٩.

(٤) الجاحظ، الحيوان، ٥/٢٧٠.

(٥) الكلبي، الأصنام، ص٥٩.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١/٥٩٩.

المبحث الثاني

الطقوس الوثنية

لما كان العرب لا يخرجون لحربهم إلا طلباً (للنصر والغنيمة)، أدركوا احتمالية الأخطار التي يمكن أن تفشل خُططهم وتعرض رجالهم وأموالهم للخسائر، لذلك عَمدوا إلى تسخير طُرقٍ أخرى كشفت عن حقيقة حذرهم وخوفهم الشديد؛ إضافة إلى أنها رفعت النقاب عن مدى ضُعف إيمانهم بمعبوداتهم التي استشاروها قبل خروجهم للحرب سابقًا، وكانوا حريصين على اتخاذ عادات وتقاليد أخذوا بها وجعلوها حقًا عليهم ودينًا، فصارت لهم عادة ومذهبًا، استخدموها وطبقوها في حروبهم وغاراتهم ومنها(١):

أ- الأحلاف:

كانت الأحلاف ذات شأن خطير عند العرب ولأهميتها كانت بعض القبائل تستمر بأحلافها أجيالا طويلة، ولا يفرق بينهم إلا حدث جسيم يقطع هذه الصلة المقدسة بينهم(٢).

وفي كلمة (حلف) ما يدلل على علاقته بالشعائر والدين، فالحَلف سُمي (يميناً)، كما أن من عاداتهم بسط اليد اليمنى عند التحالف، فيقولون: " لَيْمُنُك وأَيْمُنك"(٣).

وكانت تقام الأحلاف غالبًا في حضور المعبود، فهي الشاهد والضامن على هذا الحلف، وتميزت طقوسها بالمبالغة غالبًا، وذلك للتخويف والترهيب حتى لا تُكسر بسهولة، كما كانت الأحلاف من أبرز السمات التي اتسم بها المجتمع (القرشي) خاصة في معظم فتراته، حيث كثرت تحالفاتهم التي سجلها التاريخ واشتهرت بها قريش وسنتها في شكل عادات وتقاليد بقصد تقوية علاقاتها بمن حولها، وعلاقاتهم ببعضهم، وتؤدى شعائرها حول الكعبة، وحول أصنامهم التي

(١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٩/٨.

(٢) أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة، ص٥٧.

(٣) الفراهيدي، العين، ٣٨٧/٨؛ جواد علي، المفصل، ٣٧١/٧.

يعتقدون أنها شاهدة على تلك الأحلاف[١] الدينية: التي تتحد فيها القبائل لاشتراكها في عبادة معبود واحد، وهو نمط كان منتشرًا بين العرب بشكل كبير، وكان الغرض منه لا يتعدى حماية معبودهم، فهو اتحاد صوري ليس له أهمية غالبًا في حياتهم[٢].

ب- القسامة:

القسامة هو: القسم الذي يؤديه المتهم بالقتل لنفيه عن نفسه مع دفع الدِّية، أو يحلف خمسون رجلاً من قومه إن لم يقتل القتيل ولا يعلمون قاتله، فتسقط الدِّية عنه[٣]، وكانت تستخدم: في حالات الغدر والشك بغرض التسوية وحسم الخصومة، وبالأخصّ عند عدم وجود الشهود[٤].

وتمت أول قسامة في الجاهلية على يد (بني هاشم): وذلك أن رجلا منهم استأجر رجلاً آخر من بطن آخر من قريش، للخروج معه في رحلة، فلما سارا في طريقهما انقطعت الحبال التي تربط (إبل) الهاشمي فاستغاث برفيقه ليُعطيه عقالا يربط بها، ففعل، ولما انتهى وجد أحدها لم يربط، فغضب لذلك فرمى الأجير بحجر كانت سبب حتفه، وصادف أن مر رجل من اليمن بالأجير وهو يحتضر، فطلب منه أن يأتي "عبد المطلب"، ويخبره أن فلاناً قتله في عقال، فلما عاد الهاشمي لمكة سُئل عنه: فقال: إنه مرض في الطريق، فأحسن إليه حتى مات فدفنه، ثم أن الرجل الذي أوصاه المستجير وفد لمكة وطلب لقاء "عبد المطلب"، وأبلغ عن القتيل رسالته، فجاء "عبد

(١) الألوسي، بلوغ الأرب، ١/٣٤٨-٣٤٩؛ جواد علي، المفصل، ٧/٣٧٧ وما بعدها. ومن تلك الأحلاف: (المطيبين)، وهم: عبد مناف وأحلافهم، سموا بذلك عندما أخرجت لهم عاتكة بنت عبد المطلب جفنة فيها طيب فغمسوا أيديهم فيها، كما قام بعضهم بنحر جزوراً وغمسوا أيديهم في دمها فسموا بـ(الأحلاف)، وهم: عبد الدار وأحلافهم، ولعق رجل منهم لعقة من دم، فلعقوا معه فسموا: بـ(لعقة الدم). ابن حبيب، المنمق، ص١٩٠.

(٢) ليلى توفيق العمري، تلبيات العرب، ص٥٣-٥٧.

(٣) البلخي، مفاتيح العلوم، ص٣٦.

(٤) الحنفي، شرح صحيح البخاري، ١٦/٢٩٦؛

المطلب" وخَيَّرَ الرجل من هاشم إما الدِّية، أو أن يحلف خمسون من قومه أنه لم يقتله، وإن أبى قُتل بالرجل، فاختار الهاشمي الحَلف وقومه، ويذكر أنه لم يحل عليهم الحول حتى فارقوا الحياة جميعًا(١).

كذلك عندما اشترك "عبد الله بن الصُّمة" مع "شراحيل بن سفيان" في غارة لهم على: (عامر بن صَعصَعة، وبنو جشم معاوية)، استطاع عبد الله أن يغنم ستين ناقةً من دون القوم، فتركها مع شريكه وسار لبعض أمره، وأخبر أحدهم أن يُبلغ أخاه "دريد بن الصُّمة"(٢) أن يأخذ حصته من شراحيل، غير أنه وإخوته لفَّقوا موت "عبد الله" وجحدوا حصته، فأبى عليهم "دريد" إلا وأن يستحلفهم عند "ذي الخلصة" فأجابوه وحلفوا، وبعد فترة عاد "عبد الله" بغنيمة أعظم، فجاؤوه بوقاحة يطلبونه من غنيمته، وعندما واجههم دريد بإنكارهم وحلفهم أقسموا إننا ما حلفنا ولا فعلنا(٣).

ج- النذور:

النذور(٤): مفردها نذر، وتدل على التخويف، ومنه الإنذار: أي الإبلاغ الذي يكون بالتخويف غالباً، وتناذروا: خوف بعضهم بعضاً، والنذر: ما أوجب(٥).

بالغ العرب وغالوا فيها لدرجة كبيرة، حتى أنها أصبحت من مظاهر الحرب المألوفة عندهم، ودلالتها غالبًا نابعة من غضب دفين للأخذ بالثأر، أو قهر عدو، هذه النذور قَسم مقدس لا يهم الطريقة التي تُنفذ فيها، ولكن الأهم هو إيفاؤها، وقد اتخذت نذور العرب أشكالًا عدة، حيث

(١) الحنفي، شرح صحيح البخاري، ٢٩٦/١٦.

(٢) (دُريد بن الصُّمة): شاعر عربي وفارس مغوار، قيل إنه غزا مئة غزوة لم يخفق في واحدة منها، وقد أدرك الإسلام واشترك في غزوة حنين ضد المسلمين، وقُتل فيها مشركًا عام ٦٣٠م. هنري سعيد عبودي، معجم الحضارات، ص٣٩٧-٣٩٨.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ١٤/١٠.

(٤) (النذور): النذر من الطقوس الدينية التي عُرفت وانتشرت في الشرق الأدنى القديم، حيث كانوا ينذرون بالتضحية بالبشر، البهائم، البيوت، وغلات الحقول. سلطان عبد الله المعاني، "التكريس عند العرب القدماء؛ دراسة في النصوص النقشية العربية القديمة"، مجلة المنارة، مج٤، ع١، ١٩٩٩م، ص٢٣.

(٥) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٤١٤/٥.

يُذكر أن (عمرو بن المنذر اللخمي) كان له ربيء عند رجل يدعى (زرارة بن عدس)، غير أن هذا الربيء لما شب قتله رجل من بني دارم بناقته ثم هرب لمكة، وكان زرارة حينها في ضيافة المنذر فكتم الأمر عنه، وأخفى أمره عنه حتى مات، وبعد حين من الدهر علم المنذر، فأقسم أن يقتل مئة من بني دارم، فسار حتى جاء جبل (أوارة) حيث حاربهم، وقتل عليه تسعة وتسعين رجلاً منهم، وكان قد جاءه رجلٌ من (البراجم) يريد مدحه فقتله ليوفي به نذره(١)، كما يذكر: أن امرأة تدعى(ريحانة بنت معْد يكرب)، قالت لدريد بن الصُّمة -وكان قد حال الحول وهو لم يثأر لأخيه-: يا بني إن كنت عجزت عن الطلب بثأرك فاستعنْ بخالك وعشيرته، فرفض ذلك ونذر ألا يمسَّ طيبًا ولا كحلًا ولا دهنًا، ولا يأكل لحمًا ولا يشرب خمرًا حتى يأخذ بثأره، فخرج مسرعًا بغارة استطاع خلالها أن يأسر فيها قاتل أخيه، فأخذه وقتله بفناء ريحانة إرضاءً لها، فوفَّى بنذره(٢).

وأيام العرب مليئة بهذا النوع من النذور، حيث نَجدهم يأخذون على أنفسهم العهود والنذور بعدم شرب الخمر أو أخذ الزينة وغيرها، وإنما يرتبط ذلك دائمًا بطلب الثأر والغضب الدفين جراء ذلك فكأنما يريدون تحريض أنفسهم وتذكيرها الدائم به ليستطيع بعدها التحرر والعودة لحياته الطبيعية، ويذكر أن (المهلهل بن ربيعة) عندما قتل أخوه (كليب) نذر ألا يهم بصلح، ولا يشرب خمراً، ولا يلهو لهوًا، ولا يغتسل بماء حتى يدرك ثأر أخيه، فكان جلساؤه يتأذون من رائحته وصدأ الحديد من درعه(٣).

كما اتخذت النذر أشكالا أُخرى عند العرب، فكان منه النذر اللفظي: كالقسم والعهد بكتمان أمر أو المجيء به، فمثلاً عندما سارت تميم وأحلافها (بيوم جبلة)(٤)، قابلوا أحد الرجال في

(١) ابن المثنى، أيام العرب، ٢٨٨/٢ وما بعدها.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ١٣/١٠.

(٣) محمد أحمد مولى جاد المولى بك وآخرون، أيام العرب، ص١٦٦.

(٤) (يوم شعب جبلة): يوم لبني عامر من قيس عيلان وأحلافها من عبس، على تميم وأحلافهم من ذبيان وأسد وغيرهم، وجبلة: اسم جبل طويل له شعب عظيم متسع لا يوصل إلا بتسلق الجبل، وهذا اليوم من أعظم أيام العرب، وكان قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة. انظر الهامش: محمد أحمد مولى جاد المولى بك وآخرون، أيام العرب، ص٣٤٩.

طريقهم، فأخذوا عليه الأيمان والمواثيق إلا يُنذر بهم العدو ففعل، غير أنه احتال عليهم، فبعد أن وصل لمجلس أعدائهم من بي عامر، أتاهم وهو يحمل تُراب في صرة، وشوك قد كسر رأسه! ففهم زعيمهم أنه رجُل أُخذت عليه المواثيق وأنه إنما يريد بذلك إنذارهم، وأن قصده بالتراب الكثير الجيش الكثير، وقَصد بالشوك المنكسر تفرقهم رغم كثرتهم(١).

د- العرَّافة والخطُّ:

العرَّاف أو الحازي: هو الذي يزعم أنه بإمكانه معرفة الغيب بمُقدمات الأمور من أفعال ومواقف وتصرفات، فمعرفته إذاً معرفة محصورة بأشياء كإيجاد الضالة، ومعرفة مكان الشيء المسروق(٢)، وهو في المنزلة دون الكاهن(٣)، ومن الذين اشتهروا بهذا (رباح بن عجلة) عراف اليمامة، و(الإبلق الأسدي) عراف نَجْد(٤).

ويعد (الخطُّ): هو ما يعتمد عليه العراف(٥)، وطريقته: أن يقعد الحازي ويأمر أحد خدمه فيخط خطاً على الرمل أو التراب بخفة وعجلة حتى لا تُدرك الخطُّوط فتحصى، ثم يأمره بمسح هذه الخطُّوط على زوجين فإن بقي خطان فهو خير ونجاح، وإذا بقي خط واحد فهو شر وخيبة(٦).

(١) ابن المثنى، أيام العرب، ١٢١/٢.
(٢) القسطلاني، إرشاد الساري، ٣٩٨/٨.
(٣) المسعودي، مروج الذهب، ١٣٤/٢.
(٤) الألوسي، بلوغ الأرب، ٣٠٧/٣.
(٥) جواد علي، المفصل، ٣٤٩/١٢.
(٦) الخطابي، معالم السنن، ٤/ ٢٣٢.

هـ- الزجر:

الزجر: هو العيافة، وهو نوع من أنواع التكهن(١)، والزجر عند العرب مبني على الكشف – كما يزعمون–عن خبايا القدر من خير وشر، ومنه نبعت فكرة التفاؤل والتشاؤم(٢)، ويذكر أن بني أسد قد اشتهروا بذلك(٣).

والتطير في الأصل مأخوذ من تنفير الطير والظباء وغيرها، ومنه التطيير حيث كانوا يتبعون الطير فإذا أخذت يميناً تبركوا بها ومضوا، أما إذا ذهبت شمالا تشاءموا وعدلوا عن مسيرهم وأمرهم، وكانوا يسمون هذا الأمر: بـ(السانح، والبارح)، فكل ما يذهب لليمين فهو سانح، وكُل ما ذهب شمالا فهو بارح(٤)، وكانوا يسمون الذي يقوم على الطيرة: بـ(الخُثارم)(٥)، كما كان من أنواع الزجر والتطير: عبث الطائر بريشه أو نتفه، ثم اتسع فأصبح يشمل البشر ممن بهم عاهات كالأعور والمبتور وما شابهها، والطير، والسباع، والإبل وبقية الدواب، فتطيروا بهم جميعًا، وكان الزاجر يسير في الأرض ثم ينهي عن المسير برفع صوته بشدة فالزجر إذا (يتم بالتلفظ)(٦)، وكان (الغراب) من أكثر ما تشاءم به العرب، حيث كانوا " يرون أن صياحه أكثر إخبارا، وأن الزّجر فيه أعم"(٧)،

(١) الفارابي (أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ٦٦٨/٢.

(٢) عبد القادر الرباعي، الطير في الشعر الجاهلي، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٨م، ص١١٥.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ١٣٠/٢.

(٤) الحنفي، شرح صحيح البخاري، ٢٧٣/٢١.

(٥) الهمائي (علي بن الحسن)، المنتخب من غريب كلام العرب، تحقيق: محمد بن أحمد العمري، ط١، جامعة ام القرى معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص٧٧٦.

(٦)الجاحظ، الحيوان، ٢٠٨/٣؛ الهروي، تهذيب اللغة، ٣١٨/١٠؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١٥/٨.

(٧) الجاحظ، الحيوان، ٤١٨/٢.

فسموه (بالحاتم) لأنه –كما يرون–يُحتم عليهم بالفراق[١]، كما كرهوا (الناطح) وهو ما يَلقى المرء بجبهته، و (الكادس) وهو ما يجيء من الخلف يتتبع الرجل[٢].

ومن الجدير بالذكر أنه لم يكن كل العرب يفضلون تلك الأساليب، إذ أن معرفة الغيب مُستحيلة، كما أنها قد تودي بهم للمهالك عند اتباع الظن، وممن ذم الطيرة وأوصى بتركه الحارث بن حلزة حيث قال[٣]:

يا أيها المزمع ثم انثنى لا يشك الحازي ولا الشاحج
ولا قعيد أغضب قرنه هاج له من مربع هائج
بينا الفتى يسعى ويسعى له تاح له من أمره خالج
يترك ما رقّح من عيشه يعيث فيه همج هامج
لا تكع الشّول بإخبارها أنك لا تدري من الناتج

وهذا المعتقد عند العرب في الطير نابع من ارتباطه بالقتلى في المعارك، حيث شاركت الطيور رحلة الجيش إلى ساحات المعركة، كما شاركتهم نصرهم عندما تلذذت بالتهام جثث قتلى أعدائهم، كما ساروا في اعتقادهم هذا في حيوانات كالسباع لأنها الأخرى تسعى لالتهام لحوم القتلى[٤].

وهذا المنظر البشع للحرب ومشاركة الطير والوحش فيها جعل العديد من العرب يتطيرون منها ومن هذا المصير[٥]، فدريد بن الصُّمة القشيري يصف هذه الحال في شعره ويقول[٦]:

ومرة قد أخرجناهم فتركنهم يروغون بالصلعاء روغ الثعالب

(١) الهنائي، المنتخب من كلام العرب، ص٧٧٦.
(٢) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٩/٨.
(٣) الجاحظ، الحيوان، ٢١٤/٣.
(٤) عبد القادر الرباعي، الطير في الشعر الجاهلي، ص٦٨-٧٠.
(٥) عبد القادر الرباعي، الطير في الشعر الجاهلي، ص٧١.
(٦) الأصمعي (أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي)، الأصمعيات، تحقيق: أحمد محمد شاكر؛ عبد السلام محمد هارون، ط٧، دار المعارف، مصر، ١٩٩٣م، ص١١٢.

وأشـــجع قـد أدركنهم فتركنهم يخافون خطف الطير من كل جانب

ومن أمثلة التطير وبُطلان مذهبها: أن النابغة الذبياني خرج مع رجل في غزو فرأى جرادة ذات ألوان، فتطير وعاد من ساعته، بينما أكمل صديقه غارته، وعاد غانماً، فقال للنابغة شعراً[١]:

تـعـلـم أنـه لا طـير إلا على مـتـطـير وهـو الـثـبـور

بلى شـــيء يوافق بعض شـــيء يـفـاجـئـنـا وباطـلـه كـثـير

ومـن يـبرح بـه لا بـدّ يـومـا يجـيء بـه نـعـي أو بشـــير

و- الطرق بالحصى:

وهو الضرب بها تكهناً، ويتم أيضًا (بخلط القطن بالصوف)[٢].

ز- السِّحر:

السِّحر: هو كل ما كان للشيطان تصريف فيه ومعونة[٣]، وقد أُستخدم السِّحر بين العرب على نطاق ضيق جداً، وقلة هم من عُرفوا به كقبيلة (السكاسك) من آل كِنْدة، حيث قيل إنهم: كانوا يرقون حتى السحاب فتمطر[٤]!

ومن هذا الباب يذكر أن (حاجز بن عوف بن الحارث) من قبيلة ذهل، خرج يوماً في بعض غزواته، إذ أحاطت به خثعم ومعه رفيق له، وكان فيهم امرأة ساحرّة فعرفت حاجز بشامة في قدمه! فصاحت بقبيلتها تخبرهم عنه، فما كان من حاجز بن عوف إلا الهروب، فعرضت العجوز عليهم أن تكفيهم سلاحه، أو سرعته، فطلبوا منها أن تكفيهم السلاح ففعلت، وسار رجل منهم وراءه يتبعه، ولما واتاه جَبُن أن يرميه، فأصبح قومه يطلبون من (حاجز): قتل صديقهم لجبنه، وعنما أراد

(١) المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، ص٥٣٠.

(٢) الهروي، تهذيب اللغة، ٣/٤٥٠.

(٣) الفراهيدي، العين، ٣/١٣٥.

(٤) ابن سعيد، نشوة الطرب، ص٢٤٤.

حاجز أن يرميه انقطع وتره لسحر الساحرّة، فأخذ قوس رفيقه وانكسر أيضًا، فهربا ولم يستطيعا رمي أحد من خثعم(١).

ح- التمثيل بالقتلى:

ويعد التمثيل بالقتلى مظهراً مُلازماً لحروبهم دون شك، ويأخذ الكثير من الأشياء، ومنها:

١- قصم الصلب:

وممن مُثل بهم بهذا (حذيفة بن بدر الفزاري) من بني ذبيان، وقد كان في (يوم اليعمرية) قد أخذ صبية رهناً من بني عبس، فجعل يخرج كل يوم منهم صبياً ويدفعه بوادي يُدعى (اليعمرية) ويقول له: ناد أباك! فكان كل ما نادى غلاماً أباه رماه بالسهم فقتله حتى أفناهم جميعًا، فلما التقى بنو عبس وبنو ذبيان مرة أخرى استطاعت عبس إمساكه، فقام رجل من عبس وهو يقول: لبيكم لبيكم! يقصد به إجابة الصبية المغدورين في الأخذ بثأرهم، فقصموا له صلبه(٢).

٢- جز الناصية:

كانت العرب إذا أسروا لهم شريفاً ومنوا عليه وأطلقوه من أسره؛ جزوا ناصيته، فتكون عند الرجل يفخر بها(٣).

ط- شد اللسان:

يُعد الشِّعر من أهم أدوات القتال وبالأخصّ الشِّعر "الحماسي" إذ أنه يُقال قبل القتال وأثناء احتدامه لتشجيع الجيش ورفع معنوياتهم. ولا يكاد يخلو يوم من أيامهم إلا وارتبط بالشِّعر، حيث

(١) الأصفهاني، الأغاني،١٣/١٥٠.

(٢) (اليعمرية): يوم من أيام (داحس والغبراء) والتي كانت بين عبس وذبيان، وفي هذه المعركة كانت الحرب سجالاً بين الطرفين، وانتهت بصلح. انظر الهامش: محمد أحمد مولى جاد المولى بك وآخرون: أيام العرب، ص٢٤٦ وما بعدها.

(٣) الألوسي، بلوغ الأرب، ٣/١٥.

حارب الشُّعراء بألسنتهم لجوار قبائلهم[١]، وقد اختص بهذا الطقس (الشُّعراء) وذلك لأن العرب كانت تخاف هجاءهم عند أسرهم، فيقومون بأخذ (قيد منسوج) يُعرف (بالنسعة)[٢] فيشدون به لسان الشاعر، وإذا أخذوا عليه المواثيق بعد ذلك أطلقوه[٣].

فعندما أَسر (الرباب) الشاعر (عبد يغوث القحطاني)، ربطوا له لسانه، وقالوا له: إنك شاعر ونخاف هجاءك، إلا أن عبد يغوث وعدهم ألا يتعرض لهم بشيء إذا أعطوه خمراً، فسقوه ورثى نفسه، ثم قتلوه[٤].

وقد يُعجب المرء من هذا التصرف السابق، لكن الحقيقة أن مكانة (الشُّعراء) عند العرب كبيرة للغاية، فإذا نبغ شاعر في قبيلته احتفلوا به، وقدمت القبائل الأخرى تهنئها، فيستبشر الرجال والولدان، وتصنع الولائم، وتجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يفعلن بالأعراس وذلك أن هذا الشاعر هو حامي أعراض القبيلة والمدافع عن أحسابهم والمخلد لمآثرهم[٥]، والقبائل الأخرى تهنئ تلك القبيلة اتقاءً لشر قادم، حيث كانت العرب تخشاهم، كما كان الشُّعراء أنفسهم يتخوفون عاقبة أفعالهم وشعرهم، وبالأخصّ (هجاءهم) إذا يكون في الغالب ظُلماً وتجنياً، لذا نَجد زهير بن أبي سلمى يقول:

"ما خرجت في ليلة ظلماء إلا خفتُ أن يصيبني الله بعقوبة؛ لهجائي قوماً ظلمتهم"[٦] وربما كان تخوفه هذا؛ نابعاً من شخص حاقد، وعدو مُتربص ليقتله.

---

(١) جواد علي، المفصل، ١٧/٤١٥، ١٧/٧٠.

(٢) (النسعة): حبال من الأدم، صنعت على هيئة الضفائر. انظر: ابن دُريد (أبو بكر بن الحسن بن دُريد الأزدي)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م، ٢/٨٤٣.

(٣) الألوسي، بلوغ الأرب، ٣/١٧.

(٤) انظر (يوم الكلاب الثاني) في: ابن المثنى، أيام العرب، ٢/٤٥؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٦/٨٣.

(٥) ابن رشيق (أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، دار الجيل، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ١/٦٥.

(٦) الأصفهاني، الأغاني، ١٠/٢٤١.

ي- الحرب من الشق الأيمن:

استخدم العرب هذه الطريقة لعلمهم بطبيعة الإنسان التي تحمله للهروب من الشق الشمال لذلك كانوا يباغتونهم من الشق الأيمن يقول الشاعر(١):

فجئناهم من أيمن الشّق غدوة ويأتي الشـــقي الحين من حيث لا يدري

ك- وطء المُقِلات:

لأهمية الفرسان في تحديد نتيجة الحرب وحماية القبيلة ورفع صيت قبيلتهم وصنع هيبتها ذهب العرب في أبطالهم وفرسانهم مذاهب شتى ومنه أن (المقِلات) إذا وطئت سيداً مقتولاً عاش ولدها(٢)، و(المقلات من النساء) هي التي لا يعيش لها ولد(٣)، وترى الباحِثة أن هذا الفعل مرتبط بقيمة ثبات الفرسان في المعركة التي تستلزم قوة عقلية وجسدية كاملة.

ل- البكاء على المقتول:

وهو أمر خُص بالنساء، حيث إذا جاء نعي المقتول لم يبكينه حتى يُؤخذ بثأره فيبكينه عندئذٍ(٤).

م- كعب الأرنب:

كان يتم تعليق (كعب الأرنب) على الإنسان بغرض طرد العين، ودفع السِّحر، ولإبعاد الجن التي كانت لا تحب الأرانب وتهرب منها لأنها تحيض! فبذلك يسلمون ولا يتأثرون منهم كما يرون(٥).

---

(١) الجاحظ، الحيوان، ٢٧٣/٥.

(٢) الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة)، غريب الحديث، تحقيق: عبد الله الجبوري، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ، ٥٦٥/٢.

(٣) الفارابي، الصحاح، ٢٦١/١.

(٤) النويري، نهاية الأرب، ١٢٢/٣.

(٥) النويري، نهاية الأرب، ١٢٤/٣.

ن– الهامة:

(الهامة) طائر يزعم العرب أنه يخرج من رأس المقتول بعد دفنه، إذا لم يُطالب بثأره، فيبقى عاكفاً على القبر صارخًا: "اسقوني، اسقوني!" إلى أن يُؤخذ بثأره(١).

ويزعمون أيضًا أنه أول ما يكون صغيراً ثم يكبر حتى يصير بحجم البوم عندئذ يتوحش بالصراخ، ويزعمون أن الهامة لا تفارق ولد الميت، وتخبر المقتول بما فعل ابنه في أمره(٢).

وترى الباحِثة أن هذا الطقس طقس تحريض لما ألفه العرب من وجوب الأخذ بالثأر، وبالأخصّ لو تبعه عذر أنه سُيعيَّر بهذه الهامة التي تُحلق قريباً من قريبه المتقاعس في سعيه للأخذ بدم قريبه المقتول.

(١) السهيلي، الروض الأنف، ١٩٢/٢؛ النويري، نهاية الأرب، ١٢١/٣.

(٢) الأبشيهي (شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور) ت٨٥٢هـ، المستطرف في كل فن مستطرف، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٩هـ، ص٣٣١.

الباب الثاني

أثر أيام العرب على الحياة الاقتصادية

الفصل الأول

الـــــــــــرعـي

- المبحث الأول: المراعي الخاصة.
- المبحث الثاني: المراعي العامة.

المبحث الأول

المراعـــــي الخاصـــــة

يعد الرعي من أهم الحرف التي عرفها العربي في جزيرته، وأحد أهم موارده الاقتصادية، وبحكم طبيعتها الجغرافية، وتقلباتها المناخية مارس العربي الرعي والذي انقسم إلى نوعين(١):

أولاً: الرعي الثابت.

وهو الرعي الذي يعتمد على (المواســـم)، وهو خاص برعاة الغنم، والماعز، والذين عادة ما تكون مســاكنهم في بيوت دائمة في الحواضــر أو القرى، حيث يتنقلون برعيهم بين موسمي الشــتاء والصــيف ففي فصــل الشــتاء يتجهون إلى التهائم، وفي فصــل الصــيف يتجهون بها نحو المرتفعات الأكثر برودة(٢).

وقد عُرفت هذه الظاهرة عند العرب بـــــظاهرة (التبدي): وهو أن يخرج الناس إلى (البوادي) يبتغون الكلأ وأماكن نزول المطر(٣)، حيث يبدأ أولهم بالخروج بطلوع نجم (ســهيل) في بداية وقت الخريف، ويســتمرون بالنزول إلى البادية حتى يصــل آخرهم في وقت ســقوط (الفرع الثاني) حيث يبتدئ مطر(الوسمي) بالهطول، وينتهي فصل "التبدي" عند العرب بطلوع (الشـــرطين)، حينها يبتدئون بالرجوع لمســـاكنهم الأولى، ولا يعود أواخرهم إلا وقد طلع نوء (الهقعة) وتكون المراعي عندها قد انقطع كلؤها وجف، ونضبت غُدرانها(٤).

(١) لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور، ص٢٩٠.

(٢) ربرت هيلند، تاريخ العرب في جزيرة العرب من العصر البرونزي إلى صدر الإسلام ٣٢٠٠ق.م-٦٣٠م، ترجمة: عدنان حسن، ط١، شركة قدمس للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٠م، ص١١٨-١١٩.

(٣) الدينوري، الأنواء، ص٩٦.

(٤) الدينوري، الأنواء، ص٩٦-٩٨.

ثانياً: الرعي المتنقل.

هذا النوع من الرعي يعتمد أهله على تتبع جهات البرق ونشأة السحاب، فهم في حل وارتحال دهرهم كُله، فإذا ما وجدوا المراعي أقاموا عليها ما ظلت، وإذا ما انقضت السحب ساروا مرة أُخرى وراء الماء والكلأ، يستمرون على ذلك طيلة الفصول الثلاثة: الصيف والربيع والخريف، وإذا ما اقترب الشتاء نزحوا بأنفسهم واقتربوا من الحواضر والقرى، حيث يقضون شتاءهم كله هناك، صابرين على قسوة وبؤس عيشهم بقوتهم(١).

وعلى أية حال فلم تكن مهمة الرعي سهلة على العربي في سبيل توفير الكلأ والمرعى المناسب لماشيته التي هي ماله وثروته (عند أغلبيتهم)، وهو ما ترتب عليه ظهور الصراعات على تلك المراعي والمشاحنات بين القبائل المختلفة، أو بين بطون القبيلة الواحدة، وذلك من أجل الاستحواذ على أفضل المراعي، ولو أجبر للحرب مقابل ذلك، وأحيانًا تكون المراعي بالنسبة (للقبيلة أو للأفراد) هبات تُعطى دون جهد، أي أشبه بـ(الإقطاعات)، وهو أمر اختص به الملوك، مثلما فعل (عمرو بن هند) عندما أعطى قبيلة "جديلة" من طيّء حِمى لهم يرعون فيه ما شاؤوا(٢)، كما ذُكر أن ملوك الحيرة على رأس كل سنة يأتيهم وجوه العرب فيقيمون في ضيافتهم شهرًا، ثم يقطعون لهم إقطاعات، لذلك سموا (بذوي الأكال)(٣).

وقد تشترك قبيلة وأكثر عن طريق الأحلاف ببسط نفوذهم على قطعة أرض كما فعلت قبيلتي (عامر بن صعصعة، وهوازن) عندما أجدبت ديار مُضَر ارتحلوا إلى أراضي (سعد والرباب) الذين كانوا يواصلونهم في النسب، وطلبوا منهم أن يرعوا معهم، غير أن سعد والرباب تخوفوا من تبعات ذلك، وقال بعضهم: "أنه ما اجتمعت مثل عدتنا قط، إلا كان بينهم أحداث" -أي

(١) ابن سعيد، نشوة الطرب، ص٧٤-٧٥.
(٢) الحلي، المناقب المزيدية، ص٥١٥.
(٣) الميداني، مجمع الأمثال، ١/١٨٨.

حروب-غير أنهم سمحوا لهم بالإقامة معهم في مقابل أن يُخرج كِلا الطرفين ضامنًا من قَبيلته حتى لا يَتعدى بعضهم على البعض، ففعلوا، ورعوا معهم لفترة حتى شبت الحرب بينهم(١).

ولأهمية المراعي العامة والخاصة في الحفاظ على وحدة القبيلة وتماسكها، ولكف حدوث الصراع بين أفرادها، أضحت مقسمة لقسمين: (المراعي العامة، والخاصة)، وهذا التقسيم مبني على الحقوق الواجبة، والطبقية بين أفراد القبيلة الواحدة.

المراعي الخاصة:

من الطبيعي أن يتفاوت أفراد القبيلة في رزقهم وأنعامهم، من حيث الفقر والغنى، فمنهم من كان ماله لا يتجاوز ربما الشاة الواحدة، ومنهم من بلغت إبله الألف وربما تجاوزتها(٢)، وهذه الكثرة والقلة في الأنعام هي ما حَددت غالبًا مكانة الرِجال ومنزلتهم في البادية، وتكونت بداخل المراعي العامة مراعي خاصة عُرفت بـ(الحِمى)، وهي تتضمن مراعي خصبة ومياه جارية أو محفورة، تكون قاصرة لرجل أو أسرة أو مجموعة من القبيلة، وعادة ما تكون بيد زعماء القبيلة وأتباعهم، يفرضون عليها سلطتهم، لترعى إبلهم ومواشيهم ما شاءت دون أن يسمحوا لأحد آخر بالرعي في حماهم إلا بإذن منهم؛ علاوة على استفادة مواشيهم من المراعي العامة أيضًا(٣).

وتكون الأحماء في الغالب أراضي كبيرة حدودها متباعدة، تحوي آبارًا وعيونًا، وربما حوت بعضها قرى(٤)، وهي على قسمين:

أولاً: حِمى دائمة أو طويلة الأجل.

---

(١) للمزيد، انظر (يوم النسار) في: ابن المثنى، أيام العرب، ٢٦٨/٢.

(٢) ابن سعيد، نشوة الطرب، ص٧٨٣. كان إذا بلغت إبل العربي الألف فُقئت عين كبيرها، أما إذا زادت عن الألف أعمى عينه الثانية دفعاً للحسد والغارة كما يزعمون، وتُسمى هذه العملية (بالتعمية والتفقئة). انظر المرجع السابق، الصفحة ذاتها.

(٣) جواد علي، المفصل، ٣٤٢/٧، ٩٧/١٣؛ لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور، ص٢٩٢.

(٤) جواد علي، المفصل، ٢٧٠/٩.

وهي الأرض المخصـــبة، ذات المياه الوفيرة، ينتقيها ســـادات القبائل لتكون لهم حِمى دائمًا ولأسرهم في فترة حياتهم، وقد تورث من بعدهم لأبنائهم أو لمن خَصوا بالاسم منهم(١).

ثانياً: حِمى قُصيّرة الأمد.

وهي عادة ما تكون مرتبطة بموسم واحد أو بمواسم الأمطار، فيبقى الحِمى به (مادام الكلأ)، وإذا ما جفت الأرض بانحباس المطر وانعدمت سُـبل العيش فيها، تُركت وبُحث عن أخرى، فتنعدم أحقية مالكها فيها، وقد يحصـــل أن يجدد عهده بها إذا ما عاد الغيث، وإلا أصـــبحت في حِمى شخص آخر يسبقه إليها، وقد يكون من القوة والمنعة ما يصعب زعزعته(٢).

وقد تعددت أنواع الحِمى في العصر الجاهلي، وتفاوتت من حيث أنواعها ومنها التالي:

أ- حِمى الملوك:

من الطبيعي أن يكون للملوك حِمى، فنَجد النعمان يحمي له أرضاً بظهر الكوفة، حتى نُسب نباتها لاسمه، ومنها ذلك المكان الذي عُرف (بشقائق النعمان)(٣).

ويعتبر التعدي على هذا النوع من الحِمى ندم وحسرة، حتى أن من سادات القبائل من كان يوصي قومه بعدم التعدي عليها، وها هو (دريد بن الصُّمة) عندما ناصح قومه قائلاً لهم:

"النصـــيحة ما لم تَهجم على الفضـــيحة، وإذا أجدبتم فلا ترعوا حِمى الملوك، فإنه من عَاره غانما لم يرجع سالما"(٤).

---

(١) جواد علي، المفصل، ٢٦٨/٩.

(٢) جواد علي، المفصل، ٢٦٨/٩.

(٣) التوحيدي (أبو حيان علي بن محمد بن العباس)، البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٨م، ١٨٦/٤.

(٤) الآبي (أبو سعد منصور بن الحسين الرازي)، نثر الدر في المحاضرة، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ٢٥٣/٦.

وكذلك فعل (النابغة الذبياني)[١] عندما ناصح قومه من بني ذبيان طويلاً، يحذرهم من عقوبة تعديهم على حِمى (النعمان بن الحارث الغسَّاني) عندما حِمى "قراقر"[٢]، لكنهم ضربوا بكلامه عرض الحائط واتهموه بالجُبن وتربعوا فيها، فأوقع بهم النعمان وهزمهم، وفي ذلك يقول النابغة[٣]:

وخوفتني بنو ذبيان خشيته وهل عليَّ بأن أخشاك من عار

وقلت يا قوم أن الليث منقبض على براثنه لوثبة الضاري

ب- حِمى الزعماء:

كما كانت هناك حِمى لمشايخ القبيلة وساداتها، فالحِمى من أمارات عزهم وشرفهم، وهم الذين يملكون حق اختيار الأرض التي تُعجبهم أو حتى الماء والآبار، فيُعلنون حمايتهم عليها فلا تُقرب من باقي القبيلة إلا بإذن من صاحبها، ومثلهم في هذا مثل الملوك[٤]، فهي بذلك نوع من البأس والنفوذ يستطيعون فيها تربية أنعامهم وتوفير المرعى الجيد دون مُشاركة من أحد[٥].

وقد كانت أغلب النعم والمياه الموجودة بأرض القبيلة مِلكًا لوجهائهم، تساعدهم غنيمة الغزو بإكثار أموالهم، وكان طموح زعمائهم بامتلاك المزيد من النعم والمياه سببًا رئيسًا لقيام الكثير من النزاعات والحروب بين القبائل[٦]، وبالتالي بإمكاننا القول إن سبب وجود ذلك النوع من الحِمى قائم على ما يغنمونه من الحرب، إذ أن العرب عند انتصارهم يكون لرئيسهم حق اختيار الأرض التي يريدها لتكون حماه، فهي في نظر الكل (غنيمة) يغنمها[٧]، وعلى أية حال فإنه كان من

(١) (النابغة الذبياني): هو زياد بن معاوية، ولد حوالي ٥٣٥م، وتوفي حوالي ٦٠٤م، لقب (بالنابغة) لطول باعه في الشعر، حيث كانت تضرب له قبة من أدم بسوق عكاظ، فيأتيه الشعراء يعرضون عليه أشعارهم فيحكم في جودتها. هنري سعيد عبودي، معجم الحضارات، ص٨٣١.

(٢) (قراقر): وادي بالسماوة من ناحية العراق. الحموي، معجم البلدان، ٣١٧/٤.

(٣) ابن سعيد، نشوة الطرب، ص٥٧٤.

(٤) جواد علي، المفصل، ٢٦٧/٩.

(٥) لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور، ص٢٩٢.

(٦) برهان الدين دلو، جزيرة العرب، ص٩٤.

(٧) جواد علي، المفصل، ٢٧٠/٩-٢٧١.

الصعب التعدي على أي من الحِمى ولا أنعامه، لأن ذلك يعد تعديًا على حرمة زعيم ذلك الحِمى، فكبرت الويلات المترتبة على تجاوزها، وأكبر مثال لهذ النوع من الحِمى هو (حِمى ضُـــرية)، والذي يُعد أشــهر حِمى في الجاهلية على الإطلاق لكثرة وروده في أيام العرب وأشــعارهم[١]، فكان يُقال: إنه يُنبت (النضر)[٢] فكانت تسمن عليه الإبل والخيل[٣]، وقد ذُكر أنه دخل في حقوق هذا الحِمى ســـبعة أبطن من بني كِلاب، حتى ليُعدون من أكثر الناس امتلاكاً للحِمى وأغناهم[٤]، ووصـــف (الحموي) ضـــرية قائلاً: بأنها "قرية عامرة قديمة على وجه الدهر" عرف بعذوبة مائه[٥]، يقول فيه الشاعر:

ألا يا حــبــذا لــبن الخــلايا بمــاء ضـــريــة الــعــذب الــزلال

وكان هذا الحِمى مِلكًا لـــ(كليب بن وائل)[٦]: وهو الذي ضُـرب فيه المثل فقيل: "أعز من كليب بن وائل"، وقد بلغ من العزة والمنعة أنه كان يُجير الوحش والصـيد بحماه، ولا يَسـمح لأحد أن يرعى فيه إلا بإذن منه، وقد بالغ في هذا حتى وصـــل حد الطغيان والتجبر، مما أودى لمقتله في النهاية، ورفض أخوه (المهلهل) المسـاومة على دم أخيه بألف من الإبل، معتبراً أخذه للدية سـخرية وإجحاف لمنزلة ومكانة أخيه الميت، فقامت لأجل الأخذ بثأره حربٌ من أشـــهر حروب العرب وهي (حرب البسوس) والتي دامت حوالي أربعون سنة[٧].

(١) الحازمي (أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان)، الأماكن (أو) ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، تحقيق: حمد بن محمد الجاسر، (د ط)، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤١٥هـ، ص٣٨١.

(٢) (النضر): هو الشجر الذي يهتز من كثرت ارتوائه بالماء. الفراهيدي، العين، ٢٧٩/٨.

(٣) ابن خلدون، تاريخه، ٣٧٢/٢.

(٤) البكري، معجم ما استعجم، ٨٦٦/٣.

(٥) الحموي، معجم البلدان، ٤٥٧/٣-٤٥٨.

(٦) (كليب بن وائل): هو كليب بن ربيعة التغلبي، من قبيلة تغلب، وهو أخ الشاعر الفارس (المهلهل)، كان له الفضل بعد الله في تحرير القبائل العدنانية من الهيمنة اليمنية؛ فكوفئ بأن نُصب ملكاً. هنري سعيد عبودي، معجم الحضارات، ص٧٢٠-٧٢١.

(٧) الضبي، أمثال العرب، ص١٢٩؛ محمد أحمد مولى جاد المولى بك وآخرون، أيام العرب، ص١٥٤.

ج- الحبوس:

وهي الأراضـــي التي أوقفها الجاهليون لمعابدهم وأصـــنامهم، فحُرم نباتها وحيوانها، وبذلك استطاعت السائمة والطير والحيوان أن ترعى فيها آمنة مطمئنة ما شاءت، إضافة (للهدي) الذي كانت له أماكنه الخاصة المخصبة لترعى في حِمى أربابهم محبوسة لأصنامهم، وقد تزرع تلك الأرضين وتوقف غلاتها أيضًا للمعبد، وللحفاظ على مُمتلكاتها من التعدي والإضرار، فقد شددت شرائعهم على عدم المســـاس بها والحفاظ عليها، فالتعرض لها يُلحق العقوبة والغضـــب من المعبود على المتعدي، إضافة للعقاب الذي ينزله القائمون على تلك المعابد بهم والتي قد تصل إلى حد القتل(١).

د- المزارات:

وهي قبور سادات القبائل ورؤسائهم أو سدنة المعابد أو الكهان، والتي أُتخذت كأضرحة تُزار ويُتقرب إليها ويُتبرك بها، وبلغ من بعضـــها أن أصـــبحت حِمى يُحتمى به وملاذاً آمنًا لكل خائف، فكل من يَطلب الحماية والغوث والعون، يطلبها من صـــاحب القبر ليُغيثه بعدها ويحميه أبناؤه وقبيلته، ويذكر أن قبر تميم -جد القبيلة الجاهلية- كان مُعظم عند ذُريته وكل من احتمى به منهم أو من غيرهم (أمن)(٢)، وكذلك "عامر بن الطفيل"(٣) الذي عندما مات جَعل قومه حَول قبره حِمى كبير(٤).

هـ- المحاجر:

وهي أحماء أقيال اليمن، كان لكل واحد منهم حِمى لا يرعاه غيره(٥).

---

(١) جواد علي، المفصل، ٢٨٢/١٠، ٢١١/١١.

(٢) جواد علي، المفصل، ٢٤/١٢.

(٣) (عامر بن الطفيل) ٥٥٥-٦٣٥م: شاعر جاهلي اشتهر بين فرسان العرب، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في آخر أيامه غير أنه لم يسلم. هنري سعيد عبودي، معجم الحضارات السامية، ص٥٧٦.

(٤) اليزيدي (أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد بن المبارك)، الأمالي، ط١، مطبعة جمعية دائرة المعارف، حيدر أباد الدكن، الهند، ١٣٩٧هـ/١٩٣٨م، ص٧٧.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ١٧١/٤.

و- مكة المكرمة:

وحِمى مكة وتحريمها موجود منذ عهد إبراهيم عليه السلام، يقول صلى الله عليه وسلم: "إن إبراهيم حَرَّم مكة ودعا لها، وحَرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة..."(١)، فهو بلد الله الحرام، الذي فيه كعبته المُشرفة، والماء الطاهر بئر زمزم، وأيضًا مشاعر الحج المقدسة، وهذه الأشياء هي ما ميزها عن بقية القُرى والمدن، فأصبحت بذلك حرماً لا تُسفك فيه الدماء، وحُرم فيها البغي والتعدي، ووضعت حولها (النُصب) لتُعلم حدودها إمعانًا وحرصًا ألا يحصل التجاوز فيها بحجة عدم العلم، فأمن البشر بذلك على حياتهم من القتل والتعدي فوق أرضها، وأمنت فيها الحيوانات والطيور فلا تُهاج أو تُصاد، ووصل حد حُرمتها إلى شجره فلا يقطع أو يُحرق(٢).

(١) البخاري، صحيحه، ٦٨/٣.

(٢) أبو شبهة، السيرة النبوية، ص٥٥-٥٧.

المبحث الثاني

المراعـــــي العامـــــة

كانت المراعي والمياه أينما نزل العرب واســـتقروا حقًا مُشـــتركاً لكل القبيلة أفرادًا كانوا أم جماعات، لا يحق للعامة منهم احتكارها، فظروف الطبيعة وأمر التعايش مع بعضـــهم ومصـــلحة القبيلة ككتلة سياسية واجتماعية أملت عليهم هذا الأمر(١).

بكل تأكيد تتفاوت المراعي وتختلف طبيعتها من حيث: الجودة، والمنفعة، والســـعة، غير أن تلك الخواص لا ينالها إلا الأقوى والأسبق(٢)، فكلما سارعت قبيلة لأرض استطاعت الاستحواذ عليها وامتلاكها وأصـــبحت هي صـــاحبة الســـلطة عليها، حيث ينفرد بعدها كل بطن من بطون القبيلة بناحية يقيمون بها، ويبقون قريبين في الغالب إلى جوار بعضـــهم البعض ضـــماناً لوحدتهم وللدفاع عن بعضـــهم البعض إذا ما احتاجوا للمدد عند نشـــوب حربٍ أو غارة، وتبلغ حدود أراضـــيهم في الغالب إلى ما انتهت إليه منازلهم، ويرســـم العرب لحدودهم معالم طبيعية كالهضـــاب والرمال والأودية وما شابهها، لكن عيب هذه الحدود عدم وضوحها لذلك قامت حروب ونزاعات عليها(٣).

ويترتب على هذه (المراعي) عدة مميزات وضوابط وحقوق منها:

أ- أنه متى ما نزلت القبيلة على تلك الأرض أصـــبحت مِلكًا لها ما دامت قائمة عليها، تمنعها تلك القبيلة بقوتها وغلبتها، أما إذا كانت ضعيفة فلربما شاركتها قبيلة أخرى مراعيها، أو حتى أجلتهم منها واتخذتها لنفسها(٤).

---

(١) جواد علي، المفصل، ٣٤٢/٧؛ لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور، ص٢٩١.

(٢) الشريف، مكة والمدينة، ص٧٤.

(٣) جواد علي، المفصل، ٣٤٢/٧.

(٤) جواد علي، المفصل، ٩٧/١٣.

ب- متى ما ارتحلت القبيلة عن أراضـــيها، فقد التغى حقها فيها، وإذا ما وفدت عليها قبيلة جديدة صارت مِلكًا لها ليس للقبيلة السابقة حق المطالبة فيها، إلا بحد السيف(١).

ج- بما أن الأرض التي فيها المراعي هي أرض عامة للقبيلة التي تجمعهم وتوحدهم فقد كان واجباً عليهم حماية بعضــهم البعض وحماية موارد عيشــهم من الســرقة والتعدي والانتهاك حتى من أهلها، لذلك كان إذا ما تعدى أحد الرجال من أبناء القبيلة الواحدة على أخيه وظلمه في ماله أو نفسه أو مواشيه وجب على القبيلة معاقبته لضمان الوحدة وعدم تكرار مثل هكذا حوادث، وإذا قام الرجل نفسه بتكرار فعلته فلربما اضطرت القبيلة للتخلي عنه وعدم نصرته وحمايته، فيفقد بذلك عُصبته، ليصبح في النهاية خليعاً طريداً دون أرض ولا ملجأ(٢).

د- أن تلك الأراضي التي بسطت عليها القبيلة سيطرتها لتكون تحت حمايتها لا يُسمح لغريب بالمرور بها أو استخدامها إلا بإذن من أهلها.

ذ- كل ما حصــلت القبيلة على مراعي جديدة بها واحتكرتها لنفســها يكون له أثره على توحد صــفوفها ونماء ثرواتها، فقد ذكر أن الأنعام التي غُنمت من قبيلة (هوازن) يوم غزوة حنين كانت: من الإبل أربعة وعشــرين ألف بعير، إضــافة للأغنام التي لا يُعلم عددها؛ فقيل: إنها أربعين ألفا؛ أقل أو أكثر(٣).

وقد تمحور الرعي عند العرب على عدة أصناف منها:

أولاً: الإبل.

اعتنى العرب بالإبل عناية شــديدة، فكانوا يســعون وراء أجود المراعي لها، ويذكرونها بأشــعارهم، وأكثروا بالحديث عن أسمائها وصــفاتها، فهي خير مالهم لفوائدها الجمَّة عليهم: فمنها كانت بيوتهم، وبها تنقلوا بين شتى أقاليم الجزيرة العربية تحملهم وتحمل متاعهم، وبها أكرموا ضيفهم،

(١) جواد علي، المفصل، ٩٧/١٣.

(٢) الشريف، مكة والمدينة، ص٣٧.

(٣) الواقدي، المغازي، ٩٤٣/٣.

ودفعوا مهور زواجهم، وتقاضوا بها، وكان بها رقء دمائهم(١)، وفي موازين الثروة كانت الجِمال هي مقياسهم(٢).

وبذلك أصبحت الإبل أعظم أنعامهم، وأشدها نفعاً لهم، فلا غنى لهم عنها، ونظراً لأهميتها ولرغبتهم في الاستكثار منها، اضطر العرب إلى شنِّ الحروب والغارات للحصول عليها ولو كانت تلك الحروب والغزوات على أقرب الناس إليهم من إخوتهم أو أبناء عمومتهم(٣).

وقد كان رعي (الإبل) هو النوع الأساسي من الرعي في الأماكن التي يقل فيها العشب، إضافة للمناطق المتعمقة في الصحراء حيث يندر الماء(٤)، وبالنسبة لأيام العرب فقد تمحورت الكثير من الأيام حولها، فإضافة لكونها مادة لغاراتهم، أصبحت (الإبل) مادة لدياتهم.

ثانيًا: الخيل.

لم يكرم ولم يصن العربي شيئًا من ماله مثل إكرامه للخيل لعِزها، وجمالها، وشرفها، ومقدرتها في الحرب، وكان يحرص كل الحرص على إشباع فرسه، حتى وإن بات وأهل بيته جياعاً، وكان العرب يعيرون من يسيء إطعامها ويُهمل الحفاظ عليها إذا ما رَأوها هزيلة ضعيفة، قال شاعرٌ يصف فرسه الذي يحسن إليه(٥):

وسابح كعُقاب الدَجن أُجملـه ... دون العيال لـه الإيثار واللطَف

(١) يحيى الجبور، الجاهلية مقدمة في الحياة العربية لدراسة الأدب الجاهلي، (د ط)، مطبعة المعارف، بغداد، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص٨٥-٨٦.

(٢) برهان الدين دلو، جزيرة العرب، ص٩٧.

(٣) حنا نصر الحتي، الناقة في الشعر الجاهلي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص٣٣، ٣٥.

(٤) لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور، ص٢٩١.

(٥) ابن المثنى، الخيل، ص١.

كما أولوا اهتمامًا كبيرًا بأحسابها، وأنسابها، وصفاتها، وكثر ذكرها في أشعارهم تخليداً لها، وكانت الخيل الأصيلة من خير عتاد الحرب، حيث يُذكر أن "إياس بن قبيصة"(١) عندما أراد الخروج لحرب بكر بن وائل سَأل أحد أصهاره أن يُعيره فرسا له تدعى (الحمامة)، فناصحه قومه وحذروه ألا يفعل، غير أنه لم يَمنعه عن طلبه، ولما كان ذي قار(٢) وانهزمت جنود كسرى ولى إياس بن قبيصة على (الحمامة) هارباً وكانت لا تُلحق، فكانت سببًا لنجاته، وقال إياس مادحاً إياها(٣):

غذاها أبو ثوب فلما رأيتها دخيسًا تفوت العين حين تراها

وكانت الخيل من وسائل التسلية التي تبارى فيها عرب الجاهلية، وعلى الخيل أُقيمت مناسباتهم الاجتماعية التي لطالما استمتعوا بها كثيرًا، وبالأخصّ إذا قام (الرهان) عليها، فكان هذا الحدث إلى جوار كونه وسيلة للترفيه، كان أيضًا فرصة لطيفة لزيادة مكسبهم الشخصي سواء من مال أو نِعم، وفي بعض الأحيان تحولت تلك الأمسيات لتغدوا نقمه كبرى، جَرَّتِ الكثير من الويلات والألم عليهم كما جرى بحرب داحس والغبراء(٤).

ثالثًا: الغنم والضأن.

كانت تربية الغنم والضأن منتشرة بين أهل البادية، كما رُبيت أيضًا في الحضر لكن بشكل أقل، وكان يتولى القيام به أفراد القبيلة في الغالب، أما الميسورون منهم فكانوا يوكلون هذه المهمة

(١) (إياس بن قبيصة): هو إياس بن قبيصة الطائي العبادي، تولى حكم الحيرة بعد النعمان اللخمي بأمر من كسرى أبرويز ويحكم إلى جواره مرزباناً من الفرس. الحلي، المناقب المزيدية، ص١٦٠.

(٢) (ذي قار): يوم لبكر على الفرس، وقد وقع هذا اليوم وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أول يوم ينتصر فيه العرب على العجم، انظر الهامش: محمد أحمد مولى جاد المولى بك وآخرون، أيام العرب، ص٦.

(٣) الحلي، المناقب المزيدية، ص٥٢٣-٥٢٤.

(٤) (داحس والغبراء): حرب بين عبس وذبيان انتهت بصلح، وداحس والغبراء: اسمان لفرسين كانا لقيس بن زهير. انظر الهامش: محمد أحمد مولى جاد المولى بك وآخرون، أيام العرب، ص٢٤٦.

إلى عبيدهم، وربما مارس النساء تلك المهنة، فقد كان (لعامر بن الظرب)[١] جارية ترعى له أغنامه[٢].

ومن لطائف هذا الباب: أن والد الشاعر (حسان بن ثابت)، وقع يوماً في أسر (بني مزينة)، وكانوا معروفين بحبهم (للتيوس)، فعرض عليهم الفداء، فوافقوا على إطلاقه إذا ما أعطاهم تيساً، فأبى ورفض الأمر لأنه سيعير بأن حياته توازي تيساً، فلما طال مكثه عندهم، أرسل إلى قبيلته: "أن أعطوهم أخاهم وخذوا أخاكم"[٣].

كما عمل العرب للحماية على أنعامهم بوضع علامات متميزة للتعرف عليها، فكان لكل قبيلة علامتها والتي كانت في شكل قطع في آذان الأنعام أو بعض جلودها، أو يقومون بوسمها أو جز أصوافها[٤]، وهذه العملية عرفت عندهم (بالوسم).

الوسم:

الوسم هو: أثر الكيّ، أو السمة التي يُعرف بها الحيوان من قَطع أذن أو غيره، والميسم: هي المكواة المستخدمة في الكيّ[٥]، فيقول العرب: "نجارها نارها" أي وسمها يَدُلك على أصلها[٦]، وكانت النار التي توقد لأجل هذه العملية تعرف بـ "نار الوسم"[٧].

---

(١) (عامر ابن الظرب): أمير قبيلة عدوان من مضر، اشتهر بعقله وحكمته، فاجتمعت قبائل مَعْد العدنانية تحت لوائه. هنري سعيد عبودي، معجم الحضارات، ص٥٧٦.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٦٢/٢.

(٣) الجمحي (محمد بن سلام بن عبيد الله)، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، (د ط)، دار المدني، جدة، (د ت)، ٢١٦/١.

(٤) الهنائي، المنتخب، ص٣٢٩.

(٥) الفراهيدي، العين، ٣٢١/٧.

(٦) الدينوري، غريب الحديث، ٢٤٠/١؛ الهروي، تهذيب اللغة، ٧٧/١٣.

(٧) القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط٢، دار الكتاب اللبنانيين، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص٤٦٣.

وللوسم أصول تاريخية عميقة، فقد عرفها المصريين منذ ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد، حين استخدموه لأغراض طبية كوقف النزيف، كما استخدم "أبوقراط" الكيّ قبل ٤٠٠ عام قبل الميلاد، ومع مرور الوقت توسعت أغراض الوسم لتشمل الحيوانات، ووسمها برموز وأشكال تميزها عن بعضها، وتُعد الإبل أكثر الحيوانات شهرة بالوسم للعرب لأهميتها عندهم(١).

ويُنفذ (الوسم) غالبًا على صِغار النعم بعد أن تكبر قليلاً، للحفاظ عليها من التعرض للمرض والهزل، غير أن العرب كانوا يتسرعون بالوسم في حالات خاصة، هي كالتالي:

١- في حالة الغنيمة بعد الحروب والمعارك، ليثبت كل غانم حقه فيما غنم(٢).

٢- عند تقديم الديات، فيَضع المؤدى له سمته على ما أخذ، وكذلك يُفعل عند الشراء وانتقال الملكية(٣).

٣- إذا وجد أن سمة قبيلته مشابهة لقبيلة أخرى(٤).

٤- عندما تريد القبيلة التمويه عن نفسها عند الهروب أو الانتقال أو ما شابهها من أسباب(٥).

٥- عند وجود نِعم ليس لها مطالب، أو إذا سرقة من عدو(٦).

٦- عندما يلتحق رجل أو عشيرة لقبيلة أُخرى لأي سببٍ كان؛ تُغير سمتهم للقبيلة الجديدة(٧).

ويتم تنفيذ الوسم بإحدى طريقتين: إما بـ(النار) حيث تُستخدم المكواة، أو (بدون النار)، ومن أنواع الوسم بلا نار:

---

(١) هناء عباس عليوي كشكول، "الأبعاد الدلالية للجذر وسم في الشعر الجاهلي"، مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة الكوفة، المجلد ١، الإصدار ١٥، ٢٠١٢م، ص٣٢٨-٣٢٩.

(٢) راشد بن حمدان المسعودي، "معجم سمات العرب القديمة"، مجلة العرب، المجلد ١-٢، السنة ٢٨، رجب-شعبان ١٤١٣هـ/ يناير-فبراير ١٩٩٣م، ص٨٤.

(٣) راشد حمدان المسعودي، معجم سمات العرب، ص٨٤.

(٤) راشد حمدان المسعودي، معجم سمات العرب، ص٨٤.

(٥) راشد حمدان المسعودي، معجم سمات العرب، ص٨٤.

(٦) راشد حمدان المسعودي، معجم سمات العرب، ص٨٤.

(٧) راشد حمدان المسعودي، معجم سمات العرب، ص٨٤.

١-القبلة: وهي خرزة تعلق في أعناق الخيل[١].

٢-الجرفة: هي أن يتم قطع جلدة من فخذ البعير دون أن تكون ظاهرة، ثم تُجمع[٢].

٣-الحزّ: وهو قطع في اللحم بشكل غير ظاهر[٣].

أما الملوك فسِماتهم تختلف عن البقية، إذا أنهم كانوا يغرزون الريش على أسنمة الإبل عند وهبها تمييزاً وتكريمًا لمالكها الجديد[٤]، حيث يُذكر أن "النعمان بن المنذر الغسَّاني" أهدى للنابغة الذبياني مئة من الجِمال السود الموسومة بالريش برُعاتها، ولم يكن لونها مألوفاً عند العرب، فكانوا يحسدونه ويغبطونه عليها[٥].

وقد لعب الوسم دورًا خطيرًا وقويًّا في تاريخ العرب فهو كالعلم للدولة، وشعارهم الذي يميزهم عن غيرهم، يعرفه العام والخاص وهي كجنسيتهم، وبه يُستدل على أصل العربي، وبه تحدد هويات الجماعات والقبائل والمراعي والديار وسائر الممتلكات، وهو أيضًا شِعار السلام عند الأصدقاء والحرب عند الأعداء، فالكثير من الحروب وقعت لِتَعرف العدو على سِمت قبيلة مُعادية فغزوها ونهبوها وشردوها، ومن طرف آخر نَجد الغزاة يتركون غنيمتهم عندما يكتشفون أن مما غنموا نعمًا مسلوبة من صديق فتُرد لأصحابها إكراماً لهم، وكذلك إذا ما ضَلت الإبل كان من السهل إعادتها لأهلها[٦].

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٥٣/٥.

(٢) الهروي، تهذيب اللغة، ٣١/١١.

(٣) الفراهيدي، العين، ١٦/٣.

(٤) الجاحظ، الحيوان، ١٩٨/٣.

(٥) الجاحظ، الحيوان، ١٩٨/٣؛ الدينوري، الشعر والشعراء، ١٦٣/١.

(٦) الجاحظ، الحيوان، ١٠٦/١؛ راشد حمدان المسعودي، معجم سمات العرب، ص٧٧.

ويمكن تلخيص فائدة الوسم التاريخية فيما يلي:

كان الوسم شعار للقبيلة، ودليلاً على وحدتها حتى وأن باعدت الديار بين أبنائها، كما كانت أنسب وسيلة لتمييز وفصل أملاكها عن غيرها من القبائل، أو للفصل أيضًا بين بطون القبيلة الواحدة نفسها حتى لا تختلط أنعامهم ببعضها، فإلى جوار التزامهم (بوسم القبيلة الموحد) كان كل بطن يضع علامة أخرى يميزها عن بقية البطون مع الاحتفاظ بالأصل الأول، فهو بذلك أشبه بصك الملكية ودليل إثبات الأحقية عند ضياعها أو السطو عليها(١).

وبما أن الكثير من القبائل كانت تتنقل بين أطراف الجزيرة وترعى نعمها هنا وهناك، فقد سَهل الوسم لبعض القبائل الصديقة المسالمة ألا يُعتدى على نعمها ولا تُغزى، وكان للوسم استخدامات أُخرى كاستخدامه لتحديد حدود الديار، كما استخدم الوسم للتاريخ لبعض الأحداث الهامة والوقائع الحادثة ببادية العرب لتُخلد لذا (نقشوها على الصخر) وبذلك خرج (الوسم) عن إطاره المعتاد الذي ارتبط بـ(الإبل)، كذلك نقشوا الوسوم على قبور موتاهم ومزاراتهم لتدل عليهم عبر الزمان(٢).

أما الوسم للإنسان فأقصى ما يجده من الذل والهوان، ويُنفذ على الأرجح بالوجوه في حق المجرمين والأسرى، ولا يجترئ عليه أحد في الغالب إلا (الملوك)، بينما يلتزم السادات وبقية العرب بجز النواصي إذا ما أرادوا إطلاق الأسير. حيث يُذكر أن "امرأ القيس بن عمرو اللخمي"(٣) كان إذا ما وقع بين يديه ملك من الملوك وسم وجهه بالنار(٤)، وفيه يقول الشاعر:

وسمت وجوه للملوك كرامة وأورثتها ذلا من الخزي باقياً

(١) الجاحظ، الحيوان، ١٠٦/١؛ راشد حمدان المسعودي، معجم سمات العرب، ص٨٥.

(٢) راشد حمدان المسعودي، معجم سمات العرب، ص٨٥-٨٦.

(٣) (امرؤ القيس بن عمرو) ٢٨٨-٣٢٨م: ملك الحيرة، اسمه: امرؤ القيس الأول بن عمرو بن عدي، وهو صاحب نقش النمارة. هنري سعيد عبودي، معجم الحضارات، ص١٢٦.

(٤) الحلي، المناقب المزيدية، ص١١٢.

ولعل من الأهمية بمكان إبراز دور الإنتاج الرعوي عند العرب على حياتهم الاقتصادية وكان له أثره من خلال أيام العرب بما يعرف (بالديات).

الدِّية:

ولكثرة الغارات والحروب بين العرب، ووسط حُلم الأخذ بالثأر وجد العربي منفذ للحفاظ على حياته متمثلاً بـ "الدِّية"، وهذه الوسيلة رغم أنها لم تلقى استحسان البعض إلا أن آخرين نادوا بالأخذ والعمل بها حقناً للدماء، لتكون خاتمة حسنة تَختم بها هذه الأطراف المتضاربة حروبهم، وأول دية للعرب كان قد أداها (معاوية) جد بني عامر بن صعصعة عن قتله لأخيه (زيد بن بكر بن هوازن)، وقد حكمت بينهما كاهنة تدعى "قطبة"، وقيل بل هي "سجاح"[١].

ومقدار الدِّية الكاملة هي: المئة من الإبل، سُن ذلك الأمر منذ عهد عبد المطلب بن هاشم، والتي قدمها بدل رأس ابنه عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستحسنتها العرب وأخذت بها تأسِّيا بعبد المطلب[٢].

وعندما كانت النعم هي مال البادية وكانت الإبل هي أكثر مالهم فقد كان أداء الدِّية منها[٣]، مع العلم أن الديات يتفاوت مقدارها ما بين نمط القبائل ومنزلة القتيل، فالمقتول من الطبقة الفقيرة لا تُقارن ديته مع دية الملوك عند العرب، بل كُلما زادت منزلة القتيل وشرفة زادت ديته، فيذكر أن دية السادة والإشراف والملوك (ألفاً) من الإبل، أما دية الرجل الصريح من عامة الناس (فمائة) منها، وتكون على النصف إذا كان حليفًا أو هجينًا أو امرأة[٤].

(١) السهيلي، الروض الأنف، ٢/٨٦-٨٧.
(٢) العسكري، الأوائل، ص٢٨؛ الرازي، نثر الدر، ص٢٧٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ١/٤٩٦.
(٣) ابن منظور، لسان العرب، ١١/٦٣٦؛ جواد علي، المفصل، ١٠/٢٨١.
(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١/٥٨٦؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ١/٤٩٦.

ومن الجدير بالذكر أن العرب لم تقبل الدِّية في ملكٍ أو شريف وسيد قبيلة دون قتال، فها هو امرؤ القيس بن حجر عندما عرضت عليه بني أسد الدِّية لقتلهم والده حجر بن آكل المرار رد عليهم قائلاً: "أما الدِّية فما ظننت أنكم تعرضونها على مثلي، وأما القود فلو قيد لي ألف من بني أسد ما رضيت ولا رأيتهم كفؤا لحجر" ثم هددهم وتعودهم بالحرب والثبور(١)، ويذكر أن أكثر عرب الجاهلية فداء هو (حاجب بن زرارة) فدى نفسه بألف بعير وهي دية الملك، وكان قد أُسر بيوم جبلة، ويليه في المرتبة: الربيع بن مسعود الكلبي والذي كان قد افتدى نفسه بخمسمئة بعير(٢).

وقد ذهبت بعض القبائل القوية والمتسلطة إلى اصطناع نمط خاصٍ بدياتها تفرضها على بقية القبائل فَرضًا، حيث كانت تأخذ ما مقداره ديتين عن قتلاهم بينما تدفع هي دية واحدة لغيرها(٣)، (كبنو الأسود بن رزن)(٤).

أما عن التقدير في الدِّية فيتم على يد (حكم) ترضاه الأطراف المتخاصمة، وعند موافقة أهل المقتول عن تنازلهم في حقهم بالدم وقبولهم الدِّية، يتم البت في المسألة، والحكم في ذلك يجب أن يكون معروفاً بالعدل والإنصاف، وعادة يكون من طبقة الأشراف وسادات القبائل أو الكهان فبهم تفصل نزاعاتهم(٥).

أ- أعراف القبيلة في الدِّية:

يبدو أن العرب سنُّوا أعرافاً وقوانين عامة فيما بينهم معلومة لديهم، ألزموا بها أنفسهم، يقع بعضها على سادات القبائل والأخرى على الأفراد، ومن هذه القوانين:

---

(١) السيوطي، شرح شواهد المغني، ٢٥٩/١.

(٢) الدينوري، المعارف، ٥٥٥/١.

(٣) جواد علي، المفصل، ٢٦٥/١٠.

(٤) الواقدي، المغازي، ٧٨١/٢.

(٥) السهيلي، الروض الأنف، ٨٦/٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٦٣/٢.

أن الديات في الأصـــل تأُخذ من أهل القاتل، لكن أن لم يتمكن أهله من إتمام أدائها دفعها أقاربه الأقربين ثم الأبعدين، إلى أن تنتهي الأمر عن أدائها إلى (العشـــيرة أو القبيلة)[١] حيث يدفع زعيمهم ما تبقى منها إذا ما حصل ذلك[٢]، أما السادات فملزمون قصراً بدفع الديات عن معْدمي وفقراء القبيلة[٣].

ومن الجدير بالذكر أنه إذا قام أحد عبيدهم أو خدمهم بقتل أحد الســـادات، فيجب على سيدهم تقديم رأسه عن المقتول، وعلى الأرجح أن هذا القانون وضع خصيصاً للزعماء، لأجل ألا تزين لهم أنفسهم تحريض من تحت أيديهم على القتل بدلاً منهم، تلاعباً بأعراف القبيلة، فيضطرون مجبرين إلى ترك الأساليب الملتوية، إذا ما علموا أن الأمر سينقلب عليهم في النهاية[٤].

أما باقي أفراد القبيلة فعليهم كبح جماح أنفسهم عن التمادي والبغي والاستهتار، بالسلب والنهب أو القتل الذي قد يعرضهم للطرد من القبيلة[٥].

كذلك إذا قُتل الإنســـان بواســـطة حيوان، فليس بحقه دية، لأن الحيوان غير مســـؤول عن تصـــرفاته، وإنما يُلزم صـــاحب الحيوان أن يدفع تعويض لترضـــية أهل المقتول إذا كان وقت الحادثة موجوداً على ظهر دابته، وذلك عقوبة له لإهماله في عدم الانتباه لتصرفات حيوانه[٦].

ب- تسليم الدِّية:

يتم تسـليم الدِّية وتأديتها إلى "ولي القتيل" أو أوليائه الشـرعيين الذين لهم حق المطالبة والفصـل بدم المقتول[٧] (كاملة) وربما دفعت متفرقة على سنين[٨] حيث تسمى تلك العملية بـ "المكاتبة": وهي

(١) جواد علي، المفصل، ١٠/١٦٠.
(٢) جواد علي، المفصل، ٧/٣٩٥.
(٣) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ العرب في العصر الجاهلي، (د ط)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (د ت)، ص٤١٥.
(٤) جواد علي، المفصل، ٧/٣٩٩.
(٥) جواد علي، المفصل، ٧/٣٩٩.
(٦) جواد علي، المفصل، ١٠/٢٧٦.
(٧) جواد علي، المفصل، ١٠/٢٦٩.
(٨) ابن حبيب، المنمق، ص١٩٧.

الدِّية المدفوعة بمال مُنجم أي دفعها في أوقات معلومة بحسب النجوم لأنها الأثبت عندهم، فيقال مثلاً: إذا حل نجم الثريا أديت من حقك وكذا، وإذا حل الدبران أديت منها كذا وكذا[١]، فكان ذلك أوثق لحقوقهم وأوفى، وفيها يقول زهير بن أبي سلمى[٢]:

ينجمها قوم لقوم غرامة ولم يهرقوا بينهم ملء محجم

ج- مقدار الدِّية:

تدرجت مقادير الديات ما بين القتل إلى أنواع الجروح، فكانت كالتالي:

(العقل): وهي الدِّية الكاملة عن "القود" -أي قتل الرجل بالرجل-. وكانت تؤدى بالإبل فقط، وقد سميت الدِّية عقلاً لأنها كانت تُعقل بفناء ولي المقتول، لذلك قالت العرب: "بنو فلان على معاقلهم الأولى" أي طالت بهم السنون ومازالوا يؤدونها إلى وقتهم الحاضر[٣].

(الأشناق): تعرف أيضًا (بالإرش)[٤]، وهي دون العقل ومتعلقة به، حيث كانت تسمى سابقًا بأشناق الديات ومع مرور الوقت أُفرد اسمها، وتكون على الجِراحات التي لم تشفى كقطع اليد والأذن وأمثالها، كما تُعرف أيضًا بـ "الخماشة"، وقد أُطلقت الأشناق على الزيادة في إبل الدِّية والتي يتكرم بها شيخ القبيلة على أهل المقتول[٥]، وسميت (أشناقاً) لأنهم كانوا يشنقون -يشدون- رؤوس الدواب إلى أعلى شجرة أو وتد مرتفع، وهذا النوع من الدِّية يُؤدى بإبل قليلة معْدودة[٦]، ومما تذكر الروايات أن في (يوم فخ)[٧] بلغت الجراحات بين قريش وبني الليث (ألفا وثلاثمئة ناقة)

(١) الهروي (محمد بن أحمد بن الأزهري)، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني، (د ط)، دار الطلائع، (د ت)، ص٢٨٢.

(٢) الأنباري، شرح القصائد السبع، ص٢٦٥.

(٣) الدينوري، غريب الحديث، ٢٢٣/١؛ الهروي، الزاهر في غريب، ص٢٣٧، ص٢٤٣.

(٤) الهروي، تهذيب اللغة، ٢٦٠/٨.

(٥) الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد)، الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد البجاوي؛ ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعرفة، لبنان، (د ت)، ١٦/١.

(٦) الفراهيدي، العين، ٤٣/٥؛ ابن دُريد، جمهرة اللغة، ٨٧٦/٢.

(٧) (يوم فخ): يوم بين بني ليث وقريش، وكان قتال لم يقتل فيه أحد بل كان بينهم جراحات، وقد سعى بينهم (سعد بن العاص) حتى حكموه في دياتهم وانتهت الحرب. ابن حبيب، المنمق، ص١٢٣.

أداها "سعيد بن العاص" من ماله الخاص، وكان هو من تحاكموا إليه، وفي هذا اليوم لم يقتل سوى أربعة أشخاص رجلان من كل فريق(١).

ومن الأهمية بمكان أن تلك (الديات) جعلت العرب ينقسمون إلى قسمين في مدى قبولها ورفضها، إذ أن مدى قبولها يختلف من قبيلة إلى أخرى، ومن فرد لفرد أيضًا، فنَجد بعض العرب يفضلونها لكونها حقناً للدماء، أو لأنها سبب كبيراً للقفز بحالتهم المعيشية ولو قليلاً، فيقولون: "حبذا اللبن" أي حبذا الإبل وألبانها نأخذها في الدِّية، وفيها يقول الشاعر(٢):

ظفرت بهجمة سود وجمر تسر بما يساء به اللبيب

ومن هذه القبائل التي لم تمانع في أخذ الدِّية حقناً للدماء قبيلة (قريش)، فعندما قامت الحروب وحصلت الدماء بين قُصيّ بن كِلاب وبني خزاعة على ولاية البيت الحرام تحاكما إلى (يعمر بن عوف بن كعب ... من عبد مناة بن كِنانة)، فحكم بالبيت الحرام لصالح قُصيّ، وتكفل يعمر بدفع كل دماء أصابها قُصيّ في بني خزاعة، أما ما أصابته خزاعة وبني بكر من قريش، وكِنانة، وقُضاعة ففيه دية مؤداة لأجل(٣)، وهذا يدلل على أن الدِّية قد تدفع من غير الأطراف المتخاصمة.

وقد يخرج بعض الأفراد عن قانون القبيلة ويرفض قبول الدِّية بشدة، فنَجد الرجل يسخط على قومه لإلحاحهم عليه قبول الدِّية ويعاتبهم أن لو أن القتيل منهم ما رضوها، قال الشاعر(٤):

يقول رجال ما أصيب لهم أب ولا من أخ اقبل على المال تعقل

وكان بعض العرب لا يرضى الدِّية حتى من الملوك، (فأبا حنش التغلبي) رفضها من شرحبيل الكندي عندما قتل أخاه، وخاصمه قائلاً: أتقتل ملكًا بسوقة؟ فرد عليه (أبو حنش) بقوله: "إن أخي كان ملكي"(٥)، والأكثرية من العرب كانت ترفضها وتمقتها وتعتبرها عيبًا وضعفًا وهوانًا،

(١) ابن حبيب، المنمق، ص١٢٣.

(٢) القالي (إسماعيل بن القاسم بن هارون بن عيسى بن محمد)، الأمالي، عنى بوضعه وترتيبه: محمد عبد الجواد الأصمعي، ط٢، دار الكتب المصرية، ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م، ٢٤١/١.

(٣) ابن الأثير، البداية والنهاية، ٢٦٣/٢.

(٤) التبريزي (يحيى بن علي ين محمد الشيباني)، شرح ديوان الحماسة، (د ط)، دار القلم، بيروت، (د ت)، ٨٤/١.

(٥) الميداني، مجمع الأمثال، ٤٣/١.

وساعد في ترسيخ ذلك هجاء أعدائهم لهم عند أخذهم للدية؛ حيث يكونون عندهم كالمتقاعسين عن الأخذ بثأرهم، ففي الحرب التي كانت بين بني (هوازن) و(عكل)، كانت عكل إذا وقع في يدها أسير قتلته ورفضت الدِّية، أما بنو هزان كانوا يفدون أسراهم، فعاتبهم أحد رجالهم على قبول دية أعدائهم رغم عدتهم وعتادهم في حين أن رجالهم سـيتم قتلهم حتى تفنى قبيلتهم، ومن بعدها اشتعلت الحرب أكثر بينهم، فكانت بنو هوازن تقتل أسراها دون الرضا ولا حتى النظر في الدِّية[١]، كذلك كانت بعض القبائل تُصـر على دفع الدِّية للقبائل الأخرى، وتجبرهم على ذلك إذا كانت من القوة بمكان، بينما تمنع أبناءها عن البقية، مما دفع ببعض ذوي الثارات أن يتربصوا بالقاتل حتى يقتلوه، وقد يتوسـعون في ذلك حتى يَقتلوا أحد أقاربه دون أن يُسـقطون حقهم في المطالبة بدم الأول، وهذا الفعل يودي غالبًا بوقوع قتلى من كلا الطرفين في النهاية، وقد يجر تلك القبائل لحرب ومآسٍ جديدة[٢].

د- دية الأسَر:

وهي الدِّية التي تُدفع لاستيهاب حياة الأسير من القتل، فتأخذ على رأسه، وهذا النوع من الدِّية هو المفضل عند كل العرب، لذا كثيرًا ما يُلاحظ في أيام العرب أولئك "القناصين" الذي يستهدفون: الفرسان وسادات العرب، أو كُل من يرجى منه دية كبيرة، فعندما يقع أحد أولئك في الأسر، يكون على المأسور دفع الدِّية عن نفسه والذب عن حياته بدية قد تصل لدية ملك، ويكون إطلاق سراحه بعد ذلك إما عار للكثير، أو حقن للدماء، كُلٌّ حسب نظرة مجتمعه إليه[٣].

وترى الباحِثة أن مدى إقبال المحاربين على هذا النوع من الدِّية وشهرتها بينهم تعود للتالي:

---

(١) المفضل (أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم)، الفاخر، تحقيق: عبد العليم الطحاوي؛ مراجعة: محمد علي النجار، ط١، دار إحياء الكتب العربية؛ عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٠هـ، ص١٥٤.

(٢) جواد علي، المفصل، ١٦٠/١٠، ٢٧٠.

(٣) عبد المعطي محمد سمسم، "أضواء على الأسرى عند العرب في العصر الجاهلي"، حولية التاريخ الإسلامي الوسيط، مج٦، جامعة عين شمس، ٢٠٠٨/٢٠٠٩م، ص١٠٨.

أ- أنها ليست عارا ولا عيبا كدية القتل، بل هي على العكس تماماً، نصر ورفعة للعربي الذي يستأسر فارساً أو شريفاً.

ب- كما أنها دليل حيٌّ لمدى قوة الرجل وشهادة بفروسيته، فبهذا سيعلو ذكره؛ شريفاً كان أم وضيعاً: مع كل دية تُقدم بين يديه.

ج- إضافة لكونها من أفضل وسائل زيادة المال، كونه لا يشاركه في ديته أحد.

وعلى كلٍّ إن كلا الصنفين من المراعي سواء (العامة أم الخاصة) له ثلاثة أوجه بالنسبة لتأثير أيام العرب عليها، فهي إما أن تكون نقطة قوة، أو ضعف، أو مساومة.

أ- الضعف:

قد تكون كثرة الأنعام وسِعة المراعي عامل جذب (سلبي) للقبائل المُقيمة عليها عندما تَجذب إليها أطماع القبائل الأخرى، فتسعى إما لانتزاع أنعامهم منهم، أو انتزاع مراعيهم وإجبار أهلها للنزوح عنها بالقوة، فقبيلة (تميم) مثلاً عندما غُلبت بيوم المشقر[١] وعلمت (مذحج) بذلك، سارعوا بغزوهم طمعاً في مواشيهم ومراعيهم التي شكلت سبباً تحفيزياً كافياً جرأهم عليهم وأعماهم عن حقيقة قوة تميم وتاريخهم الحربي، فهُزموا شر هزيمة[٢].

وكذلك ما جاء في (بسطام بن قيس الشيباني) عندما أعماه زهوه بقوته وقوة قبيلته، على أن يُغير على نعم (ضبة) التي كانت تملأ الأرض كما ذُكر، فلم يستمع لأي من التحذيرات، فكانت عاقبته قتله وقتل كثير من قومه وأسرهم في يوم (الشقيقة)[٣].

(١) (يوم المشقر): وهو يوم لكسرى على بني تميم، ويعرف أيضًا بيوم (الصفقة)، وسمي بذلك: لأن كسرى أصفق الباب على بني تميم بحصن المشقر. والمشقر: حصن بالبحرين. انظر الهامش: محمد أحمد مولى جاد المولى بك وآخرون، أيام العرب، ص٢.

(٢) ابن المثنى، أيام العرب، ٢/٤٠.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١/٥٤٨. (يوم الشقيقة): يوم لضبة على شيبان، والشقيقة: كل جمد بين جبلي رمل، وقيل غير ذلك. انظر الهامش: محمد أحمد مولى جاد المولى بك وآخرون، أيام العرب، ص٣٨٢.

وكما كانت المراعي تجمع القبائل وتوحدها كانت أيضًا سببًا للتفكك والفرقة، فكثيرًا ما تنشب بينهم الحروب والنزاعات من أجلها مهما أخذت المواثيق والعهود، ومهما كانت متانة تلك العلاقات، فكل ذلك قد يتحطم بسبب غدر أحد أفراد القبيلتين أو مجموعة منهم، فتظهر حينها العصبية القبلية عندما تستميت القبيلة في سبيل الدفاع عن المخطئ رغم خطاه، فعندما سمحت بني سعد من تميم وضبة لبني قشير وهوازن بالرعي معهم، وأخذوا المواثيق على بعضهم، غير أن أحد رجال ضبة نقض الميثاق وسرق ثم قتل، ورفضت بني ضبة إلا الدِّية وعدم تسليم القاتل، فحصل القتال بسبب ذلك، وكان (يوم النسار)[١]، وكذلك ما حصل بين بني جعفر والضباب، حينما نزل أحد "بني جعفر" لحفر بئر له فمنعه أحد بني الضباب فتشاجرا، فأخذت العصبية (بنو جعفر) فرفضوا قبول الدِّية، مما أفضى لقتال بينهم تفرقوا بسببه بعد اجتماعهم[٢].

كما كان للتغيرات المناخية على المراعي أثره على علاقات القبائل، وسبب في هلاك أفرادها، فمثلاً على الرغم من قوة (تغلب) إلا أن كثرتهم كانت عبئاً عليهم، فاضطروا مُرغمين لطلب الماء من "بكر بن وائل"، والتي رفضت بصرامة، لما كان بينهم من عداء قديم متأصل، فمات من تغلب سبعون نفسًا من العطش، فاضطرت (بكر) لحرب وائل على مياههم ومراعيهم[٣].

ب- القوة:

ويتمثل في سياسة "القوي يغلب الضعيف"، والتي اتبعتها بكر بن وائل على بني تميم عندما كانت ترعى في أراضيهم رُغماً عن تميم كما يظهر، فأرادت تميم التخلص منهم ومن وطأتهم فحشدت الأطراف لحرب بعضهم، وكان النصر لبكر على تميم، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وسبوا نساءهم (بيوم الزرورين)[٤].

---

(١) محمد أحمد مولى جاد المولى بك وآخرون، أيام العرب، ص٣٧٨-٣٨٠. (يوم النسار): يوم لضبة وتميم على بني عامر، والنسار: جبال صغيره. انظر الهامش: المرجع السابق، ص٣٧٨.

(٢) محمد أحمد مولى جاد المولى بك وآخرون، أيام العرب، ص٣٠٤.

(٣) الأنباري، شرح القصائد السبع، ص٣٧٠.

(٤) ابن المثنى، أيام العرب، ٢/٢١٩-٢٢٠.

كذلك، كانت المراعي تتخذ ما يشبه رابطة الأخوة والحلف، سواء أكانت بطون القبيلة الواحدة أو المختلفة، وذلك حينما ترضى القبيلة ذات المراعي الخصبة بمشاركة خيراتها مع قبيلة أُخرى، فيصبحون بعدها يداً واحده ليس فقط في المراعي، بل أيضًا على من عاداهم، فيكون ذلك أشبه ما يكون (بحِلف) غير مكتوب بينهم، وقد يحصل وتكون رابطة المراعي هذه (مؤقتة) تنتهي متى ما انتهت المنفعة، وخير مثال لذلك وقوف (خشعم) بجوار بني الحارث ضد عامر بن صعصعة في يوم (فيف الريح)(١)، ورفضت حربها لأنهم كانوا يرعون معًا(٢).

كما أن المراعي العامة مِلك للجميع، ترعى فيها أنعام القبائل المختلفة، وعادة ما كانوا يَرِدون على الماء في وقت واحد، كان من السهل لأعدائهم النيل منهم وقت تجمعهم، فيستطيعون بذلك ضرب عدوهم في مقتل عندما يُهددون رزقهم ومعيشتهم وأرواحهم في أن واحد، ولعل في خطة "النعمان بن زرعة التغلبي"(٣) التي أُعجب بها كسرى خير مثال على ذلك، عندما أشار عليه بمباغتة "بكر بن وائل" وقت تجمعهم للسقيا على ماء ذي قار وقت القيظ، وهو الوقت ليروا عطشهم ويقضوا حاجتهم من الماء، فكانت الطريقة الأمثل بالنسبة لكسرى لضربهم بقوة وبغتة(٤).

كذلك كانت المراعي مقصداً سهلاً للنهب وللأخذ بالثأر والرد على القبيلة المعادية، فسلب القبيلة المعادية مواشيها والفرار والنجاة دون قتال يعتبره البعض نصراً لكونه ضربًا في اقتصاد القبيلة،

(١) (فيف الريح): يوم لمذحج على عامر بن صعصعة، وفيف الريح: موضع بأعلى نجد. انظر الهامش: محمد أحمد مولى جاد المولى بك وآخرون، أيام العرب، ص١٣٢.

(٢) ابن المثنى (أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي)، شرح نقائض جرير والفرزدق، تحقيق: محمد إبراهيم حور؛ وليد محمود خالص، ط٢، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٨م، ٦٣٨/٢.

(٣) (النعمان بن زرعة التغلبي): هو زعيم قبيلتي تغلب والنمر بن قاسط يوم ذي قار بتولية من كسرى فارس، ولاه كسرى بعد أن أشار عليه بخطة حربية ترنوا لحرب قبيلة بكر وإبادتها مستغلين وقت القيظ لصالحهم. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١١١/٦-١١٢.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٠٧/٢.

وهذا ما فعله (بني جعفر) في (يوم هراميت)[١] عندما سعوا وراء مراعي الضباب فنهبوا مواشيهم، ولم يكتفوا بذلك بل ساروا حتى قتلوا زعيمهم وعادوا أدراجهم[٢].

ج- المساومة:

كانت المراعي أيضًا صورة من صور المساومة على السلامة أو الحرب، وهي نقطة وضحت تمامًا في تهديد كسرى في يوم"ذي قار" لبكر بن وائل وقت ضَعفهم، فخيرهم بين: الخضوع له أو الهجرة من بلادهم أو حربهم إذا رفضوا[٣].

(١) (يوم هراميت): يوم للضباب على بني جعفر؛ وكلاهما من بني عامر بن صعصعة، والهراميت: آبار مجتمعة بالدهناء. انظر الهامش: محمد أحمد مولى جاد المولى بك وآخرون، أيام العرب، ص٣٠٤.

(٢) محمد أحمد مولى جاد المولى بك وآخرون، أيام العرب، ص٣٠٥.

(٣) محمد أحمد مولى جاد المولى بك وآخرون، أيام العرب، ص٢٧. انظر الهامش: محمد أحمد مولى جاد المولى بك وآخرون، أيام العرب، ص٣٠٤.

الباب الثاني

أثر أيام العرب على الحياة الاقتصادية

الفصل الثاني

الـــــــــزراعـــــــة

- المبحث الأول: الأســـــاليب المتبعة في الزراعة.
- المبحث الثاني: المنتجات الزراعية.

المبحث الأول

الأساليب المتبعة في الزراعة

لا تستطيع الباحِثة الخروج بالكثير في هذا المبحث، إذ أن المناطق الزراعية في بلاد العرب قليلة ومعظمها في شكل واحات متباعدة، وليس في أيدينا سوى صُنع صورة تقريبية من الروايات القليلة التي جاءت في أيام العرب عن هذا الباب، ووضع تصور للمُسببات التي كان للزراعة دور في أيام العرب، من خلال الواحات المنتشرة بأرجاء الجزيرة العربية، حيث عاش العرب على ما يحرثون في واحاتهم وأوديتهم أو على سفوح جبالهم على اختلاف صفاتهم.

وبالإمكان تقسيم القبائل العربية التي مارست الزراعة لقسمين:

أ- قبائل فلاحية، أقاموا على الواحات والقرى الجبلية واستقروا فيها[١].

ب- قبائل نصف فلاحية، وهي قبائل اعتمدت في معيشتها على الزراعة والرعي، حيث كانوا يمثلون مرحلة انتقالية من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار والتحضر[٢].

أما بقية سُكان الجزيرة العربية، فلم يُقبلوا عليها لسببين:

١- طبيعة جزيرة العرب:

فالطبيعة الجغرافية والمناخية لكثير من أرجاء جزيرة العرب جعلت من الاشتغال بهذه الحِرفة أمر عسير وأحيانًا مُستحيلٌ، فالحياة الزراعية تفرض على أهلها الاستقرار، لأنهم حينها يكونون مرتبطين بالأرض التي يَزرعونها، ومما زاد من عُسر الأمر: صعوبة توفير المياه لري مزروعاتهم، وإذا نجحوا بتوفيرها مازالت هنالك الآفات الفُجائية التي تَلحق بالمحاصيل من حرائق أو أمراض وفيضانات أو جراد وما شابهها، والسبب الأخطر كان الإنسان نفسه، فالأسباب السابقة قد

(١) برهان الدين دلو، جزيرة العرب، ص٧١.

(٢) برهان الدين دلو، جزيرة العرب، ص٧١.

تحصل مرة بعد سنين أو قد لا تحصل أبداً، أما خطر العدو فوارد دائمًا آنذاك، لذلك طغى على حياتهم النزاع والخصومات، وكان القلق الدائم من (المجاعة) وبحثهم المستمر عن لقمة عيشهم سبباً آخر لجعل الأراضي الزراعية "هدفاً" لغاراتهم[١]، يقول امرؤ القيس واصفاً إحدى الغارات التي تمت على إحدى المناطق الزراعية[٢]:

فشبهتهم في الآل لما تكمشوا حدائق دوم أو سفينًا مقيرا

أو المكراعات من نخيل ابن يامن دوين الصفا اللائي يلين المشقرا

سوامق جبار أثثٍ فروعه وعالين قنوانًا من البسر أحمرا

حمته بنو الربداء من آل يامن بأسيافهم حتى أقر وأوقرا

كما كانت هذه الأراضي (مطمعاً)، جَعل الأغنياء يسعون لامتلاك أخصب الأراضي وأكثرها فائدة، الأمر الذي أفضي للتحاسد فيما بينهم والسعي للحصول على ما بيد الغير، وحينما لم يكن هناك (قانون ثابت) يحمي حقوق الناس بشكل عام وقع الظُلم والتنازع على الطبقات الأدنى، أما ذوي السُلطة والمنعة منهم فقد بسطوا قوتهم ونفوذهم، وخاضوا في الزراعة وسخروا أموالهم وعبيدهم لخدمة أراضيهم[٣].

وبالرغم من أن أغلبية من يعتمدون على الزراعة يغلبُ على حياتهم حُب الهدوء والركون للسلام، إلا أنه عندما تقع الحرب يستميتون في الدفاع عن حقهم وأموالهم، ولا يَقبلون الرضوخ والخضوع للظلم والتشريد إلا أمام قوة لا طاقة لهم بقهرها[٤].

---

(١) علي محمد معطي، تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام، ط١، دار المنهل اللبناني-مكتبة رأس النبع، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص١٠٧-١٠٨.

(٢) ديوان امرؤ القيس، ص٥٧.

(٣) جواد علي، المفصل، ١٣/٢٧-٢٨.

(٤) أحمد الشريف، مكة والمدينة، ص٢٦٣-٢٦٤.

٢- أنفة العرب من الاشتغال بأي من الحرف ومن ضمنها الزراعة[١]:

هذه الأنفة نابعة من ازدرائهم للزراعة، ومما يدلل على هذه الكراهية المتأصلة في نفوسهم تجاه الزراعة، أن (الأعشى) عندما أراد هجاء إياد -وقد كانوا من قبل قد استقروا بمنطقة تكريت[٢] واعتاشوا على الزراعة- سَبهم بتركهم الحرب وقعودهم إلى جوار محاصيلهم بانتظار موسم الحصاد[٣]، فقال:

لسنا كمن جعلت إياد دارها تكريت تنظر حبها أن يحصدا
قوم يعالج قمَّلًا أبناؤهم وسلاسلاً أُجُدًا وبابًا مؤصدا
جعل الإله طعامنا في مالنا رزقًا تضمنه لنا لن ينفدا

ونَجده في موضع آخر يُناقض كلامه، ويمتدح (النعمان) بأنه لا يعلف فرسه إلا قتاً[٤] وشعيراً[٥].

وقد ذكر "جواد علي" سبباً وجيهاً لهذه الكراهية، فقال:

إن العرب كانوا يبغضون كل شيء لا يستطيعون الحصول عليه، وإلا ماذا عساه يكون سبب ذلك وبالأخصّ أن الزراعة مكسب لهم لا خسارة[٦]، ومما يدلل على أن العرب يحبون الزراعة والخضرة في قرارة نفوسهم فرحهم الشديد بالمطر واستبشارهم به، فهم به يرجون خير الأرض وتمام نباته، وعلى عكس الأرض الجدباء فإن (الأرض الخضراء) تمثل عندهم رمزاً للخير والبركة لكونها ما

(١) مصطفى فتحي أبو شارب، العلاقة بين العرب والفرس وآثارها في الشعر الجاهلي، ط١، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص١٢٢.
(٢) (تكريت): مدينة بالعراق تقع ما بين بغداد والموصل. الحموي، معجم البلدان، ٣٨/٢.
(٣) مصطفى فتحي أبو شارب، العلاقة بين العرب والفرس، ص١٢٣.
(٤) (القت): نوع رطب من الأعشاب. الفراهيدي، العين، ٨٩/٧.
(٥) الحلي، المناقب المزيدية، ص٥٠٩.
(٦) جواد علي، المفصل، ٢٧/١٣-٢٨.

تعتاش عليه حيواناتهم، ولكونها متنزه يفرون إليه مُبتعدين بذلك عن وعورة الصحراء وقساوتها، كما أنها راحة وسعادة لأرواحهم، لذلك وصفوا الأرض المخضرة بعد المطر (بالمزهرة والنوارة) وهي ألفاظ تدل على السعادة والبهجة[١]، يقول الأعشى[٢]:

ما روضـــة من رياض الحزن مُعشـــبة خضـــراء جاد عليها مُســـبل هطل
يُضـاحك الشـمس منها كوكب شـرق مؤزر بـعـمـيـم الـنـبـت مُـكـتـهـل
يومـاً بأطيـب منهـا نشـــر رائحـة ولا بأحســـن منها إذ دنا الأصـــل

ومما سبق ترى الباحِثة أن عُزوف العرب عن الزراعة عائد للأمور التالية:

١- أن المحاصـيل الزراعية ذات وقت حصـاد ثابت، مما يجعل الأراضـي الزراعية هدفاً سـهلاً مُستهدفاً لسهولة الإغارة عليها، واحراق ضياعهم. وفي حال إذا ما سَلمت محاصيلهم، ربما لن تسلم أرواحهم في هذه الحروب.

٢- بالرغم من أن مُعظم أراضـي القبيلة مُلك للعامة إلا أن أغلبيتهم أيضًـا ما بين فقير وميسـور حال، فتعسـرت عليهم بذلك الزراعة؛ لأن اسـتصـلاح الأراضـي يحتاج للكثير من الأمور كتوفير بعض الأجراء، والسهر على حمايتها، وبذل المال لتوفير السُقيا المناسبة وغير ذلك.

٣- كما أن الأراضي المميزة الخصبة سهلت الزراعة أصبحت بالفعل تحت أيدي زعمائهم الذين مارسوا حقهم فيها بزراعتها ورعيها بحُكم عَصبتهم، فخاف البقية من القهر والاستطالة الذي سـيلحقهم: إذا ما تمردوا على من يعلوهم (منصـباً وشـرفاً)، وإذا ما اسـتأجروا الأراضـي من زعمائهم، أو عملوا بطاقتهم على جزء منها خافوا أيضًا الظُلم والمغرم الذي سيلحقهم بسبب زُعمائهم، وهذا الأمر شـــائع للغاية في هذه المهنة تحدث عن هذا الأمر (ابن خلدون) في

(١) الأصمعي (أبي سعيد عبد الملك بن قريب)، النبات والشجر، عنى بنشره وجمع رواياته: أوغست هفنر، (د ط)، المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين، بيروت، ١٨٩٨م، ص٥.

(٢) ديوان الأعشى الكبير، ص٥٧.

كتابه (العبر)[١]، وأَكده من قَبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، عندما رأى بعض آلات الحرث فقال:" لا يدخل هذا بيت قوم إلا أَدخله الله الذل"[٢]، وذلك لأن الأراضي الزراعية غالبًا ما كانت تؤجر، فيقع الُظلم من الأجير على المستأجر عند المطالبة بالحقوق[٣].

وكان العرب يعملون في الزراعة واستصلاح الأراضي واستخراج الماء، أو من خلال الواحات المنتشرة في أراضيهم، وعلى أية حال فقد عرف العرب الزراعة وامتهنوها وعملوا على استصلاح الأراضي، واستخراج الماء وتوفيرها لزراعتهم بعدة وسائل ومنها:

الريافة:

(الريف): هو الخصب والسعة في المأكل والمطعم[٤]،و(الريافة): هو علم يهتم بأنباط (المياه) من باطن الأرض، حيث يُستدل على الماء غالبًا بـــ(الفراسة) واستنطاق مظاهر الطبيعة كالجبال، والتراب، والهواء، وتسخيرها للاستفادة والكشف عن الماء، وإذا أُستدل على تواجده في تلك المنطقة بوشِر حفر البئر فيها واستخراج الماء[٥].

وبشكل أو بآخر ارتبطت الريافة (بأيام العرب) وذلك أن أحد وسائلها هي (السماع بالأذن)، ويُسمى هذا الأسلوب (بالنصَّات): وهي عادة قديمة معروفة عند العرب، حيث كان لكُل قبيلة (رجل) مُتمكن عليم بها، يَستطيع سماع وقع حوافر خيل العدو من بُعد، فتتمكن القبيلة بذلك إدراك عدوهم، أو رصده والتحذير منه[٦].

---

(١) ابن خلدون، تاريخه، ٤٩٣/١.

(٢) البخاري، صحيحه، ١٠٣/٣.

(٣) العسقلاني، فتح الباري، ٥/٥.

(٤) الفراهيدي، العين، ٢٨٠/٨.

(٥) محمد عيسى صالحية، "علم الريافة عند العرب"، رسائل جغرافية، العدد ٣٧، جامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، ربيع الأول ١٤٠٢هـ/يناير ١٩٨٢م، ص٧.

(٦) محمد عيسى صالحيه، علم الريافة، ص٢١؛ الألوسي، بلوغ الأرب، ٣٤٣/٣.

وعلى كلٍّ فقد عرف العرب الزراعة في شكل:

أولاً: الواحات.

وهي أراضين خصبة امتازت بأشجارها وخُضرتها، وعيونها العذبة، ومع مرور الوقت لعبت دوراً مهماً في النهوض باقتصاد الجزيرة العربية؛ وذلك عندما تحولت هذه الواحات إلى (مستوطنات) تُؤمن الغذاء والراحة للمسافرين الذين شقت قوافلهم طُرقاً تجارية بين أرجاء الجزيرة، وبسبب هذه المميزات التي وضعها الله في تلك الواحات، ازدهرت هذه المناطق، وأصبح بإمكان العربي المسافر أن يجد له ملجأ للراحة لنفسه ومواشيه، وتجديد طاقتهم، ليتمكنوا من إكمال وجهتهم بأقل جهدٍ ممكن، وكما كانت عامل جذب كانت أيضًا وجهة لقطاع الطرق والصعاليك، فاضطر أهل الواحات إلى توثيق علاقاتهم بأهل البادية بعهود ومواثيق لإقرار أمنهم والحفاظ على مكانتها[١]، ومن أشهر الواحات في الجزيرة العربية (وادي القرى): وهي إحدى محطات الطرق التجارية القديمة التي كانت تسلكها القوافل فيما بين اليمن والشام، وهو وادي خصيب، عاشت على ضفافه قبائل مُتحضرة مارست الزراعة، واستغلت المياه المتوفرة في باطن أرضه، فقامت قرى ومستوطنات كثيرة حوله، وعاش أهلها العيش على ما تنتجه مزارعهم وحقولهم[٢]، ومن الجدير بالذكر ما ورد أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه مر بها فتلا قول الله تعالى: ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾[٣].

ثم قال: "هذه الآية نزلت في أهل هذه البلدة وهي بلاد ثمود فأين العيون؟ فقال له رجل: صدق الله في قوله، أتحب أن أستخرج العيون؟ قال: نعم، فاستخرج ثمانين عينا، فقال معاوية: الله أصدق من معاوية"[٤].

---

(١) جواد علي، المفصل، ٢١٨/١.

(٢) برهان الدين دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، ص٨٥.

(٣) سورة الشعراء، الآيات ١٤٦-١٤٨.

(٤) الحموي، معجم البلدان، ٣٣٨/٤.

وقد قامت بين (يهود) وادي القرى (أحلاف زراعية) تم عقدها مع من جاورهم من قبائل قُضـــاعة وجهينة وبلي، حيث قام اليهود بإعطائهم جزءا من محاصـــيلهم تؤدى إليهم كل عام في مقابل سلامة زراعتهم وعدم تعديهم عليها، إضافة لمساعدتهم في صد هجمات العرب عنهم، وقد ذُكر أن "النعمان بن الحارث الغسَّاني" أراد حربهم فرده النابغة الذبياني، وحذره من حلفهم(١)، وقال في ذلك(٢):

لقـد قلـت للنعمـان يوم لقيتـه ... يريـد بني حُنّ ببرقـة صـــادر
تجنّـب بني حُنّ فـإن لقـاءهـم ... كريـه وإن لم تلق إلا بصـــابر
هم قتلوا الطـائيّ بالحجر عُنوة ... أبا جـابر واســتنكحوا أم جـابر
وهم ضـــربوا أنف الفزاريّ بعد ما ... أتاهـم بمعـقـود مـن الأمـر قـاهـر
أتطمع في وادي القرى وجنـابـه ... وقـد منعوا منـه جميع المعاشـــر؟؟

ثانيًا: القرى.

تكونت مجتمعات زراعية رعوية مُســتقرة، اكتفت بنفســها بالرغم من أن المزارع عانت من الهجمات المتكررة عليها، فشـــاعت بينهم الملكية الفردية عندما بنى فيها مالك الأرض بيته، ورعى ماشيته، واستصلح أرضه وتاجر بنتاجها، فاستقر بذلك صاحبها وترك الحرب والارتحال سعياً وراء المراعي والغارات والثأر، ثم تكونت بين المزارعين نوع من الأحلاف توحدوا بســببه ووقفوا صــفاً واحداً في الدفاع عن بعضهم البعض، مما سهل عملية البيع والشراء والمبادلة بشكل آمن، وساعد في تكوين مجتمعات مُتحضرة(٣).

وبما أن المشتغلين بالزراعة عاشوا في جو من القلق والتوتر جراء الحروب التي لحقتهم، ولأنهم يعتاشون على ما يزرعون اضطروا لتكييف أنفسهم للبقاء في وسط هذه التعديات والسلب والنهب

(١) الحموي، معجم البلدان، ٤/٣٣٨-٣٣٩.
(٢) ديوان النابغة الذبياني، ص٩٨.
(٣) جواد علي، المفصل، ١٣/١٣١.

والقتل، والحفاظ على منتجاتهم الزراعية، لذا شـــددوا في حِرصـــهم وحَذرهم، وأبدعوا في حفاظهم على ممتلكاتهم من عبث أيدي الغزاة، واستفاد بعضهم من الأساليب والتحصينات القديمة المعروفة، بينما استحدث آخرون أشياء بسيطة سخروها لتُعينهم في مواجهتهم لأعدائهم.

أولاً: المدن المسورة.

بدأت المدن المســـورة بالظهور في جزيرة العرب خلال الألف الثاني قبل الميلاد، حيث تميزت بحصانتها ومناعتها، وبقي بعضها صامداً في وجه الزمن حتى مجيء الإسلام(١).

ولقد عُدت المدن المســـورة من مشـــاهير المدن العربية القديمة وذلك لنمط بنائها الفريد، وصـمودها، كما أنها برزت أكثر في أوقات كالعصـر الجاهلي الذي كثرت فيه حروبهم، ومن أشـهر تلك المدن القديمة المسورة:

أ- الطائف:

وهي من أشهر المدن العربية المسورة، حتى قيل إنها لم تُسمى بذلك إلا بسبب سورها الذي طاف وأحاط بها(٢)، ويبدو أن بعض العرب عندما رأوا كثرة خيرها، وحِرص أهلها على تحصـــين أنفسـهم، طمعوا فيها وسـارعوا لحربهم وحصـارهم، غير أن حصـانة سـورهم الشـديدة حالت دون أعدائهم، فلم يســتطيعوا النيل منهم بطائل، وترتب على ذلك أنها لم تُغز أو تســلب بعدها ليأس العرب منها، فاسـتطاع أهلها العيش في رغد وسـعة حتى جاء الإسـلام، عندما فُتحت أبوابها أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام التاسع للهجرة(٣).

(١) محمد أحمد بدين؛ وعبد الرحمن بكر كباوي، دراسات في آثار المملكة العربية السعودية، (د ط)، المهرجان الوطني للتراث والثقافة، الرياض، ١٤٢٢هـ/١٩٩٢م، ص٦٦.

(٢) الحموي، معجم البلدان، ٩/٤.

(٣) الطرابلسي (أمين الدولة محمد بن محمد هبة الله العلوي)، المجموع اللفيف، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٥هـ، ص١٨٨؛ الحموي، معجم البلدان، ١١/٤.

ب- تِيماء:

تيماء: مدينة تقع ما بين الشـــام ووادي القرى[١]، وهي منطقة زراعية مليئة بالنخيل والعنب والتين، سُورت أيضًا للحماية، وكان بها بُحيرة ونهر تكفي الناس وتسقي زروعهم[٢].

ج- فيد:

بلدة في الطريق ما بين الكوفة ومكة[٣]، تقع بالقرب من جبل أجا، كان عليها سور دائري، وفي وســطها حصــن عليه باب من حديد، يودع الناس فيه ودائعهم وما يثقل من مؤنهم وفواضــل زادهم عند سفرهم، كما جمعوا فيه محاصيلهم من الأعلاف التي استغلوها للبيع[٤].

ولتقوية هذه المدن حتى تكون في منعة وحماية متكاملة دُعمت بمشـاريع بعضـها كان صـغيرا والآخر كبير، وذلك في سـبيل تجنب المجاعات والضـوائق وقت الأزمات، والتي كانت تلحق بالمدينة في أوقات الحرب وعند الحصـار، وأيضًـا لتحاشـي مواسـم الجفاف والقحط، والتي كانت سـبباً كافيًا يدفع بالقبائل البدوية لمهاجمة المدن والحواضـر سـعياً وراء زروعهم وحاصـلاتهم المزروعة أو المخبأة في المخازن، وتتمحور هذه المشـــاريع حول اســـتخراج والحفاظ على المياه التي هي قوام الزراعة، ومن أمثلة المشاريع الصغيرة (الدبول): و(دبل) الأرض يعني إصلاحها، والدبول هي:(الجداول)، سميت بذلك لأنها (تُدبل)، أي بمعنى تُنقى وتصلح[٥].

ومن أمثلة المشاريع الكبيرة (السدود): والسدود مفردها: سد، وهو اسم يدل على ردم شيء وملائمته، وكل حاجز بين شيئين يدعى سد[٦].

---

(١) الحموي، معجم البلدان، ٦٧/٢.

(٢) البكري، معجم ما استعجم، ٣٣٠/١.

(٣) الحموي، معجم البلدان، ٢٨٢/٤.

(٤) ابن شمائل، مراصد الاطلاع، ١٠٤٩/٣.

(٥) الفارابي، الصحاح، ١٦٩٤/٤.

(٦) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٦٦/٣.

تعد السدود من أعظم مشاريع الري القديمة، وكان الهدف منها توفير المياه التي تتجمع من الأودية، لذلك أُقيمت عند مخارج السيول في المنخفضات؛ لتكوين أحواض لحفظ الماء، ليتم الاستفادة منها عند الحاجة كأوقات الجفاف(١).

وكان السد يبنى غالباً على هيئة جدار مرتفع من الحجارة، لذلك كان يحتاج الى مهارة وخبرة ومال وهو مالم يتوفر غالباً في ذلك العصر؛ لذلك كان معظمها صغير الحجم، يتكون من حواجز ترابية أو من صخور مكدسة بإستثناء تلك الموجودة في اليمن كسد مأرب(٢)، حيث لم يكتف العرب بذلك بل صنعوها بدقة هندسية عالية مكنتهم من تجميع المياه، واستخدامها حسب حاجتهم، متى ما شاؤوا، ومن أشهر تلك السدود سد (الحصيد): وهو سد ضخم يقع بخيبر، تعود أسسه إلى نهاية الألف الثاني وبدايات الألف الأول قبل الميلاد(٣)، وكذلك سد (السملقي): وهو سد ضخم يعود تاريخه لعهد قديم، يقع بوادي الثمالة جنوب الطائف، ويبلغ طوله مئتي متر، وسمكه عشرة أمتار(٤).

وقد برزت أنماط أخرى من التسوير عند العرب، يُعد أصغر من النمط السابق، حيث يكون محصوراً على أفراد وجماعات أصغر، وهو كالتالي:

أ- الحدائق المسورة:

وهو مظهر يبرز غالبًا في المناطق المتحضرة التي لا يُحيط بمدنها أي سور، ومن أمثلتها:

---

(١) جواد علي، المفصل، ١٣/ ٢٠٨؛ موسوعة المملكة العربية السعودية، (د ط)، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٤٢٨هـ، ١٤٩/١.

(٢) (سد مأرب): يقع بالقرب من الناحية الجنوبية الغربية لمدينة مأرب باليمن، ووجد على هذا السد نقوش تدل على أنه قائماً في حوالي ٨ ق.م، وقد أجريت لهذا السد عدد من الترميمات في عهود مختلفة لبعض ملوك اليمن، كان أخرها في عهد أبرهة الحبشي، أنظر: هنري عبودي، معجم الحضارات، ص٧٦١.

(٣) جواد علي، المفصل، ١٣/ ٢٠٨؛ موسوعة المملكة، ١٤٩/١.

(٤) موسوعة المملكة، ١٥٣/١.

(حديقة الموت): وهي حديقة ذُكر أنها كانت تقع بأطراف يثرب على طريق مكة[١]، وقد ورد أن بطنين من بطون بني مالك بن عضـــب من الخزرج اختلفوا في ميراث لهم، وكانوا من القبائل القوية التي حوت في بطونها ألف فارس، فدخلوا في حديقة (لبني بياضـــة) وأغلقوها وتقاتلوا حتى لم يبق منهم عين تطرف، فسميت حديقة الموت لذلك[٢].

ب- الحِمى المسورة:

هذا النمط خاص (بالضِّياع)، وتكون في القرى والمدن غير المسورة، وخُصت بمناطق الحِمى: (كالأديرة)، والتي كانت تُحيط نفسـها بالأسـوار لحماية المتعبدين والرهبان من السـطو والقتل لأنهم لا يجيدون القتال، فأنشئت ليستطيعوا ممارسة دينهم بأريحية، وأيضًا لحماية الهبات والعطايا الثمينة والوفيرة التي تفد إليهم، ومن أمثلة هذه الأديرة:

١- دير العاقول:

ويقع قريباً من شـاطئ دجلة، وهو دير عظيم منيع، أشـبه ما يكون بالحصـن، ومحاط بسـور عالٍ مُحكم، وبداخله بساتين تثمر شتى الأنواع[٣].

٢- دير الأسكون:

ويقع بالحيرة، وهو: دير يحيط به ســور عالٍ وحصــين، يُغلق عليه بباب من حديد، ويحوي معابد وهياكل حيث يقوم رهبانها باستضـافة الناس، كما أن له مشـربة تمتد إلى الحيرة، كلما انقطع نهرها شربوا منه[٤].

---

(١) الحموي، معجم البلدان، ٢/٢٣٢.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣/٣٣٠؛ السمهودي (علي بن عبد الله بن أحمد الحسني)، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، دراسة وتحقيق: محمد الأمين محمد محمود الجكيني، (د ت)، طبع على نفقة: حبيب محمود أحمد، (د ت)، ١/٥٦٥.

(٣) الحموي، معجم البلدان، ٢/٥٢٠، ٥٢٨.

(٤) الحموي، معجم البلدان، ٢/٤٩٨.

كما قامت بعض الطرز المعمارية في العصر الجاهلي بدوراً أشبه بدور أسوار المدن ومنها:

أولاً: الآطام.

الأطم: اسم يدل على الحبس والإحاطة بشيء[١]، وهو اسم أُطلق على الحصون التي تبنى بالحجارة[٢]، كما عُرفت الآطام أيضًا بمُسمى (الصياصي) و (السلاح) وهي تسميات أُخذت من سلاح (الديك) وهو (صيصته) التي يختبئ فيها، والعرب تُسمي الرجل الممتنع بالأسلحة والمزارع (صاحب سلاح) وذلك لما كانت (آطامهم) هي حصونهم ومعاقلهم، وجنتهم أيضًا، فأصبحت بحكم الترس والدرع التي هي من أسلحتهم المنيعة[٣].

و(الآطام) مسمى غلب على الحصون الكثيرة المشيدة بيثرب[٤]، والتي بلغت في أعدادها ما يزيد عن السبعين أطم، وكانت فخر أهل المدينة وعزهم ومنعتهم[٥]، وقد قال شاعرهم فيها[٦]:

ولونطقت يوما قباءٌ لخبرت بأنَّا نزلنا قبل عاد وتُبّع

وآطامنا عاديةٌ مشمخرة تلوح فتنعى من يُعادي وتمنع

فبسبب حروب يثرب المستعرة فيما بينهم كان من الطبيعي أن يلتفت أهلها لتحصين وحماية ما يعتاشون عليه، ولما كانت يثرب منطقة زراعية مكشوفة غير مسورة كانت الآطام الحل الأمثل، وكان أول من شيدها بيثرب هم (اليهود)، ثم تبعهم الأوس والخزرج بعد ذلك[٧].

---

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، ١/١١٢.

(٢) العسقلاني، فتح الباري، ٤/٩٥.

(٣) الجاحظ، الحيوان، ٢/٣٧٤.

(٤) الحموي، معجم البلدان، ١/٢١٩.

(٥) السمهودي، خلاصة الوفا، ١/٥٢٨-٥٢٩.

(٦) السمهودي، خلاصة الوفا، ١/٥٢٥.

(٧) ابن خلدون، تاريخه، ٢/٣٤٢.

ومن أمثلة آطام يثرب: (أطم معرض)، وهو آخر أطم بُنِيَ في يثرب، بناه "بنو عمرو وبنو ثعلبة من الخزرج"، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد قدم المدينة وهم يبنونه فاستأذنوه لإتمامه فأذن لهم عليه الصلاة والسلام(١).

كما عرفت (الطائف) بناء الأطم، وأن أول أطم شـــيد فيها كان على يد رجلٍ من ثقيف يُدعى: (غيلان بن سلمة) وذلك بعد أن عاد بتجارة له من عند كسرى، وكان قد وفد عليه فأكرمه كسرى بأن بعث معه رجلاً من الفرس ليبني له أطمًا، فتم ذلك(٢)، كما شـــهدت نجران بناء الأطم ويغلب الظن أنها دخلت إليهم مع دخول اليهودية لبلادهم، يقول أوس ابن مغراء(٣):

بـث الجنود لهم في الأرض يقتلهم ما بين بصـــرى إلى آطـام نجران

والآطام تحوي طِرازاً معمارياً مُميزاً، حيث تبنى بالحجارة المختلفة الأحجام، ثم يحشـى ما بينها بالطين، كما أن لها شُرف عالية تستخدم للمراقبة والدفاع، كما استخدمت أيضًا للتنزه(٤).

وكانت الآطام وســيلة حربية ناجحة، حيث كان العرب واليهود أول ما يبتدئون حربهم بالهجوم في أماكن مكشوفة، وإذا أحسوا بالخطُّر والهزيمة انسحبوا إليها فسلموا، وذلك الأسلوب المستفز بالنسبة للعدو جعلهم يلجؤون لوسائل مستفز أيضًا لإخراجهم، فكانوا يعمدون إلى حرق وقطع الزروع المحيطة بهم، وبما أن أشجارهم هو الشيء الوحيد الذي لم يكن بإمكانهم تخبئته وحمايته بالشكل المناسب، كان أصحابها أمام خيارين، أما السكوت والبقاء لمشاهدة زروعهم التي رعوها سنة كاملة تحترق، أو الخروج للقتال مرة أخرى وإنقاذ زروعهم(٥).

---

(١) محمد محمد حسن شراب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١١هـ، ص٢٧٦.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ١٣/١٤٤-١٤٥.

(٣) الحموي، معجم البلدان، ١/٢١٩.

(٤) عبد القدوس الأنصاري، أثار المدينة المنورة، ط٣، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص٦٤.

(٥) (يوم معبس ومضرس): يوم للخزرج على الأوس. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١/٥٩٩.

ولما كانت الزروع عند أهل القرى والمدن تساوي في قيمتها (جِمال البادية) عند الأعراب، فقد كان البعض يجيرها ويمنعها من الإعتداء والتعرض للحرب والنهب، ففي (يوم معبس ومُضَرس): وهما جداران، كانت الخزرج تحارب من وراء مُضَري، والأوس من وراء معبس، فاقتتلوا أياماً قتالا شديداً حتى هزمت الأوس ولاذوا بالآطام، وبعد فترة سعى الأوس للثأر، فهاجموا حقل لبني الأشهل من الخزرج يدعى (الرعل) غير أن (عمرو بن الجموح الخزرجي) أجار الرعل من الحريق وقطع الأشجار(١).

ثانيًا: الحصون.

وإضافة للآطام فقد شيد العرب (الحصون) لحماية أراضيهم ومزارعهم، والحصن: هو كل موضع حصين لا يُوصل إلى ما في جوفه(٢)، وتسمى الحصون أيضًا بـ "المعاقل" تشبيهاً لها بمعاقل الجبال -أي قممها- المرتفعة المنيعة(٣).

وقد شُيدت تلك الحصون بالحجارة الضخمة الهائلة المُربعة الشكل، ولا يُحشى ما بينها، كما أنها كبيرة الحجم، لدرجت أن بعضها قد حوى بئراً بداخلها(٤).

ولما كان قوام حياة أهل القرى صيانة مزارعهم وحماية أراضيهم، فقد كان من الطبيعي أن خَفت أحلافهم مع الآخرين واكتفوا بأنفسهم، وذلك لتشييدهم الحصون والأبراج، التي تحصنوا بها عند الحروب والغارات، فلم تستطع قوة العدو تحطيمها ولا اقتحامها عليهم، لعدم توفر أسلحة بين أيديهم تؤثر في هذه الحصون، فاستطاع بذلك أهلها حماية أنفسهم وأموالهم معظم الوقت بهذه الطريقة(٥).

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦٠٢/١.
(٢) الفراهيدي، العين، ١١٨/٣.
(٣) ابن دُريد، جمهرة اللغة، ٩٣٩/٢.
(٤) محمد أحمد بدين وعبد الرحمن بكر كباوي، دراسات في آثار المملكة، ٦٤/١.
(٥) جواد علي، المفصل، ٣٢٧/٧.

فالهدف الأساس من بناء تلك الحصون: هو التحرز من الأعداء والحفاظ على ممتلكاتهم من النهب والسلب، حيث أُتخذت كـ(مخازن) يضعون فيها غلاتهم وأسلحتهم، وعند الحرب تكون الغلبة من نصيبهم، حيث ينجحون في تثبيط قوة عدوهم؛ إما في صدهم نهائياً أو إضاعة وقتهم حتى وصول المدد، وفي مقابل مِنعة الحصون لجأ بعض الأعداء لاستخدام استراتيجيات في محاولة إضعاف دفاعاتهم، والتي غالبًا ما كانت تتمحور حول التهديد والوعيد، ففي (يوم الحائر) عندما تحصن بني يشكر من بكر بحصونهم عن بني يربوع، قاموا بحرق بعض زروعهم وعقر نخيلهم لينالوا منهم، وبالفعل انطلت الحيلة على بني يشكر ونزلوا من حصونهم لإغاثة زروعهم فقاتلهم بنو يربوع وهزموهم(١)، وكذلك عندما علم "الحارث بن أبي شمر الغسَّاني"(٢) بدروع امرؤ القيس بن حجر التي أودعها عند (السموأل بن عاديا) أرسل بعوثه لأخذها منه، فتحصن بحصنه وأغلق أبوابه دونهم، فقام مبعوث الملك بتهديده بقتل ابنه غير أنه لم يرضخ له فنفذ تهديده وقتله أمام ناظريه، فضربت العرب المثل بالسموأل ووفائه(٣)، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت -رضي الله عنه-(٤):

ففروا إلى حصن القصور وغلقوا وكائن ترى من مشفق غير وائل

وأعطوا بأيديهم صغاراً وتابعوا فأولى لكم حُداة الزوامل

كما عملت هذه الحصون على تطور العرب وتحويل بعضهم للحضر، ذلك أن الزراعة وإقامة الحصون ساعدت على استقرارهم، كما أنها وفرت لهم معاشاً ومالا أوصل بعضهم إلى حدود الثراء، عندما سخروا ما يزرعون في بيعهم وتبادلهم، وأيضًا عملت على تكوين طبقات متباينة في المجتمع تتفاوت ما بين مُلاك الأراضي الكبار الذي يمتلكون آطامًا وحصونًا، إلى طبقة العبيد والعمال

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٦/٥٠؛ النويري، نهاية الأرب، ١٥/٣٨٥.

(٢) (الحارث بن جبلة أبي شمر) ٥٢٩-٥٦٩م: أمير غسَّاني، أطلق عليه لقب (باسيليوس) بمعنى ملك من قبل الروم. انظر: هنري سعيد عبودي، معجم الحضارات، ص٣٩٥.

(٣) الدينوري، الشعر والشعراء، ١/١٢٠.

(٤) حسان بن ثابت (أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري)، ديوان حسان بن ثابت، شرحه ووضع هوامشه وقدم له: عبدأ علي مهنا، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص٨٨.

الذين كان عبء العمل والإنتاج والرعاية والصيانة يقع على عاتقهم في مقابل أيسر الأجور وأحيانًا في مقابل لقمة عيشهم(١).

ولمنعة الحصون وشُهرتها فقد كانت وسيلة لإغاثة الملهوف وإجارته، فمن دخلها مُنع عمن طلبه وحال دونه الناس، حيث يُذكر أن رجلاً هرب من قيس حتى لحق باليمامة فدخلها وهو متبوع، وسار يلهث إلى جهة نادي بني حنيفة، فلما رأوه علموا أنه خائف؛ (فصاحوا به): أن يدخل الحصن! فدخله وحالوا دونه، وقالوا لمن تبعه: لو أنكم أخذتموه قبل أن يدخله ما منعناه عنكم، فنجى بذلك(٢).

ومن أشهر حصون العرب:

١- حصن المشقر:

وهو حصن عظيم قديم في البحرين(٣)، قامت فيه أحد أيامهم، وهو (يوم المشقر أو الصفقة)(٤).

٢- حصن تِيماء:

ويعرف أيضًا بالحصن (الأبلق الفرد) لأنه بُني بحجارة مختلفة الألوان، وهو من حصون العرب المشهورة والمعروفة بمنعتها، وقد قيل: أن أول من بناه هو (السموأل بن عاديا)، وقال آخرون: إنه من بناء سليمان بن داوود –عليه السلام–(٥). وفيه يقول الأعشى(٦):

كن كالسموأل إذ سار الهمام له في جحفل كسواد الليل جرار

(١) جواد علي، المفصل، ١٣/١٣٤-١٣٥.
(٢) الأصفهاني، الأغاني، ١١/٨٠.
(٣) الحموي، معجم البلدان، ٥/١٣٤.
(٤) ابن المثنى، أيام العرب، ٢/٣٧.
(٥) النويري، نهاية الأرب، ١/٣٨٥.
(٦) ديوان الأعشى الكبير، ص١٧٩.

جـار ابن حيـا لمن نالتـه ذمتـه أوفى وأمنع من جـار ابن عمـار

بالأبلق الفر من تِيمـاء منزلـه حصـــن حصـــين وجار غير غدار

٣- حصن مارد:

يقع هذا الحصـن بدومة الجندل(١)، وهو حصـن مبني على مرتفع طبيعي من حجر الكلس، ويشرف على وادٍ ذي واحة قديمة، وتاريخ تأسيس ذلك الحصن ما زال غامضاً، وهو من الحصون القديمة التي ما زالت بقاياه شـــاخصـــه حتى الآن على الرغم من عوامل الهدم التي مرت عليه على مدار التاريخ(٢).

٤- حصن الصعب بن معاذ:

وهذا الحصـن أحد حصـون يثرب في العصـر الجاهلي، وقد أورد الواقدي هيئته وبنيته وقال: إنه مبني جدر دون جُدر، وإذا ما تحصـنوا فيه اسـتطاعوا قذف أعدائهم (بالجندل)(٣) والحجارة من عليه، كما أنه كبير للغاية، بإمكانه احتواء خمسـمئة مُحارب بإلاضـافة لأماكن تخزين الطعام والماشية والمتاع التي كان يتسع لها جميعًا(٤).

(١) انظر: (لوحة رقم ١).

(٢) وكان آخر تلك الترميمات هي التي حدثت في العصر الحديث في عام: ١٢٦٩هـ-١٨٥٣م، وفي عام: ١٣٢٦هـ-١٩٠٩م. انظر:

Saudi commission for Tourism and Antiquites, Dumat al-jandal 2'800 years of History in the Kingdom of Soudi Arabia, King Fahd national library, Riydh, 2013, P45.

(٣) (الجندل): هي الحجارة التي يمكن القذف بها. الفراهيدي، العين، ٢٠٦/٦.

(٤) الواقدي، المغازي، ٦٥٩/٢، ٦٦٣/٢.

٥- قلعة الزبير:

تقع بيثرب، وقد ذكر أن بها حصن منيع " في رأس قلعة لا تقدر عليه الخيل ولا الرجال لصعوبته وامتناعه"[١]، وكان مُدعماً بـــــ(دبول) تمر من تحت الأرض، يســـتطيع الممتنع فيه الخروج إليها ليلاً للشرب، فمكنهم ذلك من الصمود في وجه أعدائهم لو أرادوا لشهر كامل[٢].

٦- حصن الأخيضر:

يقع هذا الحصن في وسط بادية بمدينة كربلاء –حالياً- بالعراق، وهذا الحصن ما زال قائماً حتى الآن غير أنه أدخلت عليه الكثير من الإضـافات على مر العصـور[٣]، وقد اختلف في تحديد تاريخ بناء هذا القصـر وتحديد زمانه، فمنهم من ينسـبه إلى اللخميين في النصـف الأول من القرن السـادس للميلاد، ومنهم من ينسـبه إلى السـاسـانيين في الربع الأخير من القرن السـابع للميلاد، إضـافة للأقوال التي تنسـبها للعصـر الإسـلامي وبالأخصّ العصـر العباسـي بسـبب المسـكوكة التي وجدت بداخله والتي تنســب إلى هذه الفترة[٤]، وقد تم بناؤه بالحجارة والجِصّ، إضــافة للقليل من الأجر وجذور النخيل؛ التي كان الهدف منها تقوية ما بين طبقات البناء[٥].

(١) الواقدي، المغازي، ٦٦٦/٢.

(٢) الواقدي، المغازي، ٦٦٦/٢.

(٣) أبا ذر راهي سعدون الزبيدي، حصن الأخيضر دراسة في ضوء التحريات والتنقيبات والصيانة الأثرية"، مجلة العميد، المجلد ١، العدد ١-٢، العراق، رمضان ١٤٣٣هـ/أيلول ٢٠١٢م، ص٥٤١.

(٤) أبا ذر راهي سعدون الزبيدي، حصن الأخيضر، ص٥٤٥. ساعد الفحص الإشعاعي الذري للكاربون ١٤، والذي يحمل الرقم الإشاري (GAK-14257)، بالكشف على أن العينات الخشبية التي أُستخدمت للربط من داخل جدران القصر؛ تُدلل بأن هذا الحصن يعود في نشأته إلى عام خمسمئة وثمانون للميلاد؛ بإضافة أو طرح تسعين عاماً، وبناء على ذلك حَددت هذه النتيجة: أن الفترة لدراسة هذا القصر تتراوح ما بين مئة وثمانين عاماً؛ ابتداء من أربعمئة وتسعين للميلاد، وانتهاء بستمئة وسبعين ميلادياً، وبهذا فقد تم استبعاد الرأي المرجح سابقاً، والذي يجعل من هذا الحصن عائداً إلى الفترة العباسية. أبا ذر راهي سعدون الزبيدي، حصن الأخيضر، ص٥٤٦، ص٥٤١-٥٤٢.

(٥) أبا ذر راهي سعدون الزبيدي، حصن الأخيضر، ص٥٤٦.

وقد كانت كلٌّ من الآطام والحصون ملجأً لأصحابها عند العواصف واشتداد الحر والأهم عند الخطُّر، يخزنون بها محاصيلهم وماشيتهم، وقد يحتمي بها عبيدهم وأتباعهم، حيث تختلف في سعتها وحجمها على حسب منزلة وثروت مالك الأرض، وقد تتعرض هذه الحصون لأخطار شديدة وبالأخصّ إذا كانت المزارع كبيرة لذلك عملوا على حمايتها بتوزيع الحصون على كل أطرافها، ولنا أن نتخيل مقدار المال والجهد المبذول فيها(١).

خامسًا: الكِلاب.

وإلى جوار هذه التخطيطات الكبيرة للحفاظ على الزروع، ما زالت المزارع والحدائق هدفاً سهلاً لبعض الأفراد، لذلك اتخذ أهلها طُرق ناجعة وبسيطة للحول دون العدو ورصدهم، ومن هذه الوسائل (الكِلاب)، والتي كانت وسيلة فعالة للإنذار باقتراب العدو، وبالأخصّ أن المناطق الزراعية تشوش الأنظار مع حلاكة الليل، وكثافة المنطقة المحتشدة بالزروع، حيث يتمكن المعتدي من الاقتراب والسرقة والسطو دون أن يِشعر به أحد، ومن أمثلة ذلك ما ذُكر عن (أحيحة بن الجلاح الأوسي) أنه اشترك في مقتل أخٍ (لعاصم بن عمرو المازني)، وبعد حين علم أحيحة أن عاصماً يترصد لقتله، فكان يضع الكِلاب حول منطقته ليعلم متى ولج إليها غريب، فسار إليه عاصم يومًا وأخذ معه تمرًا، ولما اقترب من (أطم) أحيحة صاحت الكِلاب فيه فرمى لها التمر فاشتغلت بأكلها، فتنبه أحيحة لذلك ودخل أطمه، فاستطاع بذلك النجاة إلى حين(٢).

(١) جواد علي، المفصل، ١٣/١٣٤-١٣٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١/٥٨٧.

المبحث الثاني

المنتجـــــات الزراعيـــــة

تعددت المنتجات الزراعية التي عرفها العرب، غير أن المنتجات التي ارتبط أمرها بالحروب كانت قليلة للغاية ومنها:

أ- التمور:

ينمو النخيل بكثرة بأرجاء جزيرة العرب لملاءمة حياتها لظروفها وصبرها عليها، لذلك دخلت التمور في نظام العرب الغذائي اليومي واعتمدوا عليها إلى جوار الألبان، وفي مناسبات أكثر خصوصية كالضيافة والاحتفال قُدمت (التمور) مع لحوم الإبل، كما كان يُستهلك (النوى) بعد دقه كعلف لأنعامهم، وبالنسبة (للحضر) فالتمور معروفة ومحببة عندهم أيضًا إلا أنها كان غذاء ثانوياً تقف إلى جوار أصناف متنوعة أُخرى لا تتيسر للبدو(١).

وقد كسب المشتغلون بزراعة (النخيل) أرباحاً طائلة، لكون الكثير من العرب يعتاشون عليها، فقد كان الأعراب يحضرون للريف والمناطق الزراعية لغرض مبادلتهم بما عندهم من وبر مقابل التمور، وازدادت ثروتهم عندما قاموا (بكبس التمر) فاستطاعوا بذلك الحفاظ عليه لفترات طويلة إضافة أنه يَسَّر للناس سهولة نقله والاتجار به، وقد عرفت هذه العملية بـ "التقلف"(٢)، كما استخدمت (التمور) في بعض الأحيان كوسيلة لدفع الأجور وغيرها من الأشياء(٣).

(١) الحلي، المناقب المزيدية، ص٥١٠؛ لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور، ص٣٠٠.

(٢) جواد علي، المفصل، ٦٨/١٣. (القلف): هي الجلال المملوءة تمراً، تسمى كل جلة منها قلفة. الهروي، تهذيب اللغة، ١٣٠/٩.

(٣) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ط١، (د ن)، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ١٠٠/١.

كما كان التمر من الوسائل التي استخدمها العرب في (إتمام) عقودهم وأحلافهم، ففي (يوم جدود)[١]، خرج "الحوفزان" يريد حرب تميم، وفي طريقه مر ببني يربوع، فلما رأوه ظنوا أنه يغزوهم فحالوا دونه، غير أنه بيَّن لهم أنما ما سيَّره لغيرهم، وأنه لا يرجو حتى قتالهم، ووعدهم بخمسمئة (جُلة)[٢] من تمر كعهد منه وميثاق على صدق كلامه، فخلوا ما بينه وبين وجهته، وصالحوه لثلاث سنين وأخذوا التمر منه.

ب- الشعير:

يتم زراعة الشعير في الأماكن الخصبة (كيثرب) حيث كان يُزرع تحت النخيل، وكان إنتاجه في بعض هذه المناطق إنتاجًا وفيرًا سمح بأن يُباع الفائض منه للخارج، فبيع على الأرجح بسعر يوازي رُبع محصول التمر[٣].

ج- العنب:

يقال لشجر العنب (الكرْمة) وجمعه (كروم)، ويتم إنباته ببناء أعمدة ينمو عليها فتحمله تسمى (بالعُروش)، وأحيانًا كانت توضع له قِصاب بدلاً من ذلك[٤].

والعنب من المنتجات الزراعية المحببة عند العرب، ومن أشهر المناطق التي أنتجته (الطائف) والتي تواجد فيها بكثره فكانت أغلب ثروتهم منه، وبالأخصّ بعد أن حولوه لزبيب وصدروه[٥]، فقد ذكر أن "عمرو بن العاص" كان يزرعه وكان العنب ينمو له على ألف ألف خشبة[٦].

---

(١) (يوم جدود): يوم لبني سعد من تميم على بني شيبان، وجدود: موضع لبني تميم، فيه الماء المعروف بالكلاب. انظر الصفحة والهامش في: ابن المثنى، أيام العرب، ٢/٢٠٥.

(٢) (الجلة): هو الوعاء الذي يحفظ فيه التمر. ابن منظور، لسان العرب، ٩/٧٣.

(٣) أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة، ٢٩٣.

(٤) العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد)، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تحقيق: عزة حسن، ط٢، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٩٦م، ص٣١١.

(٥) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ العرب، ص٣٧٦.

(٦) الحموي، معجم البلدان، ٥/٣٨٦.

كذلك انتشـرت زراعته في اليمن، وعلى ما يبدو أنه كان عندهم رمزًا للاحتفال، حيث وجد نص يشير إلى توزيع أبرهة ملك اليمن للزبيب جزاء لمساهمتهم في ترميم سد مأرِب(١).

ويتم صُنع (الخمر) منه بسحقه تحت الأقدام، ويسمى المكان الذي يصنع فيه (بالمعصرة)، كما سُمي أيضًا: (بالمناطل)، والنبيذ: هو ما يكون شديد الحمرة، ثم يُترك العصير حتى يغلي فيصبح بذلك خمرًا(٢)، وقد كان الخمر يُصنع من مواد أُخرى كالعسل، والتمر(٣).

ولما كانت (الخمور) تُصـنع باسـتخدام المنتجات الزراعية السـابقة فقد ارتبطت بالحرب، حيث كان العربي يستهلكها لتزيده جُرأة وجسارة وحماسًا في الحرب، فلا يكاد يخلو شِعر جاهلي إلا وتعرض للخمر ووصفه وأشاد بحسناته عندهم، عدا فيما ندر، فكان (الخمر) من مفاخرهم(٤)، فهو من علامات الفارس والمحارب المغوار، وشريكه الدائم غالبًا في حربه وسفره وسمره، وها هو امرؤ القيس بن حجر يقول مادحًا لنفسه وواصفًا حربه على بني أسد لما فعلوه بأبيه، بأنه جز رؤوسهم وصب في جماجمهم خمراً يشربه جرعة تلو الأخرى(٥):

أحِمى دروعهم فسـربلهم بها والنـار كحلهم بها تكحيلا

وأقام يسـقي الراح في هاماتهم ملـك يعـلّ بشـربها تعليلا

وكما كانت (الخمر) مفخرة للفارس، كانت ندامة عليه، متى ما أساء التصرف، فيذكر أن (البرج ابن الجلاس الطائي) شرب يوماً حتى ثمل فافتضَّ أخته دون أن يدري، فلما أفاق وعلم بخبره أخذ من قبيلته المواثيق ألا يَخرج خبره عن غيرهم، ثم أنه أغار يوماً وغنم، وفي طريق عودته تبعه رجل يعرفه من غير قبيلته، فأخذ يشتمه لإغارته وسلبه على جيرانه ويقول فيه شعرًا يُذكره فيه بما فعل

(١) لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور، ص٣٠٣.

(٢) العسكري، التلخيص في معرفة الأسماء، ص٣١١.

(٣) جواد علي، المفصل، ٨/٢٦٠.

(٤) لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور، ص٣٠٢.

(٥) انظر الصفحة وشرح البيت في الهامش في: ديوان امرؤ القيس، ص٣٦٠.

بأخته، فتقاتلا حتى أُسر (البرج)، ثم إن آسره مَنّ عليه لمعرفته به فجز ناصيته وأطلقه، فعاد (البرج) إلى قبيلته مُغاضباً لائمًا إياهم في فضحه، فارتحل عنهم إلى بلاد الروم ولم يُسمع خبره بعد ذلك(١).

ولما كانت الخمور تُذهب العقل وتسفه المرء هكذا، فقد وقعت الكثير أيضًا من المشادات بسببها، والتي كادت أو أودت "لمشاكل" جدية إذا لم يوجد أحد متفهماً لوضع هذا الرجل الثمل، ومن ذلك أن (عبد الله بن جدعان)(٢) كان قد شرب خمرًا مع (أمية ابن أبي الصلت)(٣) ولم يأتِ الصبح إلا وعين أمية مُخضرة، وعندما ألحَّ عليه في السؤال عن سبب ذلك أخبره أنه قد ضربه بعد ثمله، فغضب عبد الله وخجل من فعلته، وألزم (أمية) بأخذ ديتين منه، إضافة لمبلغ كبير من المال كاعتذار لما بدر منه، ثم حرم على نفسه الخمر أبداً(٤).

وقد كانت الخمر وسيلة سهلة في (أيام العرب) أُستخدمت للتلاعب والحيلة والغدر، وبالأخصّ إذا غاب عقل شاربها، حيث يُذكر أن (يزيد بن الصعق) غنم مئة من الإبل، ثم جاء بنو بكر بن كِلاب فانتزعوها منه، فذهب إلى صديق له منهم؛ فحدثه بشأنها؛ فأعاد صديقه له إبله، ولما ارتحل عنه لحقه بنو بكر فسقوه خمراً حتى سكر، ثم سألوه الإبل فأعطاهم اياها، ولما أفاق وتبين ما حصل ندم ندمًا شديدًا، وإنما فعل بني بكر ذلك ليُبرئوا ذمتهم أمام صديقه(٥).

ولما كان النصر أمره عظيم عند العرب فقد شاركت الخمور في احتفالهم، حيث تُرفق الخمور إلى جوار الولائم في جوٍّ يصدح بتغني الشُّعراء، وقد تنقلب هذه الحال كله إلى شيء مأساوي إذا لم يدارِ الحرص والحذر، فقد كان سبب مقتل "عبد الله بن الصُّمة" أنه عاد منتصراً غانماً من حرب له

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ١٤/١٠-١١.

(٢) (عبد الله بن جدعان): من أشراف مكة وأجوادها، مات بمكة في الجاهلية. الدينوري، المعارف، ص١٧٥.

(٣) (أمية بن أبي الصلت): شاعر عربي جاهلي، توفي قرابة ٦٣٠هـ، من رؤساء ثقيف وفصحائهم، كان ناسكاً يدعو للحنيفية ونبذ الأوثان. هنري سعيد عبودي، معجم الحضارات، ص١٢٩.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ٨/٢٣٩.

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ١١/١٠٧.

على غطفان، فلما كان غير بعيداً منهم؛ اغتر بنفسه، وأقسم أن يبيت الليلة مُحتفلاً يشرب الخمر ويُقسم الغنائم في المكان الذي اختاره، وتجاهل كل تحذير من أصدقائه، فلحقهم الطلب، وكانت آخر ليلة يقضياه عبد الله في حياته(١).

وعندما أُسر "مهلهل بن ربيعة"، كان متمتعاً بحريته حتى وهو في أسره لمكانته، حيث كان له بيت خاص به يجتمع إليه الناس فينحر لهم ويُضيفهم، فمر عليه رجل يبيع خمراً فأهدى له زقًّا منه، فلما شربه مهلهل أخذ يتغنى ويقول شعراً في رثاء أخيه كليب، فلما سمعه آسره أدرك مدى بطره في أسره فأقسم ألا يذوق مهلهل ماءً حتى يورد جملاً له؛ وكان لا يورده إلا بعد عدة أيام، فمات مهلهل عطشاً(٢).

وكما كانت الخمر وسيلة للتسلية كانت وسيلة خبيثة للقتل متى ما واتت الظروف ذلك، حيث يذكر أن (صخر بن عمرو الشريد) أغار يوماً على بني أسد بن خزيمة وغنم منهم؛ غير أنه أُصيب ودخلت في جسده حلقة من درعه، وبينما هو على هذه الحال؛ نزل عند خمار بيثرب فحسده على جماله وشبابه، فسقاه شربة من خمر مرض بسببها واشتغل عن تطبيب نفسه فالتأم جرحه والحلقة بداخله، فكانت سببًا لموته(٣).

كما استخدم الخمر كوسيلة للتبادل والبيع والشراء، ومنها ما حصل (للحارث بن ظالم) عندما أُسر يوماً بغتة، فأَخفى هويته عن آسره، فباعه الرجل دون أن يعلم عن حقيقته إلى رجلين (بزقّ خمر وشاه)(٤).

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ١٠/٧.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ٦/٩٣-٩٤.

(٣) ابن المثنى، أيام العرب، ٢/١٦٧-١٦٨.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ١١/٨٠.

المعاملات الزراعية:

المعاملات الزراعية هي: الصفقات المتعلقة بالزراعة، والتي وُضعت لخدمة الأطراف المتعاقدة، والخروج بالفائدة والصالح من ذلك، غير أن التعديات والتجاوزات فيها ظلمت طائفة دون أُخرى، ولربما حصلت تجاوزات لم تُذكر في التاريخ، وبالأخصّ أن العرب كان لهم حدود متفاوتة في التغاضي عن الأشياء، حيث لم يكونوا يرضون بالظلم إذا ما زاد عن حدهم وطاقتهم، وقد ورد في الحديث الشريف أسماء لبعض هذه البيوع التي أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهي موجودة بين العرب فنهى عنها(١)، فعن جابر بن عبد الله، قال: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المحاقلة والمزابنة والمخابرة، وعن بيع الثمر حتى يبدو صلاحه، ولا يباع إلا بالدينار والدرهم، إلا العرايا"(٢)، ومن هذه المعاملات التالي:

أ- التأجير:

كانت الأراضي تُؤجر بين العرب بعقود مُتفق عليها، حيث يقوم مُلاك الأرض الذين كانوا غالبًا من الزعماء ومشيخة القبائل بتأجير كامل الأرض أو جزء منها إلى حاشيتهم أو أتباعهم في مقابل "جعل"(٣) يُدفع لهم، وكثيرًا ما يكون الفلاح هو المغبون، إذ أنه يوافق على استئجار الأرض بشروط صعبة غالبًا بحُكم فَقره وسعيه لتوسيع رزقه، غير أنه يضطر لاحقاً (للاستدانة) إذا لم يوفق في الحصول على غلة جيدة ليدفع مستحقاته لصاحب الأرض بآخر موسم الحصاد، حيث يقوم إلى جوار دفع دينه بإضافة (الربا) الفاحش المترتب عليه لصاحب الأرض الأصلي، ويجد المستأجر نفسه مرة أخُرى مُضطراً للاستدانة ليقوم بالزراعة والعناية بالأرض استعدادًا للعام الجديد، فيأخذ

(١) جواد علي، المفصل، ٢٢٢/١٣، ٢١٦.

(٢) مسلم بن الحجاج (مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ت)، ١١٧٤/٣.

(٣) (الجعل): هو الأجر الذي يأخذه الإنسان على أمرٍ يفعله. ابن فارس، مقاييس اللغة، ٤٦٠/١.

الدين غالبًا من نفس (مالك الأرض) الذي يوافق بكل ترحيب ليستطيع أن يُحكم قبضته على مستأجر أرضه فلا يستطيع التحرر من ديونه، فيبقى المستأجر بذلك معلقًا بهذه الأرض، لا يستطيع التحرر منها: إلا إذا استطاع دفع كل فائض الحقوق لمالك الأرض، وهو أمر يندر حدوثه، فيظل المستأجر بذلك عالقاً في أرضه وديونه هو وعائلته من بعده(١).

ب- المخابرة:

وهي (الإكراء) أيضًا، حيث كانوا يؤجرون الأرض في مقابل نصف المحصول أو ثلثه أو ربعه أو أقل من ذلك(٢).

ج- المحاقلة:

هو بيع الزرع وهو في سنبله، وتسميته مأخوذة من الحقل(٣).

د- المزابنة:

وهو بيع التمر على رؤوس النخيل، وهي كلمة مأخوذة من (الزبن) الذي هو الدفع والخصومة، وذلك أن أصحاب هذا البيع غالبًا ما يقفون بعد البيع على (غبن) فالمشتري يُريد فض شِرائه، والبائع لا يُريد فسخ العقد فيحصل الشجار والخصام بينهما بسبب ذلك حتى يَدفع بعضهم بعض، وإنما ينشأ هذا الخصام لأن التمر لا يوزن ولا يُكال، بل يُبنى سعره على الظن، وعند نضجه يكتشف المشتري مدى جودته فيسعى لفسخ العقد إذا اكتشف رداءة ما اشتراه(٤).

---

(١) جواد علي، المفصل، ١٣/١٣٨.

(٢) ابن سلام (أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله)، غريب الحديث، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، ط١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ١/٢٣٢.

(٣) ابن سلام، غريب الحديث، ١/٢٢٩-٢٣٠.

(٤) الهروي، الزاهر في غريب الفاظ الشافعي، ص١٣٧.

هـ- المخاضرة:

هي بيع الثمار قبل نضوجه وهي (خضراء) ليست صالحة للأكل، وقيل إنه سُمي بذلك: لأن المتبايعين تبايعا شيئًا أخضر بينهما ويدخل فيه أيضًا بيع التمور، وبعض البقول وأشباهها(١).

و- المساقاة:

هي: "أن يدفع الرجل إلى الرجل حائط نخل على أن يقوم بسقيها وقِضابها وإبارها وعمارتها، ويُقطع له سهما معلوما مما يخرج من ثمارها" فهي مأخوذة من السقي الذي هو من أهم أمورها، وقد كانت بعض النخيل في الحجاز تُسقى حتى يَعظم إنتاجها(٢).

(١) ابن سلام، غريب الحديث، ٢٣٣/١؛ الهروي، تهذيب اللغة، ٥١/٧.

(٢) الهروي، الزاهر، ص١٦٦.

الباب الثاني

أثر أيام العرب على الحياة الاقتصادية

الفصل الثالث

الصنـــــاعـــــــة

- المبحث الأول: الـحِـــرف الـيـدويـة.
- المبحث الثاني: الصناعات والمنتجات المحلية.

المبحث الأول

الحِــرف اليدويـــة

الحِرفة: هي الطعمة والصناعة التي يرتزق بها الإنسان ويكون كسبه منها، يُقال: صَنْعتُ فلانا أن يعمل كذا وكذا، وحِرْفَة فلان أن يفعل كذا وكذا، أي دأبه وميوله التي ينحرف إليها(١)، والصُـنّاع: هم الأشـخاص الحاذقون في العمل اليدوي(٢)، وقد عرف العرب الحرف والصـناعات ولكن بشـكل محدود في العصـر الجاهلي حيث كانت محصـورة في نطاقها بين الحواضـر والمدن المشـهورة كمكة ويثرب(٣)، أما في البادية فعلى غرار الزراعة، كانت الصـناعة مبتذلة عند الأغلبية العظمى، بل إنهم أبغضوا الاشتغال بها أكثر من الزراعة، ولعل ذلك يرجع لعدة أسباب منها(٤):

أ- شعورهم بعدم أهميتها وعدم حاجتهم إليها في حياتهم.

ب- قلة العائد المالي منها.

ج- عدم وجود الاستقرار والأمان لها بين المجتمع البدوي.

د- لعل من أبرز الأسـباب هو عدم توفر المواد الخام؛ لقلة العاملين في اسـتخراجها، وهي التي كانت تساعد وتشجع على الإنتاج.

نتيجة لكل ذلك نَجد أن الصـناعات في جزيرة العرب تتفاوت ما بين: مدى حاجتهم إليها، وبحسب مستوى تمدنهم(٥)، وقد بقيت الحرف قابعة في الظلام، لا نعرف عنها سوى بعض الأخبار البسيطة التي وردت فيما بين طيات القصص، إضافة لبعض (الأشعار) التي قيلت من باب الهجاء

(١) الزبيدي، تاج العروس، ١٣٤/٢٣.

(٢) الهروي، تهذيب اللغة، ٢٤/٢.

(٣) يحيى الجبور، الجاهلية، ص٧٩.

(٤) جواد علي، المفصل، ١٩٥/١٤؛ محمود المقداد، الموالي ونظام الولاء من الجاهلية إلى أواخر العصر الأموي، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٧٩.

(٥) جواد علي، المفصل، ١٩٥/١٤.

لشـــخص فرد أو قبيلة كاملة[١]، وعلى أية حال فقد عرف العرب حرف متعددة كالفلاحة، والحياكة، والخياطة، والبناء والتوليد، والمداواة[٢]، كما عرف العرب مهنة التعدين، وأكثر من عملوا فيها كانوا من الموالي والعبيد، وكان لهم دورهم في تطورها، حيث اعتمد عليهم العرب كل الاعتماد إما لجهلهم بها أو لترفعهم عنها[٣]، وإلى جوار أولئك الموالي والعبيد فقد عملت طائفة أخرى من الحرفيين من اليهود، والنصـــارى، والفرس، والأحباش، وهذا لا ينفي أن كثيرًا من العرب اســـتهووا حرفاً وعملوا فيها على اختلاف طبقاتهم[٤]، فقد كان أبو بكر الصـديق –رضـي الله عنه–(بزازاً)، وأبو طالب كان يبيع (العطر)، وسعد بن أبي وقاص –رضي الله عنه–كان (يُبري النبل)، والزبير بن العوام –رضـي الله عنه–كان (جزاراً)، والوليد بن المغيرة كان (حداداً)[٥]، وهم من أشـراف قريش ومن أصحاب الحسب والنسب حتى أصبحت الحِرفة صناعة قائمة بذاتها قبل الإسلام، وانفصلت عن الزراعة بعد أن كانت جزءًا منها، كل منهما يقوم على الآخر، حيث حقق المشـتغلون فيها إلى جوار إنتاجهم فائضًـا مكنهم من تصـديره أو بيعه في أسـواق خاصـة بهم، فانفتح العرب على هذا التطورات الجديدة[٦]، مع التأكيد أن الحرفتين (الزراعة والصناعة) وخاصة اليدوية، مهنتان تكملان بعضهما البعض في المجتمع العربي القديم[٧].

(١) للحق، لم يكن العرب فقط من يزدري الحرف، فقد كانت أغلبية شعوب العالم تمتلك نفس النظرة للصناعات والقائمين عليها، (فاليونان والرومان) مثلاً، كانت الحرف عندهم قذرة لا توكل سوى لعبيدهم فقط، أما البقية فيتدرجون ما بين: سياسي، وقاضي، أو فيلسوف أو قائد وما شابهها، (وبالإمكان) أن يتولى أحدهم حرفة (الهندسة)، (بشرط): أن يُقيم تحته عدداً كافياً من العبيد يُكلفهم بالمهام القذرة. هنري هودجز، التقنية في العالم القديم، ترجمة: رندة قاقيش؛ مراجعة: محمود أبو طالب، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٥م، ص٢٤٦-٢٤٨.

(٢) ابن خلدون، تاريخه، ٥٠٨/١.

(٣) محمود مقداد، الموالي، ص٨٠.

(٤) أحمد الشريف، مكة والمدينة، ص١٨٨.

(٥) الدينوري، المعارف، ص٥٧٥.

(٦) حسين مروة، النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، (د ط)، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٨م، ١٩٧/١.

(٧) برهان الدين دلو، جزيرة العرب، ص١٠٣.

وقد ساعد على نمو الحرف بين العرب في هذه الفترة عدة عوامل، منها[١]:

أ- التوفر النسبي في الخامات والمواد اللازمة كالحديد والذهب وغيرها.

ب- توفر الأيدي العاملة.

ج- نمو القطاع الزراعي.

د- ازدهار التجارة.

والحرف من المهن الوراثية غالبًا، التي ينتقل تعليمها من الآباء إلى الأبناء، حيث قد تنحصر في عائلة مُخصصة، يحتفظون بأسرار مهنتهم فيما بينهم، وبالأخصّ إذا كانت هذه الحرف نادرة أو مُربحة تُدر الكثير[٢]، كما أن هذه المهن تحتاج إلى الدقة والمهارة وثبات اليد وهذا شرط للتَميز لضمان عدم حصول المنافسة التي قد تُنقص من أرباح صنعتهم كثيرًا، وبسبب تلك المنافسات ذهب بعضهم أن كتم خبرته حتى عن أقرب الناس إليه خوفاً من تسرب هذه المعرفة للخارج، بل أن بعضهم كان لا يبدأ بتعليم أبنائه إلا إذا أحسَّ بدنو أجله[٣].

ومع كل هذا الحرص كان أصحاب الحرف يُنظمون أنفسهم فيما يشبه (النقابات) الحرفية، حيث وجدت أسواق خاصة بكل حرفة، يجتمعون فيها لعرض حاجاتهم وخاصة في مكة ويثرب، ويتولى زعامتها أبرزهم، كما كان عليهم حماية بعضهم البعض من وقوع أي سوء وبالأخصّ أصحاب الحرف المحفوفة بالمخاطر[٤].

أما أجور العمال فقد كانت أجوراً يومية، وقد تُدفع لهم أجورٌ مقطوعة عن بعض الأعمال المعينة، وبالنسبة (للرقيق) فلا يُدفع لهم في العادة شيئًا سوى ما يقدمه لهم مالكهم من طعام

(١) محمد عمر الشاهين، تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، ط١، دار الفكر، عمان، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص١٣٨.

(٢) عبد المعطي محمد عبد المعطي سمسم، "المنظور الاجتماعي والاقتصادي للحرف والصناعات بمكة قبيل البعثة من خلال كتاب الفاكهي"، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، ع٢٦، جامعة بابل، العراق، نيسان ٢٠١٦م، ص٧٢.

(٣) جواد علي، المفصل، ٢٣٣/١٤.

(٤) جواد علي، المفصل، ٢٣٤/١٤.

وشـراب أو مسـكن، وكان عليهم في مقابل تلك الأشـياء (الأسـاسـية) القيام بكل ما يَأمرهم به أسيادهم(١).

ومن أشهر الحرف التي عرفها العرب في العصر الجاهلي:

أولاً: التعدين.

كانت حاجة الإنسان إلى المعادن ضرورة لا غنى عنها، وخاصة لصناعة الأسلحة، وأدوات الحرث، أو في اسـتعمالاته اليومية، مما دفعه لاسـتخراجها، ومعادن الجزيرة التي أُسـتخرجت ذلك الوقت ليست مَعروفة تماماً إذ أنه لا يمكن الجزم أن أرض العرب كانت غنية أو فقيرة بالمعادن وذلك لاحتمالية نضـوب هذه الموارد المعْدنية، كما أن كُبر مسـاحة جزيرة العرب حالت دون التعمق والبحث فيها، وتذكر بعض المصادر تواجد خام الذهب بنَجْد وبالأخصّ (اليمامة) و(ديار ربيعة)، حيث وجد في مناطق كثيرة متفرقة من وسـط الجزيرة العربية وغربها، وفي معْدن الضـبيب، والثنية، وعوسجة، والعقيق، وبيشة، والهجيرة، والأشهر ما كان في (بني سليم)(٢).

أما الفضة والنحاس: فتواجد في معْدن شمام، كما تواجد في مناطق من تِهامة(٣).

وقد عمل بعض العرب في نقب مناجم الذهب والفضة والحديد، وتُشير الدراسات الحديثة إلى بعض المعثورات التي تتضـمن بعض الأدوات المسـتخدمة في إذابة المعادن بهدف اسـتخلاصـه من المواد الشـائبة العالقة فيه، كما كانوا يضـعون خام الحديد المسـتخرج من المنجم في نقر(٤)، ومعها الخشـب والأغصان لإيقاد نار كافية تكفي لإذابته وتخليصه من المواد العالقة به(٥).

---

(١) جواد علي، المفصل، ١٤/٢٣٤.

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص١٥٣؛ جواد علي، المفصل، ١٤/٢٠١؛ لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور، ص٣٣٥ وما بعدها.

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص١٥٥.

(٤) (النقر): النقر هو الحفرة في الأرض، ومنها الأخاديد وغيرها. الفراهيدي، العين، ٤/١٣١.

(٥) جواد علي، المفصل، ١٤/٢٥٦؛ واضح الصمد، الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م، ص١١١.

ثانيًا: الحِدادة.

عندما عرف الإنسان المعادن، حثه فضوله لمعرفة ودراسة ماهيتها وأهميتها، ثم لم يلبث أن استخرجها وسخرها فيما استطاع من أمور حياته المنزلية والزراعية والحربية، فظهرت عدة حِرف قامت على التعدين منها الحِدادة(١).

والحِدادة: مهنة قائمة على معالجة الحديد(٢)، والحدَّاد: هو "كُل من عالج صناعته بالنار"(٣)، فهو المشتغل بالحِدادة، فبعد أن استخرج العرب معْدن الحديد عَملوا على استغلاله، حيث قاموا بمعالجته بطُرق خاصة لتنقيته ليصبح قابل للتشكل، حيث يستعمل (الأتون)(٤) في إذابة هذه المعادن وتنقيته لتحويله للشكل المطلوب، حيث يتم إيقاده حتى يذوب الحديد ويتحول إلى سائل يتم تسريبه من فتحه تقع في جانبه، ثم يحول للصيغة النهائية المرادة منه، أما الدخان فيخرج من فتحة في نهاية موقد النار، والتي يكون الهدف منها تهوية الموقد في الوقت نفسه(٥)، ثم يعالج لأكثر من مره إذا كان (الحدَّاد) بحاجة لاستخدام الحديد النقي الصافي في صنعه (للسيوف)(٦)، فالمعْدن إذا يتم تعريضه للحرارة حتى يذوب، ثم يتم تبريده بالماء حتى يتم استخلاص القطعة المطلوبة لصناعة أسلحتهم وآلاتهم(٧)، كما عرفوا أيضًا خلط المعادن في سبيل استخدامها في طرق شتى، فخلطوا بين معْدنين كالفضة والرصاص وغير ذلك(٨).

---

(١) واضح الصمد، الصناعات، ص١٠٥.

(٢) الهروي، تهذيب اللغة، ٣/٢٧٠.

(٣) ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٤/٤٥٨.

(٤) (الأتون): هو الموضع الذي يعمل فيه الآجر أو الخزف. ابن دُريد، جمهرة اللغة، ٢/١٠٣٣.

(٥) جواد علي، المفصل، ١٤/٢٥٦.

(٦) جواد علي، المفصل، ١٤/٢٥٦.

(٧) جواد علي، المفصل، ١٤/٢٥٨.

(٨) جواد علي، المفصل، ١٤/٢٥٧.

ويُعد الحديد أكثر المعادن فائدة للعرب، وأقلها ثمناً، وهو ذو فائدة قصوى في تلك المهنة وفي غيرها من المهن أيضًا، حتى قيل فيه: "إنه ما من صنعة إلا وللحديد في أدواتها مدخل"(١).

ويشير المقريزي أن أول من استعمل الحديد من العرب هو (الهالك بن أسد بن خزيمة) من بني أسد، فأطلقت العرب على بني أسد بـــ(القيون)(٢)، وقد اتسعت تلك الحِرفة بين العرب في العصر الجاهلي لحاجتهم للسلاح الذي بات ضرورة من ضروريات حياتهم، فانتشرت مهنة (الحِدادة) التي تؤمن لهم حاجتهم من تلك المصنوعات وخاصة أسلحتهم، كما وفرت للمزارعين أدواتهم(٣)، إلا أن تلك الحِرفة كانت أكثر انتشاراً بين اليهود وخاصة في يثرب فكانوا أكثر من عمل بها(٤) حيث لعبت حرفة الحِدادة دوراً في تاريخ العرب قبيل البعثة، عندما كان لليهود الدور الأبرز لصنعهم شتى أنواع الأسلحة التي كانت تعود إليهم بأرباح كبيرة، والتي احتاجها العرب في معاركهم(٥).

ثالثًا: النِّجارة.

النِّجارة مهنة تحتاج إلى دقة وهندسة كبيرة، قوامها: العمل على الخشب ونحته، ويُسمى مُمتهنها: (بالنَّجار)(٦)، والنِّجارة من المهن المهمة والضرورية عند العرب للقيام بالأعمال الخشبية التي احتاجوها في أمور شتى في حياتهم، حيث وفرت هذه المهنة متطلبات أساسية للبدو كالأعمدة والهوادج لظعنهم، كما خدمت هذه المهنة حروبهم بأن وفرت لهم أسلحة شتى كالرِّماح والقسي والسهام، وأما الحضر

(١) المقريزي (أحمد بن علي بن عبد القادر)، رسائل المقريزي، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٩هـ، ص٢٢٢.

(٢) الدينوري (أبي محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة)، الجراثيم، تحقيق: محمد جاسم الحميدي؛ تقديم: مسعود بوبو، (د ط)، وزارة الثقافة، دمشق، ١٤٧/٢.

(٣) جواد علي، المفصل، ٢٤٢/١٤.

(٤) واضح الصمد، الصناعات، ص١١٣-١١٤.

(٥) جواد علي، المفصل، ٢٤٣/١٤.

(٦) ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده)، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ١٦١/٣.

فاحتاجوا إليها لسقف بيوتهم وإغلاق أبوابهم وصنع الكراسي، كما أُستخدمت هذه المهنة لتشييد المراكب البحرية، وكانت النِّجارة تتم بالعمل على قطع من الأخشاب صغيرة الحجم، أو الألواح الخشبية، ثم يتم تركيبها وتشكيلها بالصور المطلوبة(١).

رابعاً: الدباغة.

تقوم هذه المهنة على إصلاح الجلد وتهيئته بطريقة معينة ليتم الاستفادة منه(٢)، وقد اكتسبت حرفة (الدباغة) أهمية خاصة عند العرب لكونها تُؤمن صناعات متنوعة تُهم حياة العرب العامة والحربية كالخيام، والسروج، والملابس وحاويات الماء وغير ذلك(٣).

وقد اشتهرت مناطق بتلك الصناعات ومنها (جرش) ومواضع متعددة في اليمن وجنوب الجزيرة العربية ومكة المكرمة، كذلك: (الطائف) التي اشتهرت بنوع من الجلود تُسمى بـ(الجلود الطائفية المعروكة)(٤)، وكانت تتم عملية الدباغة بأن يتم تجفيف عُشبة تُدعى (العلقة)(٥) ثم يتم طحنها ووضعها في ماء حيث يُنقع الجلد فيها حتى يلين، وحينها يكون بالاستطاعة تنظيفه من الأشياء العالقة فيه من لحم أو شعر، وبعد تلك العملية يتم طرح الجلد في (الدبّاغ)، وربما أُضيف في تلك المرحلة لها بعض المواد من شجر (الشرجبان)(٦)، للحفاظ على الجلد ومنعه من التلف، وقد كره بعض العرب العمل في الدباغة لما ينتج عنها من (روائح كريهة) لا يطيقها الكثير(٧).

---

(١) ابن خلدون، تاريخه، ١/٥١٤-٥١٥.

(٢) جواد علي، المفصل، ١٤/٢٧٥.

(٣) روبرت هيلند، تاريخ العرب في جزيرة العرب، ص٢٣٠.

(٤) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص١٢٠.

(٥) (العلقة): شجر يبقى في الشتاء تأكل منه الإبل حتى يأتي الربيع. ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ١/٢١٣.

(٦) ابن سيده، المخصص، ١/٤٠٦. (الشرجبان): نبات يشبه الباذنجان غير أنه أبيض ولا يؤكل. ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ٧/٥٨٠.

(٧) جواد علي، المفصل، ١٤/٢٧٥.

خامسًا: الخرازة.

(الخرازة) حرفة قائمة على ما تنتجه الدباغة من جلود، و(الخرّاز) هو ممتهنها، ويتم في هذه المهنة تشكيل الجلود، بصنع خرزات أو ثقوب توثّق إلى بعضها البعض[١] باستخدام أدوات مختلفة كـ(المخراش) وهي آلة يستخدمها الخراز لخياطة الجلد[٢].

وتقوم هذه المهنة على توفير الكثير من المواد اللازمة والمهمة في حياة العرب كالأحذية من (خُف) وما شابهه[٣]، والرحل، والسُرج وغيرها[٤].

سادساً: الحياكة والخياطة.

وهي من المهن الضـــرورية التي ارتبطت ببعضـــها البعض فلا غنى للأولى عن الأخرى[٥]، فـــ(الحياكة) قائمة على نسج الغزل من الصوف والكتان والقطن، ثم شد هذا الغزل بإحكام حتى يتشكل، أما (الخياطة) فتقوم على تقدير المنسوجات على اختلاف الأشكال والمقاسات، وذلك باستخدام أدوات الخياطة (كالمِقراض) – المقص- حيث تُخاط إلى بعضـــها البعض بإحكام على حسب الحاجة والطلب، وقد ارتبطت هذه المهنة بالحاضرة، أما البدو فكانوا يكتفون بارتدائها[٦].

وقد نشطت هذه المهنة وازدهرت في الفترة الأخيرة من العصر الجاهلي تلبيةً لحاجات العرب المتنامية، وساهم في ازدهارها ما أُدخل على هذه المهنة من تقنيات ساعدت في تحسين جودتها، وبالأخصّ تلك المنسوجات القادمة من (اليمن ونجران)[٧].

---

(١) الهروي، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، ص٢٠٧؛ الفارابي، الصحاح، ٨٧٦/٣.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، ١٧٥/١٧.

(٣) الفارابي، الصحاح، ٨٧٦/٣.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ٢٧٣/٧.

(٥) عبد المعطي سمسم، المنظور الاجتماعي، ص٨٠.

(٦) الفارابي، الصحاح، ١٠٥٤/٣؛ ابن خلدون، تاريخه، ٥١٦/١-٥١٧.

(٧) برهان الدين دلو، جزيرة العرب، ص١١٠.

سابعاً: المداواة.

لم يكن العرب يعرفون من المداواة والتطبيب إلا البسيط منه، تبعاً لبساطة حياتهم، حيث كانوا يستخدمون غالبًا الرقى والتمائم ظناً بمقدرتها على الحفظ والعناية، كما استخدموا بعض النباتات والمنتجات الحيوانية لتخفيف أعراض المرض أو الوقاية منه، كما عرف العرب لمخالطتهم الدائمة لمواشيهم الأمراض التي تصيب أنعامهم، فساهموا في الوقاية أيضًا منها ومداواتها بما تيسر لهم من معرفة(١)، أما في المعارك فعرفوا عدة طرق بسيطة استخدموها لمداواة جرحاهم، ومنها:

أ- الحِجامة:

وهي عملية يتم فيها إخراج الدم الفاسد من الجسد، عن طريق شرط الجلد باستخدام (المشرط)، ثم وضع آلة مخصصة ليجتمع فيها دم الحِجامة عن طريق المصّ(٢).

ب- الفصد:

وهي عملية يلجأ إليها المجروح إذا ما احتقن الدم الفاسد بداخله، حيث يُستهدف عرق في جسم الإنسان، فيفصد –أي يعصر منه الدم لينزف ويخرج–، وإذا ما تكرر الأمر وفُصد من نفس المكان أخذ الجسد في الاعتياد على تلك العملية فيخرج الدم بعدها بشكل أسرع إذا ما قورن ببقية الأعصاب، ويُسمي هذا العرق (بالضاري)(٣).

ج- التكميد:

وهي عبارة عن حجارة أو ثوب تُسخن على النار، ثم توضع على بعض الأعضاء التي تشتكي من الوجع أو التورم، فتساعد تلك العملية في تخفيف الآلام وتسبب الراحة للمشتكي(٤).

---

(١) برهان الدين دلو، جزيرة العرب، ص٣٢٧-٣٢٩.

(٢) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ٣٤٧/١.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ٤٨٤/١٤.

(٤) الهروي، تهذيب اللغة، ٧٦/١٠.

د- الكيّ:

ويتم عن طريق تسخين قطعة حديدية مُخصصة تُسمى (الرضفة أو المكواة)، ثم يتم كي الجرح النازف مباشرة إلى أن يتوقف الدم(١).

وقد كان للعرب بعض الخبرات الطبية في تعاملهم مع المرضى، كما في تعاملهم مع الرجل (المأموم): وهو المصاب بشدة في رأسه، حيث كان يُحرم من الماء لأنه في حالته كالسم الزعاف، ففي (يوم النفروات)(٢) عندما أصيب (زهير بن جذيمة) في رأسه؛ مَنع أبناؤه عنه الماء حتى بلغ منه العطش مبلغاً كبيراً، فأخذ يستجدي أبناءه الشربة، ويقنعهم أنه إن لم يمت بجرحه مات عطشاً، فسقوه فمات بعد ثلاثة أيام(٣).

ومن الأهمية بمكان الإشارة لدور النساء في المداواة، حيث يقمن في الحروب التي يشاركن فيها بما شابه (التمريض)، فيقمن بسحب الجرحى من المعركة، ومداواتهم، وحمل القرب لسُقيا الناس(٤).

ثامناً: العطارة.

العطارة مهنة قديمة معروفة، يطلق على صاحبها (العطَّار) لتعاطيه العطر فيصنعه ويبيعه، وقد استخدم العطَّار أيضًا مهنته في مداواة الناس وتطبيبهم، حيث كان يحمل بعض من آلاته الخاصة لهذا الغرض ويقوم بلفها في خريطة من أدم تُسمى (القفدان)(٥).

---

(١) الهروي، الزاهر، ص٢٥٢؛ ابن سيده، المخصص، ٤٩٢/١.

(٢) (يوم النفراوات): يوم لعامر على عبس، والنفراوات: موضع في بلاد غطفان. انظر الهامش: محمد أحمد مولى جاد المولى بك وآخرون، أيام العرب، ص٢٣٥.

(٣) ابن المثنى، أيام العرب، ٦٠/٢.

(٤) صحيح البخاري، ٣٣/٤ وما بعدها.

(٥) جواد علي، المفصل، ٢٥٨/١٤.

ومن الدهن والعطور التي أنتجها العرب واستخدمها (العنبر) والذي كان أجوده (العنبر الشحري)، وهو ما كان يقذفه البحر الهندي على سواحل الشحر باليمن(١)، كما كان لمكة شهرتها بالعطور العربية(٢).

وقد عرف العرب صناعة الطيب من مواد عطرية مختلفة، فهناك ما يخلط بالماء ويستعمل للرش، ومنها ما يبقى على حاله فيدهن ويُسمح به، وكان يستخدمه الخاصة والعامة على السواء، كما عرفوا نوع من الطيب الخاص بالمعابد والأماكن المقدسة، حيث كان يصنع من القرفة العطرة والمر، والسليخة، وربما أضافوا إليه زيت الزيتون(٣).

وقد كان بعض العرب يصنعون نوع من العطور على هيئة مُعجونات، حيث يتم صنعها بتجميع أجزاء من الطيب على مقادير مختلفة ويستخرجوا منها أنواع من الطيوب ومنها: الخلوق، اللخلخة، الشاهرية، المطري، العطن، الغالية، الذرير(٤).

وقد دخلت العطور في أحلاف العرب، فبعض بطون قريش عندما اشتدت البغضاء بين بعض بطونها، وسعى كل جانب للتحالف ضد الآخر، عقدوا أحلافهم، حيث لعب الطيب دوراً في رمز ذلك التحالف كحلف (المطيبين)، عندما قاموا بإخراج جفنة مملوءة طيباً، ووضعوها في البيت الحرام، ثم غمسوا أيديهم فيها وتعاهدوا وتعاقدوا، ثم "مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم" فسموا (بالمطيبين)(٥).

---

(١) اليعقوبي (أحمد بن إسحاق أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح)، البلدان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢، ص٢١٠.

(٢) باتريشا كرون، تجارة مكة وظهور الإسلام، ترجمة: آمال محمد الروبي؛ مراجعة: محمد إبراهيم بكر، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص١٧٠.

(٣) محمود عرفة، العرب قبل الإسلام أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حضارتهم، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٥م، ص٢٣٣.

(٤) العسكري، الأوائل، ص٢٣٩؛ العسكري، التلخيص في معرفة الأشياء، ص١٩٦.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤١٢/١.

وكذلك نَجدهم يضربون المثل بعطر (منشم)، وهي امرأة قيل: إنها كانت تبيع العطر والحنوط، فكان القوم إذا تحاربوا قالوا: قد دُق بينهم عطر منشـــم، أي (طيب الموتى)، وقيل بل هي عطارة: كان الناس إذا أرادوا الحرب غمسوا أيديهم في طيبها ثم تحالفوا على الشدة في الحرب وعدم الهرب، فكانوا يدخلون الحرب بهذا العطر(١).

تاسعًا: البناء.

عرف الجاهليون البناء والعمارة، واســتعملوا مناطق الحجارة الجيدة إضــافة إلى مواد أخرى كاللَّبِن (الآجِر)، والنورة(٢)،حيث شـيدوا منازلهم وآطامهم وحصـونهم، وربما اسـتعان العرب بحرفيين بناء لتشييد أبنيتهم(٣).

(١) الدينوري، المعاني الكبير، ٢/٨٨٠؛ الدينوري، المعارف، ص٦١٣.

(٢) عبد المعطي سمسم، المنظور الاجتماعي، ص٨٣-٨٤.

(٣) يحيى الجبور، الجاهلية، ص٨٠.

المبحث الثاني

الصناعـات والمنتجـات المحليـة

حظيت صناعة الأسلحة عند العرب في العصر الجاهلي بأهمية كبيرة، ولما كانت الحرب نمطًا سائدًا بين العرب، سعوا لتوفير العدة والعتاد للقيام بها، وكانت (الأسلحة) من لوازم الحرب، فكلما كان رجالهم مدججين بها، ماهرين في استخدامها، كان مقياس الغلبة إليهم أقرب، وتزداد أهمية السلاح كلما انتقل من سلف لسلف، حيث يذكر أن امرأ القيس بن حجر كان لديه خمسة أدرع تسمى: الفضفاضة، الضافية، المحصنة، الخربق، أم الذيول، وكان بني حجر آكل المرار يتوارثونها مَلكًا عن مَلك[١].

ولأن السلاح عند العرب ثمين ومهم لهم، وذو قيمة عالية، فقد فادوا به واستخدموه لعقد أحلافهم[٢].

وقد تعددت أسلحة العرب وتنوعت، وخُصت لها كُتب كثيرة تحوي أسماءها وأسماء أجزائها، ومن أهم الأسلحة المستخدمة عند العرب:

أولاً: السيوف.

(السيف) أشرف أسلحة العرب وأكثرها بلاء في حربهم، وقد حظي بأهمية بالغة في حياتهم فحافظوا عليه حتى لا يكاد يفارقهم، وهو أكثر أسلحة العرب شُهرة[٣] وهوادة، وهو أداة الكرم والجود عندهم كونها الأداة المستخدمة للذبح وإطعام الضيف وإكرامه، كما أنه السلاح (الرئيس) في حروبهم، حيث إنه من الأسلحة التي تحتاج إلى مهارة خاصة وتعلم مُتقن، فلم يحمله إلا قادر

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ٩/٧٠.

(٢) ذكر أن كسرى لما منع (تميم) من دخول ريف العراق للمرعى سار (حاجب بن زرارة) إليه، وعرض عليه أن يرهن (قوسه) على الا تُغير تميم على أراضيه، فقبل بذلك كسرى ورهنها منه. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١/٢٨٧.

(٣) عبد الرؤوف عون، الفن الحربي في صدر الإسلام، (د ط)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١م، ص١٤٨.

وفارس، وذلك لما ترتب عليه من وجوب مواجهة العدو وجهًا لوجه، كما تكمن فائدته في كونه سلاحًا للهجوم والدفاع، وكان يصنع بحدٍّ أو حدين(١).

ومن السيوف التي أنتجها العرب واستخدموها في حروبهم واشتهرت عندهم(٢):

أ- السيف (الرقيق): حيث يعد الأفضل من غيره لأنه يُصنع من معْدن صلب قد يكون (الفولاذ)، مما يدلل على مدى تقدم العرب في صناعتهم لو صح ذلك(٣).

ب- (المشرفي): وينسب إلى قرية مشرف باليمن(٤).

ج-(السريجية): وينسب إلى رجل من بني أسد يدعى (سريج)(٥).

د- (القلعي): ينسب إلى مكان يدعى (قلعة)(٦).

وقد نُقل عن العرب في العصر الجاهلي أنهم كانوا يُحلون سيوفهم بالرسوم والنقوش المختلفة، إما بمعْدن النحاس أو الفضة أو غيرها من النفائس(٧).

وقد كانت السيوف السلاح الأنسب للمبارزة والتباري لتوفره عند الجميع وعند الحاجة، حيث يذكر أن وفداً من تميم ومن بكر كانوا بحضرة كسرى، فتفاخرا فيما بينهما، وطلبوا من كسرى أن يعطيهما سيفين ليتبارزا ليعلم أيهم الأفضل، فأمر بسيفين من العود فنُحتا ثم طُليت بالفضة فأعطيت لهما وبقيا يتبارزان بها فترة طويلة من النهار حتى فَرق بينهما كسرى، فتواعدا على العداوة وعلى توريثها لأبنائهم أجيالا طويلة، حتى لا ينسون نزاعهم قط(٨).

---

(١) واضح الصمد، الصناعات، ص١٢١؛ ربرت هيلند، تاريخ العرب، ص٢٢٣.

(٢) انظر: (الشكل رقم ١).

(٣) واضح الصمد، الصناعات، ص١٣٢.

(٤) ابن رشيق، العمدة، ٢٣٢/٢.

(٥) ابن رشيق، العمدة، ٢٣٢/٢.

(٦) ابن سيده، المخصص، ١٩/٢.

(٧) عبد الرؤوف عون، الفن الحربي، ص١٥٢.

(٨) الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة)، عيون الأخبار، (د ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، ٢٨١/١.

كما كانت السيوف بالتأكيد من خير المغانم عند العرب، ومن الأسلحة الأخرى النادرة التي يحوزونها في حروبهم، تخص فقط للسـادة والزعماء، حيث يذكر أن (حذيفة بن بدر) عندما علم بمكان تواجد (مالك بن زهير) أرسل إليه من يقتله، ولما قتلوه عادوا بعد أن سلبوه سيفه، فاصطفاه (حذيفة بن بدر) لنفسه(١).

كما كانت بعض السيوف تحمل نقوشًا ورسومًا تدل على حاملها، فيعرف بها الرجل من له ثأر عنده، إما لكونها منقوش عليها أو من وصفها الذي اشتهرت به، أو شهر باسم صاحبه في الأسواق بغرض بيعه، وعادة ما يكون نكالا لحامله، فعندما قام (ابن خمس التغلبي) بقتل (الحارث بن ظالم)(٢) أخذ سيفه وسار به إلى سوق عكاظ، فجعل يعرضه للبيع ويقول "هذا سيف الحارث بن ظالم"، فأتاه رجل وطلب منه أن يتفحصه، فلما أعطاه إياه قتله كما قتل ابن خمس به الحارث، في الحرم وفي الأشهر الحرم، وقال يرثي الحارث(٣):

ما قصرت من حاضن ستر بيتها أبر وأوفى منك حار بن ظالم

أعزّ وأحمى عند جار وذمة وأضرب في كاب النقع قاتم

ثانيًا: الرِّماح.

من الأسلحة المستخدمة للطعن(٤)، وكان يُستخدم في صناعته أخشاب شجر (الوشيجة)(٥)، وكذلك صُنعت من شجر (المران)، وقد تُصنع (أسنتها) من قرون البقر(٦).

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ١٤١/١٧.

(٢) (الحارث بن ظالم): بن جذيمة بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف، ويضرب فيه المثل في الفتك والوفاء. انظر: ابن حبيب، المحبر، ص١٩٢.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ٨٣/١١.

(٤) واضح الصمد، الصناعات، ص١٣٣. انظر: (شكل رقم ٢).

(٥) ابن سيده، المخصص، ٢١/٢.

(٦) الجاحظ (عمرو بن بحر بن محبوب الكناني) ت٢٥٥هـ، البيان والتبيين، (د ط)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ، ١٢/٣.

وقد عرف العرب عدة أنواع من الرِّماح، منها (القُصيّر) الذي يُستخدم غالبًا لصيد الحيوانات، وهناك رمح (طويل) لدرجة الاهتزاز، ومنها الرِّماح المقوّمة والمعوجّة، والاستقامة والاعوجاج تكون عادة في الحديدة المثبتة على رأس الرمح والتي تسمى (الثقاف)(١).

ويعد الرمح أكثر الأدوات الحربية ذِكراً في الشِّعر العربي(٢)، يقول الأفوه الأودي واصفاً إحدى غاراتهم(٣):

وبروضةِ السَّلّان منا مشهدٌ والخيل شاحِية وقد عظُم الثبى

تحمي الجماجمَ والأكفَّ سيوفُنا ورماحنا بالطعن تنتظم الكُلى

و(الرِّماح القُصيّرة) كان يحملها الخيَّالة، أما (الرِّماح الطويلة) فاستخدمها للراجلين الذين يمشون زحفًا بلا خيول أو مطيَّة، وكان العرب يفخرون بطول رماحهم لأنها تدل على شدة الفارس وقوة يده(٤)، كما تميزت بفاعليتها عند الإصابة من بعد، لذا سُخرت للاستخدام في حالتين:

عند الخوف من قوة العدو وبطشة، حيث تُرمى من بعيد ولا يُطعن بها، أو عند مطاردة الهاربين حيث قد تكون المسافة بينهما بعيدة قليلاً، ويكون (المطارد) يخشى فوت عدوه، فيستهدفه بذلك الرمح فإما أن يرديه أو يُعطِّله(٥).

أما عن طريقة حمل الرمح، فغالبًا ما استخدمه الفرسان (بالاعتقال): وهو أسلوب خاص بهم، حيث يجعل الراكب رمحه ما بين دابته وساقه، بحيث يكون نصل الرمح موجهًا لأعلى(٦)، وقد

(١) ابن سيده، المخصص، ٢٢/٢-٢٣. أقدم رمح عُثر عليه في جزيرة العرب يعود للألف الثالث ق.م، حيث كان في بداياته يُستعمل للطعن أو يُحذف به كالقذيفة، غير أن أهميته زادت عندما استخدم العرب الأحصنة، وذلك لسهولة استخدامه من عليها. ربرت هيلند، تاريخ العرب في جزيرة العرب، ص٢٢٢.

(٢) ربرت هيلند، تاريخ العرب، ص٢٢٢.

(٣) ديوان الأفوه الأودي، ص٥٣.

(٤) الجاحظ، البيان والتبيين، ١٢/٣.

(٥) عبد الرؤوف عون، الفن الحربي، ص١٤٥.

(٦) عبد الرؤوف عون، الفن الحربي، ص١٤٧.

نقل العرب معرفتهم (بالرِّماح القُصيّرة) من (الأحابيش والنوبة)، والذين اشتهروا بمهارتهم ودقتهم في القذف بها[١]، ومن أشهر الرِّماح التي وصفها العرب وعرفها عرب العصر الجاهلي:

١- (السمهرية): نسبة إلى رجل يُدعى (سمهر)[٢].

٢- (الرُّدينية): نسبة إلى (رُدينة) وهي: امرأة كانت تبيع الرِّماح[٣].

٣- (اليزنية): نسبة إلى (ذي يزن) ملك حِمْير[٤].

٤- (القعضبية): نسبة إلى صانعها وهو رجل يدعى (قعضب)[٥].

يقول امرؤ القيس بن حجر[٦]:

وأوتاده ماذية وعماده رُدينية فيها أسنَّة قعضب

وأطنابه أشطان خوصٍ نجائب وصهوته من أتحميّ مشرعب

كما اشتهرت البحرين (شرق الجزيرة العربية) بصنع نوع معين من الرِّماح يُسمى (الخطُّ)، حيث كان الخيزران يجلب له من الهند، فيقوم العرب بتجميعه وإكمال صنعه، وكانت السفن التي تحمل الخيزران تنزل في ميناء بالبحرين يُعرف بـ(الخطُّ)، ومنها تسمت تلك الرِّماح بـ(الخطِّ)[٧].

كما وجدت أنواع أخرى شابهت الرِّماح في شكلها مثل:

أ- (الآل): مفردتها (آلة)، وهي أصغر من الحربة، وتتميز بعُرض سنانها[٨].

ب- (العنزة): وهي على النصف من الرمح أو أكثر منه بقليل[٩].

---

(١) عبد الرؤوف عون، الفن الحربي، ص١٤٥-١٤٦.

(٢) ابن سلام (أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي)، السلاح، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط٢، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٢٠.

(٣) ابن سلام، السلاح، ص٢٠.

(٤) ابن سلام، السلاح، ص٢٠.

(٥) الفراهيدي، العين، ٢٨٦/٢.

(٦) ديوان امرؤ القيس، ص٥٣.

(٧) ابن سلام، غريب الحديث، ٣٠٩/٢؛ ابن سيده، المخصص، ٣٢/٢.

(٨) ابن سلام، السلاح، ص٢١.

(٩) الدينوري، الجراثيم، ١٤٧/٢.

ثالثًا: القسيّ (القوس) والسهام.

أ- القسيّ:

سلاح هجومي[١]، يُستخدم من قبل المشاة وراكبي الخيل[٢]، ويُسمي القوس عند العرب (بالذراع): لأنها بطول الذراع[٣]، وقيل إن أول من صنعها رجل يُدعى (ماسخة): وهو رجل من الأزد لذلك يقال للقسيّ أيضًا (ماسخية)[٤]، وقد صنعت (القسي) من أخشاب أشجار عدة، هي كالضال، والنبع، والشوحط، والسدر، والشريان، والسراء، والتين، والأشكل، والحماط، والتالب، والنشم[٥]، أما عن كيفية صنعه: فتتم بحني طرفَيْ القوس بقوة، ثم شد ما بينهما (بوتر) من الجلد أو من العصب الذي يكون في عنق البعير، وكانت القسيّ العربية تتميز بالصلابة وشِدة الجفاف، وعند الحرب كان الرامي يُمسك وسط قوسه بيده اليسرى، ثم يُثبت سهمه بوسط الوتر باليد اليمنى ويجذبه حتى يساوي مرفقه الأيمن بكتفه، وهو في أثناء ذلك يضع أمام ناظريه هدفه، فإذا بلغ الوتر نهايته أفلته من أصابعه منطلقاً بذلك نحو الهدف[٦].

ب- السهم:

هو أداة القوس والمكملة له، ومن أسمائه: السهم، والنشاب، والمنزع، والنبل، كلها تأتي بمعنى واحد ويتم تصنيعه بأشكال عدة منها:

١- المريخ: وهو سهم طويل له أربعة آذان[٧].

---

(١) انظر: (الشكل رقم ٢).

(٢) واضح الصمد، الصناعات، ص١٥٦.

(٣) ابن فارس، مقاييس اللغة، ٥/٤٠.لذلك اتخذ العرب القسي كوحدة لقياس الطول، قال تعالى: {فَكان قَابَ قَوْسَيْنِ أو أَدْنَىَ}. سورة النجم، آية ٩؛ انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ٥/٤٠.

(٤) ابن سلام، السلاح، ص٢١.

(٥) الألوسي، بلوغ الأرب، ٣/٣٥٥.

(٦) عبد الرؤوف عون، الفن الحربي، ص١٣٠.

(٧) الألوسي، بلوغ الأرب، ٣/٣٥٧.

٢- المعبلة والمشقص: وكلاهما أسهم عريضة النصل[١].

٣- المعراض: وهو سهم لا يحتوي على أي ريش ولا يُطلق إلا عرضًا[٢].

ويتم حفظ (الأسهم) في أوعية تُسمى: الجُعبة، والوفضة، والكِنانة، وأيضًا تحفظ في (القرن والجفير): وهما وعائان يختلفان عن السابقة في كون جانبيها مشقوق، وذلك لكي تصل الرياح إلى السهم فلا يتلف ريشه[٣].

وقد ارتبط القوس والسهام ببعض طقوس العرب الحربية ممثلاً ذلك: بطقس (التعقية).

التعقية:

يقال: عقَّ الرجل بسهمه إذا رمى به في السماء فارتفع[٤]، و(التعقية): هي سهم الاعتذار، وطريقة هذا الطقس وأصله: "أن يقتل الرجل رجلاً من نفس قبيلته، فيُطلب القاتل بدمه، فيجتمع جماعة من الرؤساء إلى أولياء المقتول بدية مكملة، ويسألونهم العفو وقبول الدِّية، فإن كان أولياؤه ذوي قوة أبَوْا ذلك، وإلا قالوا لهم: بيننا وبين خالقنا علامة للأمر والنهي، فيقول الآخرون: ما علامتكم؟ فيقولون: أن تأخذ سهماً فترمي به نحو السماء فإن رجع إلينا مُضَرَّجًا بالدم فقد نهينا عن أخذ الدِّية، وإن رجع كما صعد فقد أمرنا بأخذها".

ومن البديهي أن يعود السهم سالمًا، لكن تلك حجة اتخذها بعض الأشخاص الذين قد يُلامون على أخذها؛ إضافة لكونها طريقة ناجحة في خداع جُهَّال الناس[٥].

وعلى المرجَّح أن العرب لم يبرعوا في استعمال القوس كما برعوا في (السيف والرمح)، ولم يتوسعوا في هذا السلاح ويتقنوه إلا بعد اتصالهم بالفرس والروم بعدما لاقى منهم العرب أذىً

(١) الألوسي، بلوغ الأرب، ٣/٣٥٧.
(٢) الألوسي، بلوغ الأرب، ٣/٣٥٨.
(٣) الألوسي، بلوغ الأرب، ٣/٣٥٨.
(٤) الهروي، تهذيب اللغة، ٣/٢٠.
(٥) الألوسي، بلوغ الأرب، ٣/١٨-١٩.

كثيرًا[١]، وأيًا كانت المهارة التي اكتسبها العرب ممن جاورهم، فقد اشتهرت بعض القبائل وعرفت بمهارتها في استخدام القوس وبراعتها في الرمي، ومن هؤلاء (بني حميس بن عامر بن جهينة)، وقد قيل: إنهم "كانوا يرمون بالنبل رميًا سديدًا فسُمُّوا الحرقة لشدة قتالهم"[٢].

كما ورد في أيام العرب بعض الحروب والغارات التي استخدم فيها القوس، ومنها ما ذُكر أن تأبط شراً أعجز أعدائه في النيل منه لسرعته وحِدة ذكائه، وأنه أغار مع صحبه يوماً على بيت وقتل عجوزاً وشيخاً واستاق أنعامهم وجاريتين، وكانوا قد أبصروا غُلاماً قبل أن يهجموا عليهم فلم يجدوه حينها، فأخذوا في تتبع أثره، وكان الغلام قد لجأ إلى جهة صخرة وأخذ قوسه متربصاً إياهم، فلما دنا تأبط شراً منه أرسل الغلام سهمه إلى قلبه فاستقر فيه، فمات تأبط شراً بعدها بسبب ذلك السهم[٣].

رابعاً: الدروع.

الدرع تُعرف أيضًا (بالبدن) لأنها تضم البدن[٤]، وهي من أسلحة الدفاع التي جاء وصفها في الشِّعر الجاهلي، يقول امرؤ القيس واصفاً أحد أدرعه[٥]:

ومشـــدودة السَّـــك موضـــونة تضـــاءل في الـطـي كـالمـبِرد

---

(١) عبد الرؤوف عون، الفن الحربي، ص١٣٢. ليكون هنالك توضيح أكثر عن جذور معرفة العرب لهذا السلاح، سيُذكر هنا وصف (بروكوبيوس) لأقواس (الروم والفرس)، (فالفرس): كان أغلبهم يجيدون الرماية، فقد تعلموا إطلاق اسهمهم بسرعة أكبر من البقية، فأقواسهم تقوم بإرسال أسهمهم بإحكام وبشكل ضيق، غير أن أقصى الضرر الذي بإمكانها أن تصيبه هو: أن تحطم درعاً أو خوذة، بينما يسلم صاحبها، أما (الروم): فكانوا الأبطأ في الرماية، لكن بسبب أقواسهم وسهامهم القاسية للغاية، والمحكمة بشدة، إضافة لعامل الرجال الأشداء أضحت سهامهم مُدمرة، لا يستطيع أن يقف في وجهها أحد. كذلك:

Procopius, History of the wars, 1/169-171.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ١٤/٥.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ٢١/١٢٢.

(٤) ابن فارس، مقاييس اللغة، ١/٢١٢.

(٥) ديوان امرؤ القيس، ص١٨٧.

ونسبوا أن أول من صنعها ولبسها (داوود) عليه السلام، وقيل بل سليمان عليه السلام، كما نسبوها إلى (فرعون) و(تُبع) و(محرق)، وربما قيلت كُل هذه الأقاويل من باب قِدمها وجودتها، غير أن أكثرية عرب الجاهلية ينسبونها لـ(داوود) -عليه السلام- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾[١].

فالدرع من أدوات الحرب القديمة بقدم الحرب ذاتها، ولندرة معْدن الحديد في جزيرة العرب كانت الدروع ثمينة يندر الحصول عليها، لذا لم تكن متيسره سوى بين أيدي الميسورين، أما بقية (عامة) العرب فكانت أدرعهم تُصنع من جلود البقر[٢].

والدرع المصنوع من المعْدن: يكون قميصاً منسوجاً من حلقات حديدية رفيعة، حيث أُطلق عليها إذا كانت منسوجة بحلقة داخل حلقة: بـ(المفردة)، وإذا نُسجت حلقتان داخل حلقتين سُميت (مُضاعفة) أو (الموضونة)، وكانت توصل بمسامير تُسمى: (الغلائل)[٣]، وتثبت بإحكام بتلك المسامير مما يجعل الدرع مُحكماً منيعاً لا يُخترق[٤]، ولقد وصفها الحطيئة بقوله:

فيه الرِّماح وفيه كل سابغةٍ جدلاء مبهمة من نسج سلام

والدروع على نوعين:

أ- درع سابغة:

وهي التي تكون فضفاضة تُغطي البدن، كما أنها ذات أكمام طويلة تصل إلى الأصابع، ويُرفق معها (المغفر) الذي يغطي الوجه، وأيضًا (البيضة) التي تُغطي الرأس والقفا، وبهذا يكون مرتديها مُغموراً بالحديد، ولا يظهر منه سوى عينيه، وعادة مَن يرتدونها هم الزعماء والقادة، ومن

(١) سورة سبأ، آية ١٠.

(٢) عبد الرؤوف عون، الفن الحربي، ص١٧٧.

(٣) الدينوري، الجراثيم، ٢/١٥٨؛ عبد الرؤوف عون، الفن الحربي، ص١٧٨.

(٤) ابن رشيق، العمدة، ٢/٢٣٠-٢٣١؛ واضح الصمد، الصناعات، ص١٤٩؛ ربرت هيلند، تاريخ العرب، ص٢٢٤.

يُحرص على حياته، وكان من عيوبها أنها تعيق صـــاحبها عند المبارزة والحرب، فحلُّوا ذلك بوضـــع (نطاق)[١] من (جلد) يرفعها ويمنع إعاقتها[٢].

ب- الدرع البتراء:

هي درع قُصيرة بلا أكمام، يصل طولها إلى أسفل الركبة أو فوقها بقليل، وتُعتبر حمايتها أقل من سابقتها[٣].

ومن الأسلحة الداعمة للدرع:

١- (المِغفر): وهو نسيج من الدرع على قدر الرأس، ويُلبس تحت القلنسوة[٤].

٢- (البيضـة): هي الخوذة من الحديد أو الفولاذ، تُبطن ببعض المواد اللينة كالقطن وغيره، وتكون مستديرة على كُلِ الرأس[٥].

٣- (العلهاء): ثوبان، يُحشى فيهما وبر الإبل، ويلبسها المحارب تحت الدرع لتَقيه من الطعن[٦].

وتكمن أهمية الدرع في رفع عزيمة المحارب، وزيادة ثقته بنفســـه ليســـتطيع الحرب دون قلق مبالغ[٧]؛ إضافة لكونه يحفظ حياة الإنسان وأطرافه ما أمكن.

وكان العرب حريصـين على اقتنائها والحفاظ عليها وبالأخصّ لما قد يعتريها من (الصـدأ)، لذا عمدوا إلى حرق (البعر) –أي مخلفات حيواناتهم–، ثم قاموا بنثرها على دروعهم حتى لا تصـدأ وتسمى هذه العملية (بالكرة)[٨].

---

(١) (النطاق): هو حزام يصنع كالحبل يُشد به وسط الإنسان. الهروي، تهذيب اللغة، ٢٤/٩.

(٢) عبد الرؤوف عون، الفن الحربي، ص١٧٨.

(٣) عبد الرؤوف عون، الفن الحربي، ص١٧٩.

(٤) الدينوري، الجراثيم، ١٥٨/٢.

(٥) عبد الرؤوف عون، الفن الحربي، ص١٨٤.

(٦) ابن فارس، مقاييس اللغة، ١٠٢/١.

(٧) عبد الرؤوف عون، الفن الحربي، ص١٨٢.

(٨) ابن دُريد، جمهرة اللغة، ١٢٦/١.

ومما نقلته لنا أخبار العرب أن يكون للدرع دورٌ في الشـــحناء والبغضـــاء بينهم، فيذكر وقوع نوع من الشـــحناء بين (الربيع بن زياد) و(قيس بن زهير)، وذلك بعد أن أُعجب الربيع بجودة درع لقيس ســاومه عليه، غير أن قيس رفض بيعه، فخطفه الربيع وهو راكب على فرســه وركض به، ولم يعده لصـــاحبه، وبعد فترة من الزمن قابل قيس ظعنًا مُرتحلًا وكان فيهم (أم الربيع)، فاقتاد جملها يريد رهنها بالدرع حتى تُرد إليه، فنهرته أم الربيع وعيَّرته بفعلته حتى خلَّى ســـبيلها، غير أنه أغار على إبل قبيلتهم فازدادت الشـــحناء بينهم، وأدرك هدفه من إعادة الدرع[١].

خامسًا: الترس.

الترس من آلات الدفاع المهمة، الهدف منه: حماية المقاتل لنفسه من أسهم العدو وضرباتهم سـواء من: السـيوف، أو الرِّماح، أو السـهام، حيث كان لكل سـلاح نوع مُخصـص من التروس تُناسـبه[٢]، يُعرف الترس بأسماء منها: الجوب، الحجفة، المجن، الغرض، و(الدرقة) إذا كان مصـنوعاً من جلد[٣].

وهو من الأسلحة القديمة التي عرفها العرب واستخدموها إلى جانب السيوف، ويعد الترس المستدير أشهر أنواعها[٤].

سادساً: الخِنجر.

من الأسـلحة البسـيطة ذات الحجم الصـغير، يسـتطيع المحارب حمله في وسـطه أو من تحت ثوبه، ويستخدم في الحرب لغرض الطعن خِلسة إذا ما واجهه العدو وكان قريباً منه للغاية[٥]، وذلك هو مكمن خطره.

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ١٤٣/١٧.

(٢) عبد الرؤوف عون، الفن الحربي، ص١٨٦.

(٣) ابن دُريد، جمهرة اللغة، ٦٨/١.

(٤) عبد الرؤوف عون، الفن الحربي، ص١٨٦، ١٨٨.

(٥) عبد الرؤوف عون، الفن الحربي، ص١٥٤.

سابعاً: العمائم.

كانت تأخذ مقام الخوذ عند أغلب المحاربين في الجاهلية، حيث يقوم المحارب بارتدائها كُلما دخل معركة، وقد يميزها بريشــة، ولم تكن ذات لون واحد بل ما توفر منها، أما الخوذ المعدنية فالغالب أن العرب استخدموها على نطاق أضيق لغلاء أسعارها لكونها مصنوعة من معْدن[١].

(١) جواد علي، المفصل، ١٠/١٠٥.

الباب الثاني

أثر أيام العرب على الحياة الاقتصادية

الفصل الرابع

التجـــــــــارة

- المبحث الأول: التجارة الداخلية.
- المبحث الثاني: التجارة الخارجية.

المبحث الأول

التجـــارة الداخليـــــة

يتميز موقع الجزيرة العربية الجغرافي بكونه حلقة وصل بين قارات العالم القديم، ولذلك كانت ملتقى لمعظم الطرق العالمية المعروفة آنذاك (البرية والبحرية)، والتي ربطت بين المشـــرق والمغرب، أما عبر موانئها المنتشـرة على أطرافها البحرية الشـرقية والغربية والجنوبية، أو البرية عن طريق القوافل التي تنقلت ما بين موانئ بلاد العرب الجنوبية والأطراف الشـــمالية للجزيرة العربية ومنها نحو أوروبا عبر الحجاز(١).

أما عن طرق التجارة العربية القديمة فقد كانت كالتالي(٢):

أولاً: طريق القوافل البرية الطولي.

كان يمر بالموازاة من البحر الأحمر من أقصى جنوب شبه الجزيرة العربية الى المنطقة السورية، حيث يبدأ من منطقة الجوف؛ حيث قتبان في الركن الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية، وحضر موت الواقعة الى مشرقها، وسبأ من ناحية الشمال، ثم تنطلق الى مكة، ثم العلا، ثم مدين، ثم إلى أيله العقبة، ثم الى البتراء، ومن هنالك يتفرع منها طريقان: أحدهما يتجه الى تدمر في الشمال، والآخر الى الغرب مع ميل طفيف إلى الشمال الغربي حتى يصل إلى غزة، وقد زيد عليه لاحقا فرع ثالث يصل إلى أيلة وتدمر(٣).

---

(١) علي محمد معطي، تاريخ العرب الاقتصادي، ص١٨٦-١٨٧.

(٢) أنظر: (خريطة رقم ٦).

(٣) نجوى محمد محمد جميل إكرام، "النشاط التجاري عند المجتمعات العربية في شمال غرب شبه الجزيرة العربية في عصر ما قبل الإسلام-دراسة تاريخية وحضارية"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة أم القرى، ١٤٢٢هـ، ص٨٠-٨٢.

وكان يتفرع من البتراء أيضاً طريقان: أحدهما الى دمشق وأسيا الصغرى، والآخر من الحجر الى تيماء؛ ومنها عبر الصحراء الى بلاد ما بين النهرين والجوف الى وادي السرحان بسوريا(١).

ثانياً: طرق القوافل البرية العرضية.

١. يبدأ جنوبا من اليمن حتى تمنع، ولا يتصل هذا الطريق بأي من شواطئ المحيط الهندي أو الخليج العربي، ويغلب الظن أن الغرض منه كان فقط نقل قوافل القرفة(٢).
٢. طريق البخور بالقسم الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية؛ متجها شمالا الى جرها(٣) وسط الجزيرة العربية على الخليج العربي، فبعد تجمع القوافل المحملة بالطيوب والتوابل من سواحل حضر موت وقتبان وسبأ؛ تبدأ القوافل بالانتقال الى الشمال الشرقي الى الجوف، ومنها الى نجران، ثم الى الشمال الشرقي ماراً بوادي الدواسر عند الفاو، ومنها الى الأفلاج مروراً بالخرج شرقاً الى اليمامة ثم هجر، ومنها الى بلاد الرافدين ثم سوريا(٤).
٣. يبدأ من مكة، ثم يثرب، ثم الطريق من الشمال الى وادي الرافدين وبصرى، ويتفرع منه طريقان؛ أحدهما يصل إلى مصب الفرات ماراً ببريدة، والآخر يصل الى بابل(٥).
٤. يبدأ من مكة، ثم إلى اليمامة، الى موانئ الخليج العربي البحرية وجرها(٦).

(١) نجوى إكرام، النشاط التجاري، ص٨٢.
(٢) نجوى إكرام، النشاط التجاري، ٨٤-٨٥.
(٣) (جرها): هي مدينة قديمة على الخليج العربي، سيطرت بصورة شبه تامة على طرق القوافل الكبرى وعلى الساحل الغربي للخليج العربي، وتعرف اليوم بالعقير. أنظر: هنري سعيد عبودي، معجم الحضارات، ص٣١٥.
(٤) نجوى إكرام، النشاط التجاري، ص٨٥.
(٥) نجوى إكرام، النشاط التجاري، ص٨٦.
(٦) نجوى إكرام، النشاط التجاري، ص٨٧.

٥. وهو طريق يتفرع عن الطريق الطولية الجنوبية الشمالية، حيث يتفرع عنه ابتداء من شمالي يثرب، ليمر بتيماء ودومة الجندل، ثم ينتهي الى وادي الرافدين عند بابل على نهر الفرات(١).

٦. طريق جرها الى البتراء: حيث يبدأ من جرها ثم الهفوف إلى شمال اليمامة، ثم يتجه الى الشمال الغربي بموازاة جبل طويق، ثم إلى بريدة، ومنها إلى حائل فتيماء حتى يصل للبتراء(٢).

وقد انقسم العرب إلى قسمين من حيث قبولهم التجارة:

القسم الأول:

اعتاد حياة الحرب والغارات، فلا يرون في الاشتغال بالتجارة شرفًا، ويُعيرون بعض القبائل كقبيلة قريش لاعتزالها التجارة وتركهم للحرب، والتي كان خوفها نابعًا من خوفهم على تجارتهم فاشتغلوا بها عن الحرب(٣)، إلا أن الكثير من أولئك العرب ساهموا مساهمة ثانوية فيها، عندما قاموا بأخذ (الجُعل) مقابل التكفل بحماية القوافل المارة بهم، وغالبًا ما يردون هذا الجعل إذا فشلوا في الحفاظ على سلامة هذه القوافل، وهذا يدل على وفائهم وأمانتهم، وقد ساعد في نجاحهم بهذا الأمر: علمهم بالصحراء وطرقها، ومواضع الأمن والخطر فيها؛ إضافة لقدرتهم على تحمل تقلبات مُناخها وقيظه(٤)، فكانت القوافل تخرج بعدد كبير وبتدابير شديدة، تتقدمها الرسل لاستكشاف الطرق، والمرشدون لهدايتهم للطريق الأسهل، وتكون الحافلة مرفقة بالحراس الذين يحفون بالقافلة، وقد كان عرب الحيرة يتعهدون بحماية قوافل الفرس مقابل (جعل) كبير يأخذونه من الفرس، فاستكثر مرَّة الفرس ذلك فرفضوا أداءه، فهاجم العرب قافلتهم وهزموهم بيوم ذي قار(٥).

---

(١) نجوى إكرام، النشاط التجاري، ص٨٧.

(٢) نجوى إكرام، النشاط التجاري، ص٨٧.

(٣) ناصر سعد الرشيد، "تعامل العرب التجاري وكيفيته في العصر الجاهلي"، الندوة العالمية الثانية لدراسات الجزيرة العربية، الجزيرة العربية قبل الإسلام، الكتاب الثاني، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص٢٢٠.

(٤) أحمد أمين، فجر الإسلام، ط١٠، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٩م، ص١٣.

(٥) أحمد أمين، فجر الإسلام، ص١٤-١٥.

القسم الثاني:

وهم الأغلبية، حيث تشكلت من القبائل التي أقبلت على التجارة ومارسوها، وهم معظم القبائل في الحجاز، وذلك من خلال إقامة الأسواق المختلفة للتبادلات التجارية الداخلية والخارجية من خلال ما يُعرف بأسواق العرب، والتي كان لها تأثيرها من خلال أيام العرب، فهناك:

أ- الأسواق الدائمة:

وهي عبارة عن أسواق دائمة وقائمة طوال السنة، كيثرب التي كان بها عدد كبير من الأسواق، وساعد في ازدهار تجارتها إحاطة القرى بها، حيث كان البدو يفيدون إليها لبيع منتجاتهم وشراء حاجاتهم، ومن هذه الأسواق الدائمة: سوق بني قينقاع وهو أشهرها، وقيل: إنه كان يباع فيه كافة السلع(١).

واليهود الذين استغلوا انشغال الأوس والخزرج بحروبهم عنهم: انصرفوا للتجارة بما زرعوا في الغالب فكثرة أموالهم، وهذا الأمر كان له الأثر الأكبر في منعتهم وتحصيناتهم القوية -كما ذكر آنفًا- ، وأصبحوا يتعاملون بالربا مع سكان يثرب من العرب، وعلى الأرجح أنهم هم من أشاعوه بين العرب، فأصبحوا يُقرضونها لهم في مقابل (رهن) متفق عليه، ويبدو أن الربا انتشر في غير يثرب بمكة والطائف ووادي القرى حتى ألفه الناس وشاع بين الأكثرية(٢).

ب- الأسواق الموسمية:

وهي (عماد) التجارة الداخلية، حيث كان العرب يجتمعون من كُل حدب فيها؛ للبيع والشراء، ويكون ذلك في أوقات معينة وأماكن محددة لهذ الغرض(٣)، حيث اختير لها أماكن فسيحة تتوفر فيها المياه، إضافة لكونها قريبة من المراكز الحضرية والتجارية، فكان الأعراب يفدون إليها يعرضون

---

(١) عبد المعطي محمد عبد المعطي سمسم، "أسواق يثرب في العصر الجاهلي"، مجلة كلية الآداب، ع٢٨، جامعة بنها، أبريل ٢٠١٢م، ص١٦٤-١٦٥، ١٨٣.

(٢) سعيد الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط٣، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ص٢٤، ٦٠.

(٣) محمود عرفة محمود، العرب قبل الإسلام، ص٢٤٨.

سلع البادية وأحيانًا ما غنموه من حروبهم وغاراتهم؛ وليتزودوا أيضًا بما ينقصهم في معيشتهم[١]، وكانت (الأسواق الموسمية) لديها ما هو أشبه (بتنظيمات) لإدارتها والإشراف عليها، وكانت:

١- أسواق تدار بواسطة حكومات محلية ذات "سلطة قوية وأنظمة محكمة"، مثل أسواق صنعاء وعدن باليمن[٢].

٢- أسواق تحت إدارة قوى أجنبية خارجية، مثل سوق عمان، ودبا، آدم، والمشقر، وصحار، والتي كانت ديارهم تحت سيطرة الفرس بسبب دخولها تحت نفوذهم، وكانوا يتركون إدارتها بأيدي ملوك من أهل البلاد نفسها[٣].

٣- أسواق مُتنازع عليها من قِبَل قوتين خارجيتين، يقيمها من يغلب عليها، مثل: دومة الجندل التي كانت تقع بين سلطتين: حُكم الفرس والروم؛ ممثلة (بالحيرة والغساسنة)[٤].

وهذا لا ينافي أن لبعض القبائل (نوعًا) من السيطرة على الأسواق الواقعة في بلادهم، كقبيلة (كلب) بالنسبة لسوق دومة الجندل، و(الأزد) المسيطرين على أسواق عمان[٥].

٤- الأسواق التي تخضع شؤونها للقبائل وحدها، مثل سوق (عكاظ) لثقيف وقيس عيلان، و(مِجنَّة) لكِنانة، (النفوذ) لبني نصر من هوازن، و(حباشة) لأزد تِهامة، و(ذو المجاز) لهُذيل، و(الشحر) لمهرة، و(حجر) لبني حنيفة[٦].

---

(١) الشريف، مكة والمدينة، ص٧٦.

(٢) حمد الجاسر، "أسواق العرب القديمة"، مجلة العرب، مج ٧-٨، السنة ٢٣، محرم-صفر ١٤٠٩هـ/سبتمبر-أكتوبر ١٩٨٨م، ص٥٠٦. انظر: (خريطة رقم ٧).

(٣) حمد الجاسر، أسواق العرب، ص٥٠٦.

(٤) ابن حبيب، المحبر، ص٢٦٤.

(٥) حمد الجاسر، أسواق العرب، ص٥٠٦.

(٦) حمد الجاسر، أسواق العرب، ص٥٠٦؛ الفاسي (محمد بن أحمد بن علي)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٢/٣٤١-٣٤٢.

٥- كانوا يكلفون من قبل حاكم أو أمير لجباية (جعل) خاص لهم على التجارة، حيث كان معظم تلك الأسواق تحت سلطة أجنبية كسوق (المشقر) الذي كانت تسيطر عليه الفُرس[١].

وهذه الأسواق أيضًا تباينت من حيث ورود الناس إليها، حيث كانت هنالك أسواق يأتي الناس إليها من شتى أرجاء الجزيرة العربية، مثل: سوقي (عكاظ) و(دومة الجندل)، كما كان هنالك أسواق يشارك فيها التجار الأجانب أكثر من غيرها: كسوق (المشقر) الذي شارك فيه تجار الفرس لقربهم منه، كما كان سوق (دبا) يحضره التجار من الهند والسند والصين وأهل المشرق والمغرب وتباع فيه واردات البحر[٢]، أما (ذي المجاز) فكان رواده من حجيج مكة القادمين من عرفة، كما كان هنالك أسواق يقل روادها إما لبعدها أو لكونها لا يُوصَل لها إلا بخفارة كسوق الرابية في صحار، الشحر، وسوقي حجر، ونطاة خيبر اللذَيْن يُقامان في وقت واحد من يوم العاشر من محرم وحتى نهاية الشهر[٣]، وقد تولَّى الإشراف على هذه الأسواق أمراء يعشرون من يتاجر فيها كأكيدر دومة الجندل والمنذر بن ساوى بسوق حجر، وبعض الأسواق كان زعماء القبائل هم من يتولون جباية إتاوتها؛ والذين في الغالب حصل على هذا الحق على يد أمير جعله نصيبا لهم، وهنالك أسواق تحت سلطة أجنبية كسوق المشقر الذي كانت الفرس تسيطر عليه[٤]، أما الأسواق الكبرى فكانت منطقة حرّة معفاة من الضرائب والعشور[٥]، حيث كانت تحت سيطرة قريش وكانت تقام في (الأشهر الحرم) وارتبطت بموسم الحج[٦] وهي:

---

(١) حمد الجاسر، أسواق العرب، ص١٩٥.

(٢) حمد الجاسر، أسواق العرب، ص٥١٠.

(٣) حمد الجاسر، أسواق العرب، ص٥١١.

(٤) سعيد الأفغاني، أسواق العرب، ص١٩٥.

(٥) عرفان محمد حمور، سوق عكاظ ومواسم الحج، ط١، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، ٢٠٠٠م، ص٢١٤، ٢٢٠.
و (العشور): جمع للمفرد (عشر)، والعشر: جزء من الأجزاء العشرة، وعشرت القوم: أي أخذت عشر أموالهم. ابن فارس، مقاييس اللغة، ٣٢٤/٤.

(٦) سعيد الأفغاني، أسواق العرب، ص٧٥.

١. عكاظ: عكاظ نخل بوادي يقع بين الطائف ومكة، وكان يقام سوق عكاظ به في موضع يقال له: الأثيداء، وكان هذا السوق أعظم أسواق العرب في الجاهلية، حيث كان يُقام في شهر شوال لمدة عشرون يوماً(١).

٢. مِجنة: وهذا السوق يقع بالقرب من جبل يقال له "الأصفر" بأسفل مكة، وكان يقام بعد الانتهاء من سوق عكاظ مباشرة في العشرة الأواخر من ذي القعدة(٢).

٣. ذي المجاز: وهو سوق كان يقام للثمانية أيام الأولى من ذي الحجة بعرفة، على ناحية من جبل كبكب(٣).

ساعدت تلك الأسواق على ازدهار تجارة قريش، لقرب إقامتها حول مكة والكعبة التي اجتمعت العرب على تعظيمها وتعظيم حرمتها؛ إضافة لموقع مكة المتوسط لطريق التجارة البري ما بين الجنوب والشمال، وأيضًا بُعدُها عن الصراعات الدولية آنذاك بأن لم يصبها ما أصاب المراكز الحضارية الأخرى، فاحتفظت باستقلالها وعروبتها، ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن حملة أبرهة كانت نقطة إيجابية كبرى لصالحها وقوَّت مركزها(٤).

(١) الحموي، معجم البلدان، ١٤٢/٤، ٥٩/٥.

(٢) الحموي، معجم البلدان، ٥٨/٥-٥٩.

(٣) الحموي، معجم البلدان، ٥٥/٥.

(٤) الشريف، مكة والمدينة، ص١٧١-١٧٢. ارتباط مناسبات المواسم بالأمور الدينية ليس أمر جديد حصراً على العرب، فقد كان الإغريق يقيمون الألعاب الأولمبية في أوقاتهم المقدسة (Ekeeheria)، والتي كانت مرتبطة بمزاراتهم المقدسة: كزيارتهم واحتفالهم في معبد الإله زيوس Zeus، حيث كانت هذه الدورات تُقام مرة واحدة في العام، وفي هذه الفترة؛ كان يسود السلام كل مدنهم، وهذه المزارات لم تكن للدين فقط بل لعرض نتاجهم الفكري والصناعي وغيرها. باتريشا كرون، تجارة مكة، ص٢٤.

وقد ساهم في ازدهار تلك الأسواق الترتيبات التي قامت بها قريش في هذه الأسواق لإضفاء جو آمن للقبائل، بحيث اتخذت عدد من القوانين الصارمة في حق الوافدين إليها، وكان أهمها: أنها حرمت دخول السلاح في هذه الأسواق، وشكلت تنظيما دقيقا للمراقبة والإشراف عليها(١).

وبالرغم من الجو السلمي الغالب للأسواق إلا أن بعض النزاعات كانت تحصل جراء المنافسات التجارية، مما يجعل من شعراء وخطباء كل قبيلة ينهضون بالشِّعر والمفاخرة لمصلحة قبائلهم ويشيدون بأمجاد آبائهم وقبائلهم وأيامهم، مما جعل الحُكماء منهم يُصلحون ما بين الأطراف المتشاحنة لإعادة الصفاء وتهدئة النفوس(٢).

كما كان من ضمن تلك التجاوزات القليلة، ما تم على يد بعض أصحاب الثأر، حيث كانت ثورة الغضب والانتقام عندهم أكبر من أن يعفوا عن أعدائهم في تلك الأشهر الحرم، فنالوا ثأرهم منهم قبل انقضاء الموسم بطريقة أو بأخرى(٣)، فقد شهد سوق عكاظ أربعة حروب قامت بالأسواق والأشهر الحرم لذلك سميت (بالفُجَّار)، وهي كالتالي:

أ- الفُجَّار الأولى:

كان بسبب رجلين بينهم بيع وتجارة، وكان البائع وهو (أوس بن الحدثان النصري) قد أمهل المشتري -وهو رجل من كِنانة-إلى عام، ولما وافاه الكناني لم يؤدِّ ما عليه، فجلب النصري قردًا يعرض بيعه ويصرح بأنه إن ما يريد من بيع القرد إلا حقه من الكناني، فجاء أحد شيعت المشتري وقتل القرد، فاجتمع الناس وتشاجروا حتى كاد أن يقع القتال بينهم، غير أنهم تداعوا للصلح وقضوا الأمر بالصلح(٤).

(١) محمود عرفة محمود، العرب قبل الإسلام، ص٢٥٠.

(٢) عرفان محمد حمور، سوق عكاظ، ص١٩٣.

(٣) عرفان محمد حمور، سوق عكاظ، ص٢١٨.

(٤) ابن حبيب، المنمق، ص١٦٠-١٦١.

ب- الفُجَّار الثانية:

كانت بسبب تحدٍّ من (رجل من بني غفار) والذي كان في مِنعَة من قومه، فجلس يوماً بعكاظ، ومد قدمه بثقة ونادى في الملأ: "أنا والله أعزُّ العرب فمن زعم أنه أعزُّ مني فليضرب هذه بالسيف"! –يقصد بها قدمه– فضربها رجل من (بني قشير) فحُدش بذلك، فاجتمع الناس في شجار كاد أن يؤدي لقتال، غير أنهم ركنوا للصلح وانفضوا(١).

ج- الفُجَّار الثالث:

كان بسبب امرأة جميلة من بني (عامر بن صعصعة) نزلت سوق عكاظ، فاجتمع عليها نفر من فتيان قريش وتحرشوا بها وعندما تجاهلتهم أهانوها، فصرخت بقومها فاجتمعوا إليها، وكان بينهم شجار ومشادات فقط(٢).

د- الفُجَّار الرابعة:

وهي التي كانت بين قريش ومن معها من كِنانة، وبين قيس عيلان، وكانت بسبب أن (عروة الرحال بن عتبة بن جعفر، من بني هوازن) أجار لطيمة للنعمان بن المنذر، فقال البراض بن قيس من بني بكر من كِنانة للرحال: أتجيرها من كِنانة، فقال: نعم وعلى الخلق كلهم...، فخرجت اللطيمة(٣) في حماية الرحال، وفي الوقت نفسه كان البراض يُكمن الشر للرحال، فلحقه حتى ما أن أغفل الرحال وثب عليه البراض وقتله في الشهر الحرام، فسميت بـ(الفُجَّار)، وتكمل الرواية بوصول الخبر لقريش بأن البراض قتل عروة الرحال، وهنا وقع الاشتباك بين قريش وهوازن (كِنانة وقيس)، وكان على قريش وكِنانة حرب ابن عبد شمس حيث وقعت الحروب بينهم حول عكاظ، وكان الظفر

(١) ابن حبيب، المنمق، ١٦١-١٦٢.

(٢) ابن حبيب، المنمق، ١٦٣.

(٣) (اللطيمة): هي قوافل الأبل التي تحمل التجارة والطيوب. الهروي، تهذيب اللغة، ٢٤٢/١٣.

لقيس على كِنانة في أول النهار، وفي وسطه كان الظفر لكِنانة على قيس[١]، وقيل إنهم تواعدوا للعام القادم، فجاؤوا للوعد، لكن انتهت حربهم بالصلح ودفع الدِّية، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شهدها مع أعمامه[٢].

وبالرغم من أن تلك الحروب قد أضرَّت بالأمن وبالتجارة، إلا أنه ترتب عليها نتائج مهمة:

- أن نادى فريق من العرب إلى السلم ومنهم (عبد الله بن جدعان)، الذي كان إذا اجتمعت العرب للسوق وضعوا أسلحتهم عنده كأمانة إلى انتهاء الموسم[٣].
- تميم بعد حرب الفُجَّار امتنعت عن جباية المكوس[٤] من التجار وكانت قريش تشجعهم على ذلك لجذب العرب إلى السوق فلم يُهن أحد أو يحتقر بسبب كلفة العشور[٥].

وكان هنالك طائفة من العرب كانوا من الأصل قد عزلوا أنفسهم عن البقية وأباحوا لأنفسهم أخذ مظالمهم كيف شاؤوا في تلك الشهور المحرمة، وهم الذين سمَّاهم العرب (بالمحلين)، وهم قبائل: أسد، وطيّء، وبكر بن عبد مناة بن كِنانة، وبعض من بني عامر بن صعصة، وقد أنكرت عليهم فعلهم هذا بعض القبائل، فنصبوا أنفسهم حُماة لنصرة المظلوم والمعتدى عليه في تلك المواسم، وكانوا هم الوحيدين الذين سُمح لهم حمل أسلحتهم للحلول دون وقوع سفك للدماء في الأشهر الحرم، وسموا بـ(الذادة عن المحلين)، وكانوا يتكونون من: بطون من بني عمرو بن تميم، بني حنظلة بن زيد مناة، بطون من هُذيل وبني شيبان، ومن بني كلب بن وبرة[٦].

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ١/١٨٤-١٨٧.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ١/١٨٦؛ ابن حبيب، المنمق، ١٦٤.

(٣) عبد الله عبد الجبار؛ محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب في الحجاز، ط١، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٨٠م، ص١٨٠-١٨١.

(٤) (المكوس): مفردها "مكس"، وهي كلمة تدل على جباية مال أو انتقاص شيء. ابن فارس، مقاييس اللغة، ٥/٣٤٥.

(٥) فكتور سحاب، إيلاف قريش، ط١، كومبيونشر والمركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٢م، ص٢٢٠.

(٦) اليعقوبي، تاريخه، ١/٣٢٦.

ومن الظواهر الاجتماعية التي أظهرتها أيام العرب وتزامنت مع أسواقهم وتجمعاتهم ظواهر عدة ومنها:

أ- التبرقع:

كانت لمواسم العرب وأسواقها مناسبة كبيرة ومهمة في حياة العرب؛ فكان من الطبيعي أن يفد إليها الكثير من الناس، وكان احتمال أن يلقى الرجل قاتل أخيه أو أبيه، أو سابي أمه أو أخته في ذلك السوق واردًا جدًا، لذلك كان العرب في بداية قيام المواسم يخافون من الثأر المفاجئ والبغتة دون استعداد، لذا برزت ظاهرة جديد في أسواق العرب وهي (البراقع)، والتي كانوا يضعونها لإخفاء وجوههم حتى لا يُعرفوا فيثأروا منهم، وهي ظاهرة لم تستمر طويلاً، حيث قام (ظريف بن غنم العنبري) بالكشف عن وجهه متحدياً أعداءه، فتبع العرب خطاه لما رأوه من جرأته، وأنه مازال بخيرٍ وأمان[١].

ب- عقد الأحلاف:

كما شهدت الأسواق الموسمية ظاهرة اجتماعية أخرى نشطت فيها وهي عقد الأحلاف، ومنها حلف "ذي المجاز" الذي أصلح فيه عمرو بن هند بين بني تغلب وبكر أبنا وائل، وأخذ عليهم المواثيق والضمانات للوفاء به[٢].

ج- فداء الأسرى:

وقد كانت الأسواق المكان الأمثل لفداء الأسرى، ففي تلك المواسم يقدم الأسير وربما صحبته قبيلته لفدائه، وإذا جهلوا موضعه سألوا عنه القبائل التي تحضر الموسم، كما كانت بعض العرب ممن كان تحت أيديهم أسير يواعدون أهله بإطلاق سراحه في الموسم، فيُقبلون لتنفيذ ما وُعدوا به في تلك الأسواق وخاصة سوق (عكاظ)، حيث كان الأسير المفادى به (أغلى) فدية من غيره حتى

(١) اليعقوبي، تاريخه، ١/٣٢٦-٣٢٧.

(٢) عرفان محمد حمور، سوق عكاظ، ص٢٢٠.

ضرب به المثل[١]؛ وإضافة لما سبق كان بعض العرب يفتخرون بمن يُؤسَرون فيُحضرون أسراهم للمواسم الكبرى غالبًا حيث يُباع أسيره هناك لتعلم وتشهد له القبائل بفروسيته، مثلما فعل كعب بن زهير عندما أسر "ثابت بن المنذر" بيوم بعاث وباعه علانية بسوق عكاظ وقال يمتدح نفسه[٢]:

هلَّا ســـألـت وأنـت غير عيبـة وفاء ذي العيّ الســـؤال عن العمى

عن مشـــهـد ببعاث إذ دلفت لـه غسَّـــان بالبِيْض القواطع والقَنـا

وعن اعتنـاقي ثابتًـا في مشـــهـد متنـافس فيـه القواطع والقَنـا

فشَـــرَيْتُـه بأجم أســـودَ حـالـك بعكـاظ موقوفاً بمجمعهـا ضـــحى

د- الإشهار بين القبائل:

كما كانت الأسواق الكبرى منصة للكثير من الإعلانات الهامة، فكل قبيلة ترغب بأن يذاع لها أمر تريد من القبائل الأخرى أن تعلمه أذاعت به في تلك المواسم ومنها[٣]:

- أن من أراد أن يُدخل أحدًا في نسبه أو يُدخله في قبيلته أعلن بذلك لتعلم به العرب.
- كذلك من أرادوا إجارة أحد أو خلعه.
- إذا ما أرادت بعض القبائل أو الأفراد التحالف فيما بينهم أعلنوا بذلك، لكي يعلمه الناس.
- من أراد أن يعلن حربًا أو يُخلد نصرًا أعلنه على الملأ، وقد يكتبون تلك الأشياء في كتاب يُعلق في السوق زيادة وتأكيدًا له.
- من أراد أن يخلع ابنه، جاء به إلى السوق، ثم خلعه أمام الملأ، وتبرأ من أفعاله وجرائمه السابقة واللاحقة.

---

(١) عرفان محمد حمور، سوق عكاظ، ص١١٥.

(٢) عرفان محمد حمور، سوق عكاظ، ص١١٦-١١٧؛ كعب بن زهير (أبو المضرب كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني)، ديوان كعب بن زهير، تحقيق وشرح وتقديم: علي فاعور، (د ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص١١.

(٣) عرفان محمد حمور، سوق عكاظ، ١٣٩-١٤٥؛ الألوسي، بلوغ الأرب، ٢٣/٣.

ومن الجدير بالذكر، فقد حرصت العرب ألَّا تُباع في أسواقهم تلك البضائع المجهولة، وجعلوا على بضائعهم علامات تميزها -كما ذكر سابقًا عند الحديث عن الوسم-، فلم تكن القبائل تشتري البضائع المجهولة، لذلك ميزوا حتى بضائعهم بعلامات خوفاً وتحرزاً من الويلات التي يمكن أن تجرها عليهم تلك الصفقات المشبوهة[١].

(١) عرفان محمد حمور، سوق عكاظ، ص٩٥.

المبحث الثاني

التجـــارة الـخـارجيـة

عرفت جزيرة العرب التجارة الخارجية، فموقعها الجغرافي المتمركز بين مناطق العالم القديم، جعلها معبراً طبيعياً، للتجارة البرية والبحرية وخاصة تجارة المنتجات الأغلى من (البخور) إما إنتاجاً أو تصديراً[١].

ولقد استفاد العرب من الصراع السياسي والتوتر الاقتصادي الذي كان عليه الفرس (الساسانيون) والبيزنطيون، وذلك عندما تضرر البيزنطيون اقتصاديًا إلى درجة توقف تجارتها نتيجة لاحتكار الفرس لتجارة الحرير المستوردة من الصين والتي تمر عبر أراضيهم، حيث عمل الفرس على زيادة أسعارها بشكل مبالغ فيه للغاية، مما جعل البيزنطيون يسعون يائسين لإيجاد حل لهذه المشكلة، وإيجاد حلول تناسب الطرفين: كوضع قيمة ثابته على التجارة أو تحديدها على الأقل، وتعيين مقدار معين للضرائب على التجار الذين ينقلون تجارتهم إلى بيزنطة، غير أن تلك المحاولات تكللت بالفشل، وهو الأمر الذي جعل الامبراطور الروماني (جستنيان) يسعى جاهداً لتحطيم احتكار الفرس، فعمل على التعاقد مع نجاشي الحبشة لإرسال سفنه مباشرة إلى سيلان التي كان يوزع بها الحرير، فيحصلون عليها مباشرة ودفعها إلى الأسواق لتنافس تجارة الفرس ونقلها إلى بلادهم، أو سواحل القلزم —البحر الأحمر–و أيلة — إيلات– فاستطاعوا النجاح، وتحقيق الربح من ذلك[٢].

أما اليمن فقد كانت تجارتها مسيطرة على تجارة الجزيرة العربية حتى القرن السادس الميلادي عندما تحولت التجارة إلى مكة ويثرب، إلا أنها ظلت محتفظة بعلاقاتها التجارية مع الحبشة والهند

(١) لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور، ص٢٨٩–٢٩٠.

(٢) جواد علي، المفصل، ٣٠٩/٤.

لاستيراد بعض المنتجات كالأبنوس والعاج وتصدر لها في المقابل سلعها من الطيوب والبخور وغيرها[١]، حيث شهدت موانئها نهضة ملحوظة، خاصة ميناء أيلة (العقبة)، وعدن، وميناء ظفار[٢].

أما بقية تجار العرب فلم يقتصر نشاطهم على مواسم الأسواق فقط، بل تجرأ بعضهم وتعدوها إلى ما وراء حدود جزيرتهم عندما عملوا على نقل الفائض من تجارتهم للحضارات الأخرى واستوردوا ما ينقصهم[٣]، فقبيلة ثقيف مثلاً كان لها نشاطها التجاري الواسع الذي تجاوز حدود الجزيرة العربية سواء بشراكة مع قريش أو من دونها[٤]، وأول خبر عن تجارة ثقيف الخارجية كانت بين العرب والفرس كانت على يد أبو سفيان وغيلان بن سلمة الذي وفد على كسرى، أما قريش فبرزت بعد أن احتلت مكة مكانة اليمن، حيث عملوا جاهدين لإنجاح تجارتهم[٥].

وعليه فقد عرفت العرب بعض التحالفات التجارية لحماية قوافل الأبل المحملة ببضائعهم؛ وخاصة مع الوضع الحربي السائد بين القبائل العربية المختلفة، وكانت قريش أحد أهم تلك القبائل التي رسمت التحالفات الشهيرة في عهد (هاشم بن عبد مناف) والذي عرف بـ(الإيلاف)، والذي جاء القرآن الكريم يذكر قريش بتلك النعمة العظيمة التي كانوا عليها، قال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾[٦].

(١) ناصر سعد الرشيد، تعامل العرب التجاري، ص٢١٧.

(٢) محمود عرفة محمود، العرب قبل الإسلام، ص٢٥٥.

(٣) محمود عرفة محمود، العرب قبل الإسلام، ص٢٥٥.

(٤) ناصر سعد الرشيد، تعامل العرب التجاري، ص٢٢٨.

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ١٣/١٤٤-١٤٥؛ سعيد الأفغاني، أسواق العرب، ص١٢٨.

(٦) سورة قريش كاملة.

فقد دفعت ضروريات الحياة في بلاد العرب، وما يكتنفها من صعوبات إما بسبب الأرض أو الحروب بين القبائل إلى تكوين تلك العلاقة القائمة على أسس اقتصادية بحته، والتي ترمي إلى تحقيق المصلحة الذاتية، حيث كان الهدف منه:

أ- ضمان سلامة القوافل التجارية.

ب- حراسة القوافل والحرص على أمنها.

ج- أدلاًء للقوافل على الطرق الصحيحة والسهلة(١).

وكانت تجارة مكة لا تخرج عن مكة ذاتها، فالأعاجم يأتون إليها بسلعهم، فيشترون منهم، ثم يبيعونها فيما بينهم(٢).

وتذهب الروايات أن سبب إيلاف قريش هو ما كانت عليه بعض عاداتهم عند المجاعة، والتي أجبرت بعض بيوتاتها على الخروج عن الحرم للموت جوعاً بعيداً عن الناس، الأمر الذي جعل (هاشم بن عبد مناف) يخطب في قريش ويحثهم على أن ينصر غنيهم فقيرهم حتى يستغني، ومن بعدها كان كل ما يربحه الغني يقسمه بينه وبين الفقير حتى أمسى فقيرهم كغنيهم، فلم يكن في العرب أكثر مالا ولا أعز منهم(٣).

ولأجل تحقيق غاية (الإيلاف) ارتحل هاشم لبيزنطة عام ٤٦٧م، في عهد الامبراطور (ليون الأول)، وطلب منه أن يكتب له كتاباً يؤمنهم ويؤمن تجارتهم في مقابل منتجات حجازية تباع للروم بأسعار رخيصة، فوافق الامبراطور البيزنطي، وعقد معهم الإيلاف الأول في فترة سلم الروم مع الفرس(٤)، ولعل بيزنطة وافقت على ذلك لحاجتها لتنظيم هذا الأمر الخطير لضمان تدفق سلع

(1) Marash E. Ackermann and other, Encyclopedia of world history, vol1, p21.

(٢) ابن حبيب، المنمق، ص٤٢.

(٣) سعيد الأفغاني، أسواق العرب، ص١٥٠.

(٤) ابن حبيب، المنمق، ص٤٢؛ فكتور سحاب، إيلاف قريش، ص٢١١.

التجارة الشرقية بشكل أسرع، ولم تكن المعاهدة المتعلقة بتنظيم المكوس والأسواق عام ٥٦١م مع الفرس سوى محاولة لسد المنافذ التجارة غير الشرعية المتسللة لبلادهم ومحاولة لضبط المكوس(١).

وليكمل هاشم خطته المحكمة ولإتمام نجاحها، قام بعقد إيلاف مع رؤساء القبائل العربية ليأمن على تجارتهم من العرب الساعين وأهل الغارات والصعاليك، كذلك القبائل "المحلة" التي لم يكن ليمنعهم حرمة حرم ولا غيره(٢)، فقد كانت قبائل مُضَر لا تتعرض لكونها تتحمل عنهم حماية البيت الحرام، في حين كانت قبائل ربيعة تأخذ منهم عن طريق عمرو بن مرثد من بني قيس بن ثعلبة عن ربيعة كلها، فكانت قبيلة قريش تسير أمنة للحيرة وفارس(٣).

كما أخذ القرشيون عهدًا من ملوك اليمن على القوافل التي تمر بأراضي اليمن، ومن القبائل المقيمة على طريق مكة، وارتحل (عبد شمس بن عبد مناف) إلى (يثرب) وأخذ منه إيلافًا، أما (نوفل بن عبد مناف) فسار إلى كسرى فارس واستأذنه بالإيلاف في تجارته فأذن له، وفي طريق عودته فعل مثلما فعل البقية بشأن القبائل عندما أخذ الإيلاف من تلك المقيمة على طرق قوافلهم(٤)، ويمكننا القول إن الإيلاف لم يتم كله في سنة واحدة، بل تكوَّن نظامه واتسع تدريجياً(٥).

ولم تكن الحبشة ببعيدة عن الإيلاف أيضًا على الرغم من الهجوم الذي شنه أبرهة على مكة، إلا أن العلاقات بين مكة والحبشة ظلت قائمة وحسنة لحاجة كلا الطرفين للآخر، ولأن الحبشة هي في الأصل المتضرر الأكبر لم تقدم بعد ذلك على أي سلوك عدواني تجاه مكة، وبالأخصّ بعد طردها من اليمن، فاطمأنت قريش بعد سيطرة الفرس على اليمن، ولم يعد أمام الحبشة سوى قريش لتكون وسيطًا لتجارتها لتأزم علاقاتها مع الفرس(٦).

---

(١) فكتور سحاب، إيلاف قريش، ص٢١٢.
(٢) ابن حبيب، المنمق، ص٤٢-٤٣.
(٣) ابن حبيب، المحبر، ص٢٦٤.
(٤) ابن حبيب، المنمق، ص٤١ وما بعدها.
(٥) فكتور سحاب، إيلاف قريش، ص٢١٢.
(٦) الشريف، مكة والمدينة، ص١٣٧.

أما الفرس فبعد أن دخلت اليمن تحت سيطرتهم، نشطت الحركة التجارية تحت النفوذ الفارسي، فكانت القوافل تسير ما بين اليمن وفارس، حيث سارت القوافل التي تحمل الثياب والمسك ومختلف البضائع، وربما جُعل لها خفراء من (بنو جعيد من مراد) حيث قوافل فارس تسير لا يتعرض لها أحد، غير أن ذلك لا ينفي إغارة بعض القبائل عليها، فقد قام (بني يربوع) بالإغارة في سنة جدب وجوع على بعض تلك القوافل فقتلوا خفراءها واقتسموا اللطيمة، وعندما علم كسرى بذلك أمر بطعام أقيم بحصن (المشقر) بالبحرين، ودعا الناس إليه بالحيلة، وأوهمهم أنه يُميرهم ويكرمهم، شرط أن كل من دخل القصر عليه نزع سلاحه، فكان كلما دخل أحد من العرب قتلوه، حتى أُكتشف أمرهم، فنجا بعضهم بنفسه، في اليوم الذي يعرف (بيوم المشقر)[١].

أما تجارة الفرس فقد تأثرت الأخرى نتيجة للحروب التي بينها وبين بيزنطة، حيث منع الفرس تجارهم من الإتجار مع بيزنطة، وفي الوقت نفسه حاولوا ضبط الجباية تحسين مداخل تجاراتهم عن طريق تصريف بضائعهم المجلوبة من الهند والصين لبيزنطة، وكل الأمر كان لا يتفق مع مصالح التجار الفرس، فوجد التجار طريقهم عبر اليمن، حيث يبيعون تجارتهم بعيداً عن رقابة الفرس الرسمية، في الوقت الذي كان فيه التجار القرشيون ينتظرونها لحملها إلى بيزنطة (بلاد الشام)، وهذا ما كانت الفرس ترفضه أصلاً، فعجزت عن مراقبة التجارة الذاهبة جنوباً ومنع تجارتها مع الحجاز حتى بعد استيلائهم على اليمن[٢].

وبالنسبة لبيزنطة فكانت القوافل القرشية مُلزمة على النزول في الأماكن التي تحددها الحكومة الرومانية بهدف:

١- تسهيل أخذ الضرائب منهم.

٢- السيطرة ومراقبة الوافدين على بلادها بسهولة.

---

(١) ابن المثنى، أيام العرب، ٤٤/٢.

(٢) فكتور سحاب، إيلاف قريش، ص٢١٣.

فكانوا ينزلون بأيلة "العقبة"، ومنها ينتقلون إلى غزة ثم تتفرق القوافل كلٌّ حسْب حاجتها، ويجتمعون مرة أخرى في المكان الذي تفرقوا منه وهو (غزة) في وقت معلوم متفق عليه، ثم تعود القوافل معًا للجزيرة العربية[١] والبعض الآخر منها يكمل سيره من غزة لبصرى[٢].

وكان الملوك والأباطرة يأخذون المكس من تجار البر والبحر وفي أسواقهم، و(المكس): هو ضريبة كانت تؤخذ من التجار العرب وكانوا يظلمونهم في ذلك[٣].

ولم تكن قريش فقط هي التي تسير بتجارتها للخارج، وقد تمثل التبادل التجاري الخارجي أيضًا مع بعض التجار من الفرس والروم وأقباط مصر، والذين كانوا يفدون للتجارة بمكة حيث كانت قريش تعشرهم على تجارتهم الداخلة عليها، وكان من هؤلاء الأجانب من تحالف مع أثرياء قريش وأقام بينهم في مقابل دفع جزية جرَّاء حمايتهم وحفظ تجارتهم[٤].

أما بالنسبة للقبائل القابعة على طرق التجارة، فقد استفادة من تلك الخاصية لتنمي ثرواتها وتكون لها دخل ثابت على الأقل؛ فبالرغم من أنها لم تخض غِمار التجارة، إلا أنها استطاعت تحصيل أموال جرّاء خدمة وحراسة القوافل المارة بها لتصل آمنة لأهدافها، فاللطائم الفارسية كانت تخرج من أراضيها بحراسة من الحيرة، وإذا ما وصلت إلى أراضي تميم تولوا مهمة حمايتها في أراضيها حتى يخرجوا منها لتتولاها قبيلة أخرى، وهكذا حتى تصل لوجهتها، كل ذلك مقابل أجر تدفعه الفرس لتلك القبائل[٥]، وتبلغ مدة هذه (الخفارة) ثلاثة أيام فقط، حيث التزم أغلب العرب بأداء واجبهم بصدق مع خفرائهم، أما بعضهم فكان يتلاعب بخفارته، فيحرِّض الناس على سرقته أو الفتك به، كما فعل

(١) عبد الله عبد الجبار؛ محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب في الحجاز، ص١٨٤.
(٢) أحمد أمين، فجر الإسلام، ص١٥.
(٣) الجاحظ، الحيوان، ٣٩١/٦.
(٤) حلمي محروس إسماعيل، الشرق العربي القديم وحضارته، (د ط)، مؤسسة الشباب، كان، ١٩٩٧م، ص٢٢٩.
(٥) محمود عرفة محمود، العرب قبل الإسلام، ص٢٥٧-٢٥٨.

(حذيفة بن بدر) عندما تولى خفارة (الربيع بن زياد) وفي الوقت نفسه دسَّ له من يقتله بعد أن تنتهي مدة عهده معه[١].

أما بالنسبة للتجارة الوافدة من ملوك (الحيرة) و(غسَّان)، فقد كان لها خُفراء من بني سليم وهوازن، على الرغم من أنهم لم يكونوا يدينون لهم، غير أنهم حملوا تجارتهم، وباعوها لهم (بعكاظ) مقابل جزء من الربح، ومن الجدير بالذكر أن لطائم الملوك لم يكن بإمكانها التجرؤ على الدخول بنَجْد إلا بخفارة[٢]، ويذكر أن (النعمان بن المنذر) كان يرسل كل عام لطيمه لتباع بعكاظ، فتعرض لها في إحدى المرَّات (بنو عامر بن صعصعة) وأخذوها، فغضب لذلك النعمان، وجهز صنائعه[٣] ووضائعه[٤] لقتالهم ما أن تنتهي الأشهر الحرم غير أن جيشه هُزم وانتصر بنو عامر[٥].

كما أن الصراع بين البيزنطيين والفرس كان له أثره على الحيرة والغساسنة التابعة لهما، حيث ضعف نفوذهم على القبائل التي تحت أيديهم مما أدى إلى اضمحلال نفوذهم عنها شيئًا فشيئًا، فلم تعد الحيرة بالأخص قادرة على حماية تجارة الفرس، لذلك نَجِد القبائل تجير اللطائم الفارسية المارة بها في مقابل إتاوات لأجل الحماية، غير أن بعض القبائل تجرَّأت على مهاجمتها وهزمت الفرس ونالت منهم كما في (ذي قار)[٦].

(١) ابن المثنى، أيام العرب، ٢/٩٧.

(٢) الحلي، المناقب المزيدية، ص٣٧٥.

(٣) (الصنائع): كتيبة من بني قيس وبني تيم اللات ابني ثعلبة من بكر وائل، وكانوا من خاصة الملك لا يبرحون جانبه. المبرد، الكامل في اللغة، ٢/٦٣-٦٤؛ الميداني، مجمع الأمثال، ١/١١٨.

(٤) (الوضائع): كتيبة مكونة من ألف أسورة من أساورة الفرس، وضعها كسرى بين يدي ملوك الحيرة ليستخدموها كقوة لإرهاب وضبط أهل الحيرة، فكانوا يقيمون هناك عاماً كاملاً، ثم يستبدلهم كسرى بألف مثلهم. المبرد، الكامل في اللغة، ٢/٦٣-٦٤؛ الميداني، مجمع الأمثال، ١/١١٨.

(٥) ابن المثنى، أيام العرب، ٢/٨٦.

(٦) الشريف، مكة والمدينة، ص١٧٤.

الخاتِمة

من خلال ما تم عرضه في فصول الدراسة تم التوصل إلى مجموعة من النتائج أهمها:

١- ساهمت طبيعة الجزيرة العربية في حصر الإمكانيات المعيشية لسكانها، مما انعكس سلباً على تصرفاتهم التي تضخَّمت لتتمحور حول سعيهم الحثيث وقلقهم المتزايد على لقمة عيشهم، والتي تحولت تالياً لتأخذ شكلاً عدوانياً متمثلاً بـ(أيام العرب).

٢- الأثر الديني لأيام العرب بدأ يظهر ببطء على حياتهم الاجتماعية، عندما كانوا يلجؤون إلى معبوداتهم طالبين العون والنُّصرة، ثم اضطربت قيمهم في معبوداتهم عندما ظنوا أن كل معبود لديه خواص تتراوح ما بين القوة والضعف، لذا قامت الحروب لأجلها أو تُرك ذلك المعبود ونُبذ في إطار الاعتقاد بقدرتها على النصر والهزيمة في (الأيام).

٣- اعتقاد العرب في معبوداتهم ضعيف، سواء أفرادًا كانوا أم جماعات، فبالرغم من التخطيط المسبق واستشارة المعبود والضرب بالأقداح إلا أنهم إما أن يصنعوا طقوسًا يلتزمون بها عند الحرب، لحضِّ أنفسهم على الخوض والنصر في أيام العرب، وإما ينبذونه كليًّا ويتحولون عنه.

٤- ساعدت أيام العرب على غرس عادات وطقوس ومعتقدات، أملتها عليها عقليتهم الجاهلية وفكرتهم عن (الأيام)، والتي أصبح بعضها مظهرًا من مظاهر حياتهم.

٥- بالرغم من معرفة العرب بالديانات السماوية من (يهودية ونصرانية) إلا أنهم لم يأخذوا منها إلا ما يعجبهم ونبذوا عكس ذلك، فلم تهذب عقيدتهم في (أيام العرب) وتردعهم عنه، بل على العكس، عملت من ناحية أخرى على تأجيج الصراعات بينهم، وبالأخصّ إذا تعددت طوائف مذاهب الديانة، كما في الديانة النصرانية.

٦- خلق موسم الحج والأشهر الحرم منفذًا سلميًا يبتعد فيه العرب عن نزاعاتهم القائمة وأيامهم، فعرف حينها العرب الذين يفضلون السلام على الحرب كقريش وبني مرة بن عوف، بينما سارع بقية العرب للتملص والتلاعب في أسس شعائر دينية ثابتة، بُغية العودة للأيام التي يعتاشون

عليها وسعيهم وراء الثارات، فاستحدثوا أمر النسيء، بينما استحدث بعض المسالمين فكرة البسل.

٧- من النظرة الأولى يبدو بأن الحرب ساهمت في دعم اقتصاد العرب، وخلق طبقة مكتفية أو بروز أخرى ثرية، غير أن عقيدة الثأر عندهم جعلت موازينهم الاقتصادية متأرجحة، فما أُخذ اليوم سيسلب غدًا.

٨- أيام العرب تمحورت في الغالب على (الرعي والمرعى)، فالعرب إما أن تدافع عنها أو تسعى للحصول عليها، لذا عاشوا في خوفٍ وقلق دائمين من احتمالية سلبها منهم أو الجوع، كما عملت أيضًا على إشعال الطمع في نفوسهم عندما سعوا في (أيامهم) لسلب المراعي والأنعام من غيرهم رغبة في الاستكثار في المال.

٩- ساهمت أيام العرب في ظهور أو تدعيم نوع من مظاهر الحضارة؛ وذلك عندما قام أصحاب الزراعة بمحاولة حماية أراضيهم مما تجرُّه أيام العرب من ويلات تضر بزراعتهم التي لا يستطيعون حمايتها كاملاً، لذلك ظهرت المدن المسورة، والآطام، والحصون، وتم العناية بما تدعمها من سدود وجداول لتوفير وحماية سبل عيشهم عند حدوث تلك الأيام.

١٠- ساعدت أيام العرب على ازدهار النشاط الصناعي بشكل أو بآخر، وذلك عندما وفرت الأسواق الطلب المتزايد من الأسلحة، الأمر الذي أدى أيضًا لثراء طوائف أخرى دون غيرها، كما حصل مع اليهود، ولم يحقق العرب أي إنجازات منافسة لليهود في مجال الصناعة سوى في وقت قريب من مجيء الإسلام، وهو مع ذلك محصور على المناطق الحضارية كمكة، بينما استمر الأعراب في كونهم مستهلكين لتلك الصناعات.

١١- كانت الأيام والغارات التي قام بها قطَّاع الطرق والصعاليك وقبائل المحلين الذين لم تكن تمنعهم حرمة البيت ولا الأشهر الحرم من الاعتداء والبغي، كان لها أثر كبير في بلورة المواثيق التجارية والإيلاف بين القبائل العربية والواحات والحواضر، حيث وفرت القبائل القابعة على طريق القوافل الأمن والسلامة لتلك القوافل في مقابل مبلغٍ مالي أنعش من اقتصادها، بينما استفاد

التجار من ذلك بأن ساروا آمنين مطمئنين، فحطموا بعضًا من قيود الأيام التي لم تكن تميز بين أحد.

١٢- بالرغم من الأمن الذي تفرضه الأشهر الحرم على العرب، إلا أن أيام العرب استطاعت غزو مواسمهم، وذلك عندما أصبحت ساحة لبيع الأسرى أو فكهم، أو مكان مميز للمفاخرات بالانتصارات والفرسان ومواقف البطولة عندهم.

١٣-لم يكن العرب بمعزل عن الحضارات المحيطة بهم، بل عرفوهم واختلطوا بهم، إما بحكم الحروب أو التجارة أو غيرها، غير أنهم لم يستفيدوا من هذه الحضارات بالحجم الذي يُرجى منهم، بل عملت تلك القوى (من فرس وروم) على تسخير قوى العرب في حروبها وأهدافها.

١٤- بالرغم من تأثر الممالك العربية وبعض القبائل بالصراعات الدائرة بين القوى الكبرى (الساسانية والبيزنطية)، إلا أن الحيرة والغساسنة حصلوا في المقابل على دعم هذه القوى في بعض فتراتها، والتي انقلبت بالرغم من كثرة المجازفات التي لحقتهم إلى مظهر من مظاهر الأبهة والملك.

١٥- استطاع العاملون بالتجارة والصناعة والزراعة خلق بيئة إيجابية آمنة تحمي تجارتهم وحقوقهم وسط تدافع القبائل المتحاربة، فتمكنوا خلال ذلك من تكوين مستوطنات متحضرة نسبيًا، تبشر ببواكير حضارة مستقرة تبتعد شيئًا فشيئًا عن المسببات المفضية للأيام.

هذا ولله الحمد الذي بفضـــله ونعمته تتم الصـــالحات، لما أنعم عليَّ من توفيق لإتمام هذا البحث، فاللهم تقبله منِّي خالصًا لوجهك الكريم سبحانك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين أجمعين سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه والتابعين له.

الملاحق

أولاً : الـخرائـــط

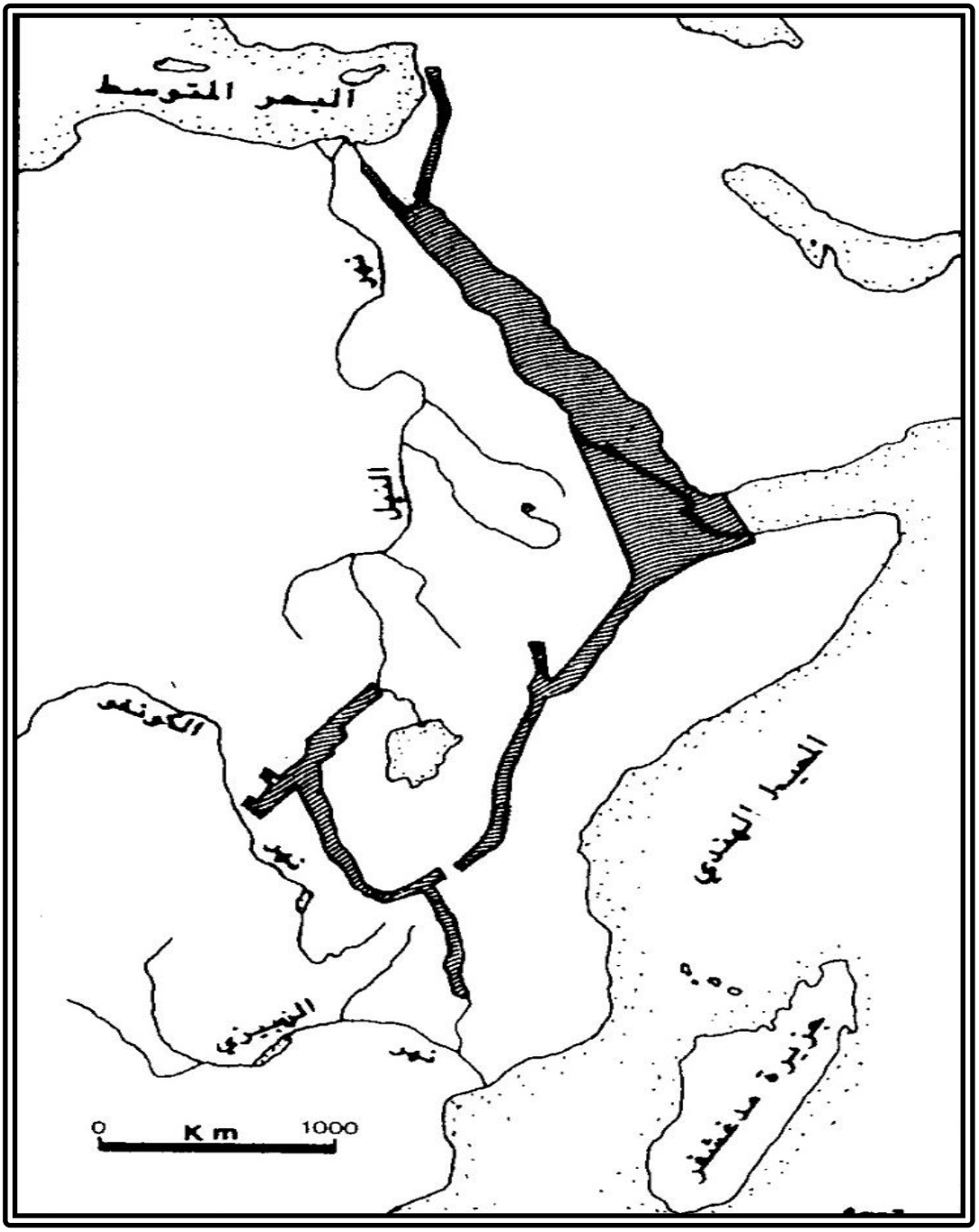

(خريطة ١: الخسف الأفريقي)

المصدر: قاسم الدويكات، جغرافية الوطن العربي

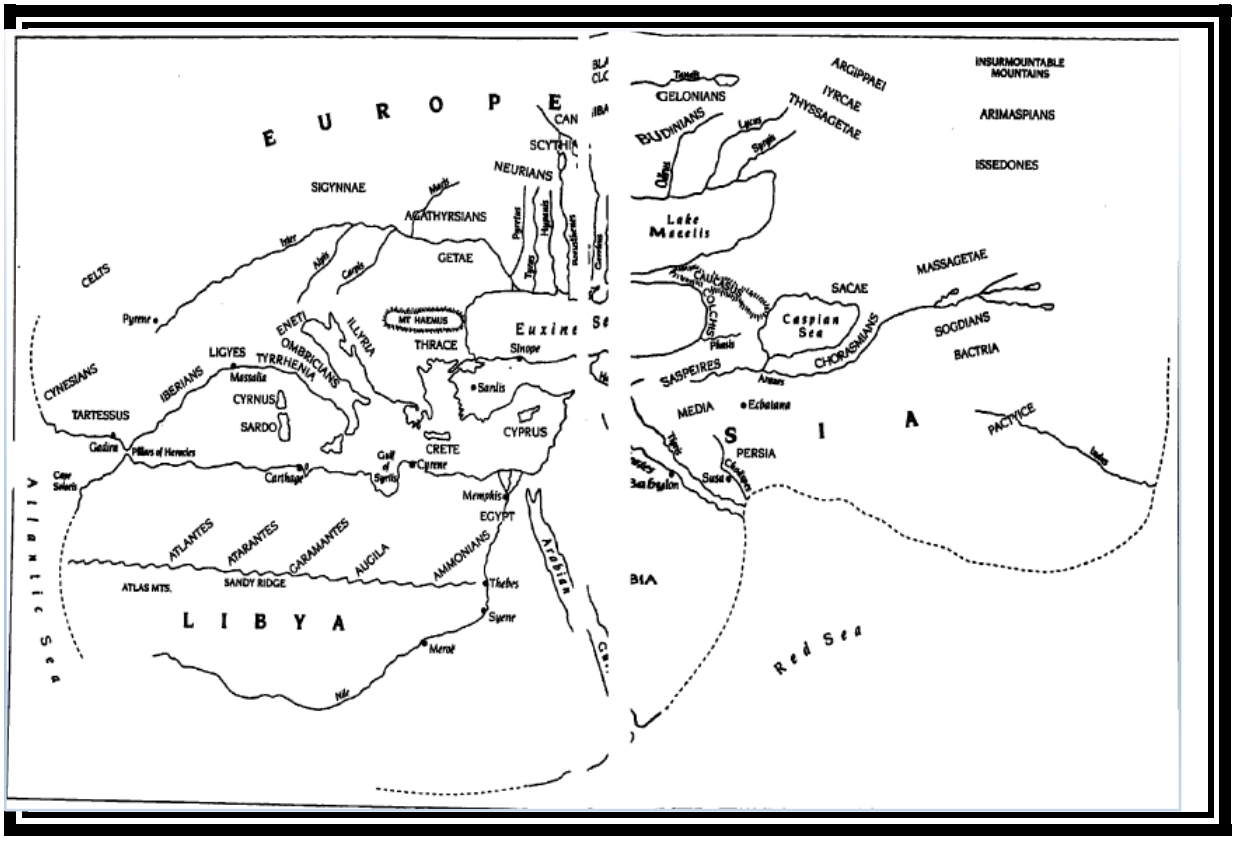

(خريطة ٢: جزيرة العرب عند هيرودوت)

المصدر: تاريخ هيردوت، ترجمة: عبد الإله الملاح.

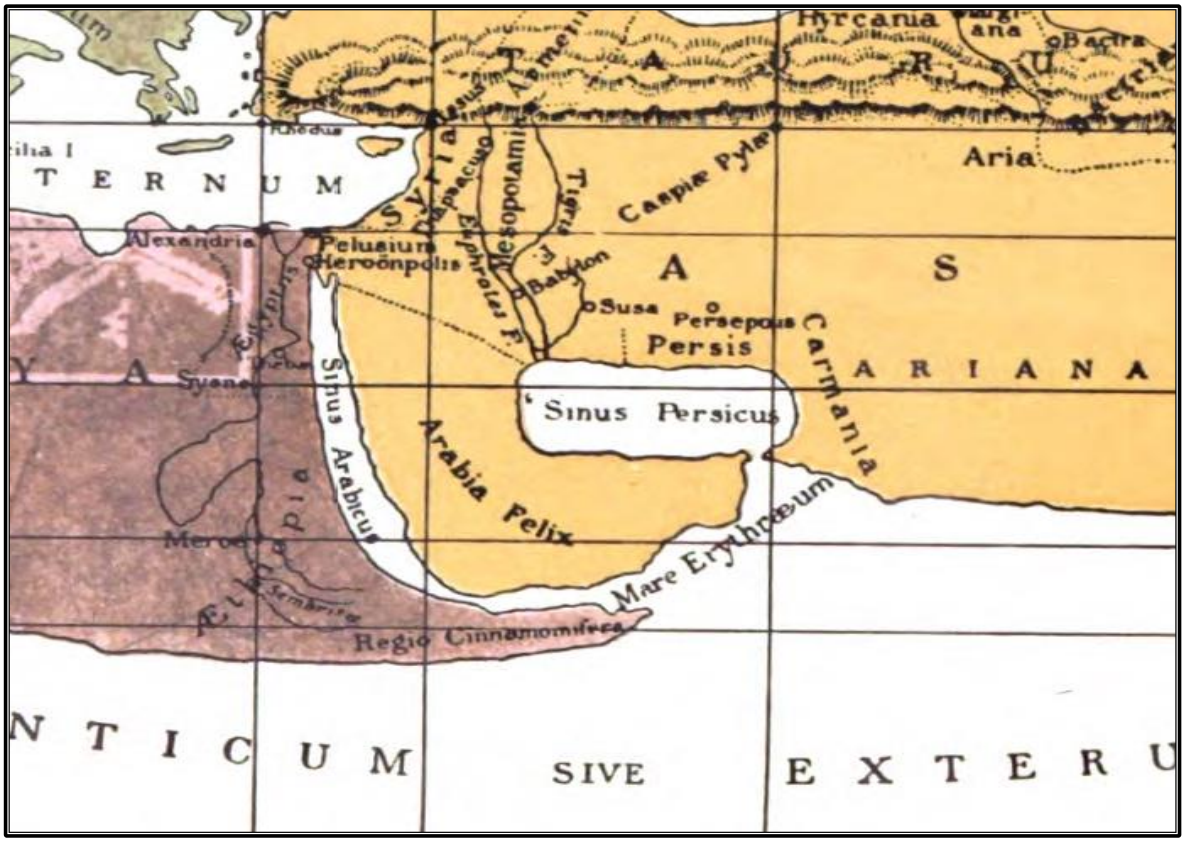

(الخريطة ٣: جزيرة العرب عند استرابون)

المصدر: Strabo. The geography of Strabo. Vol.1.

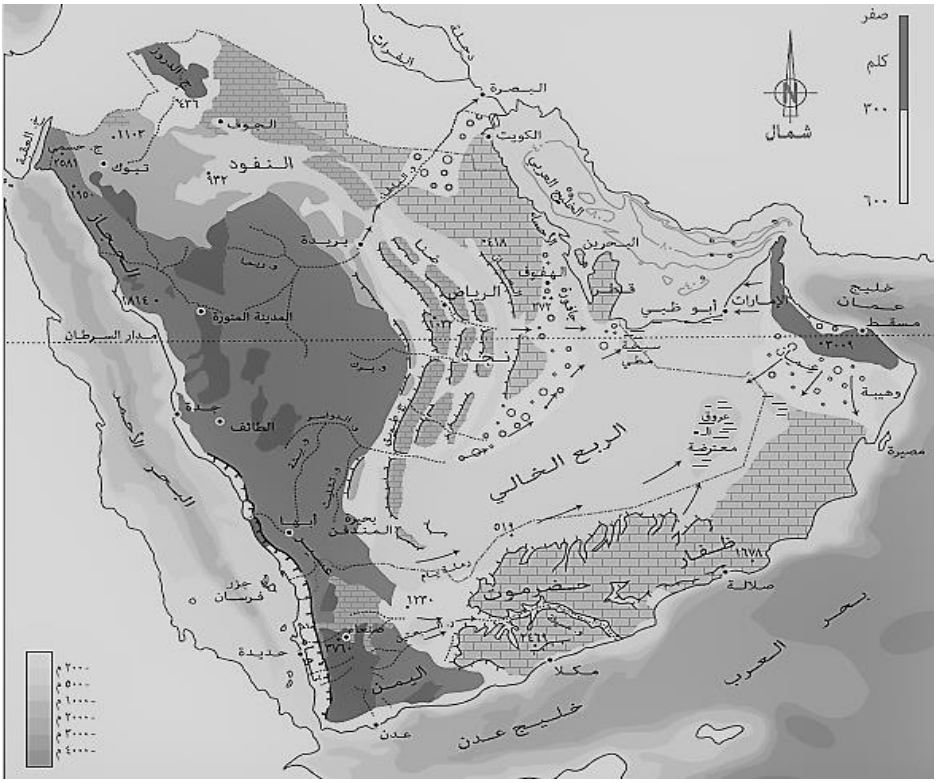

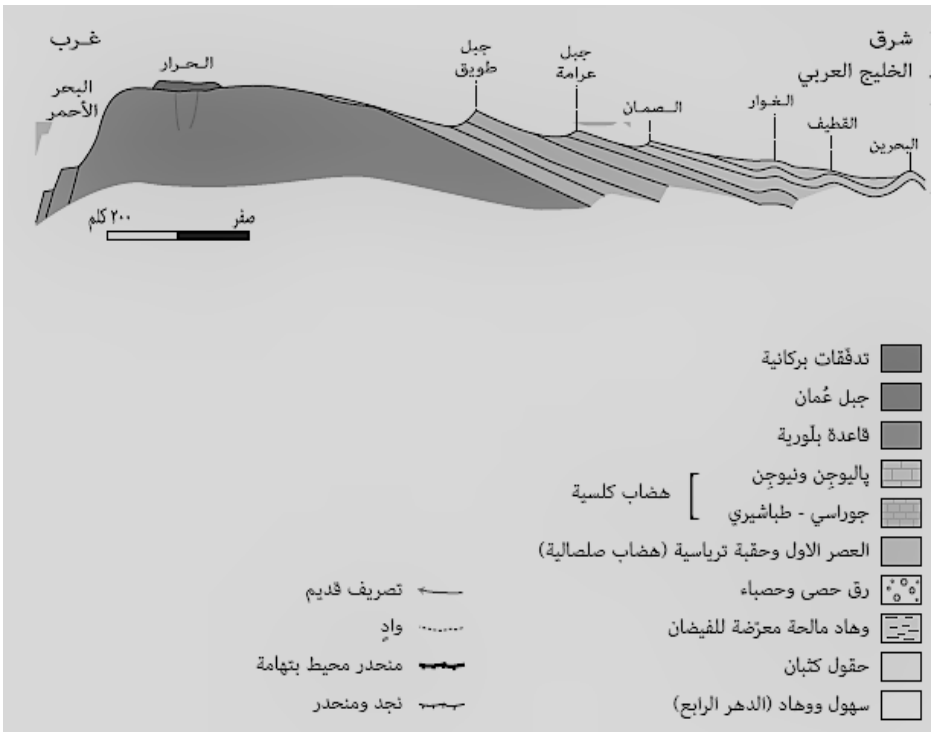

(الخريطة ٤: تضاريس الجزيرة العربية)

المصدر: حسين علي أبو الحسن وآخرون، طرق التجارة القديمة

(الخريطة ٥: توزع القبائل والأديان في جزيرة العرب)

المصدر: محمود عصام الميداني، الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي، مراجعة: عبد الرحمن حميدة، ط٣، دار دمشق، دمشق، ١٩٩٩م.

(الخريطة رقم ٦: طرق التجارة القديمة)

المصدر: .Dumat al-jandal

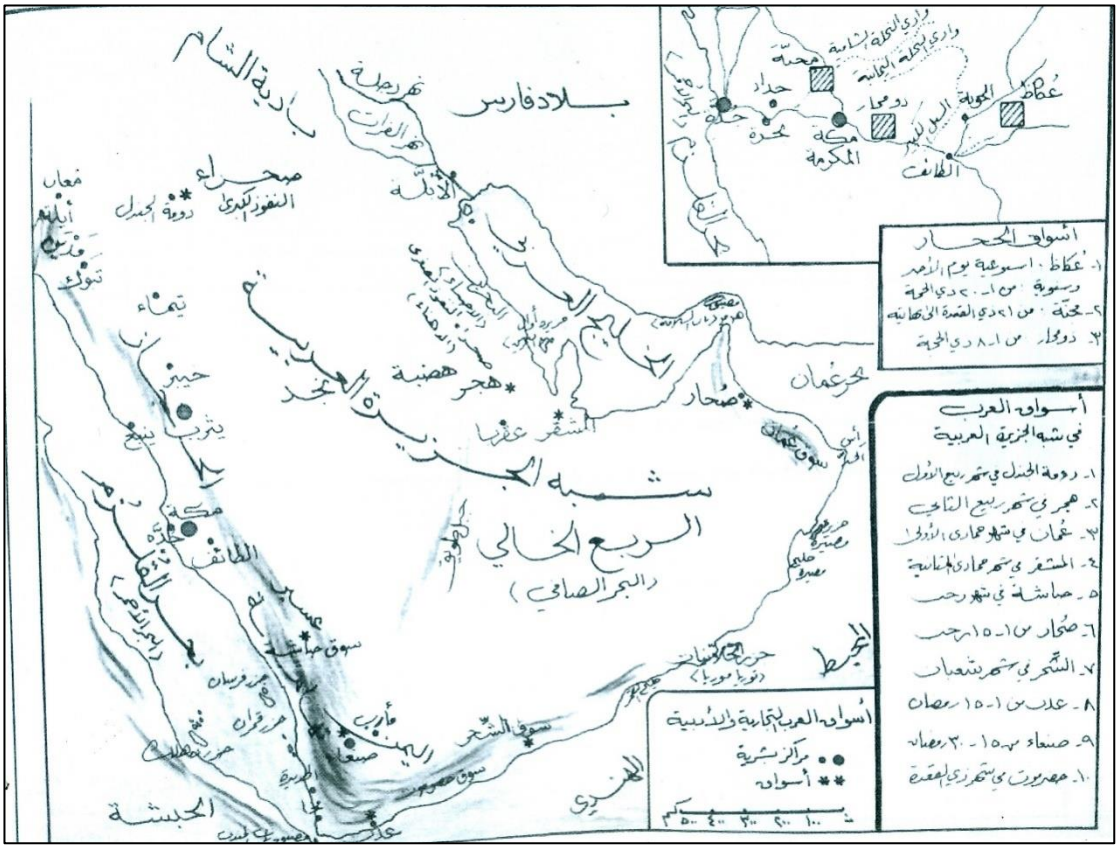

(الخريطة رقم ٧: أسواق العرب في الجاهلية)

المصدر: محمود عصام الميداني، الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي

ثانياً: الجداول التوضيحية

البـــــروج	المنـــــازل
الحمل	الشرطان، والبطين، ثلثا الثريا
الثور	ثلثا الثريا، الدبران، ثلثا الهقعة
الجوزاء	ثلثا الهقعة، الهنعة، الذراع
السرطأن	النثرة، الطرف، ثلث الجبهة
الاسد	ثلثا الجبهة، الزبرة، ثلثا الصرفة
العذراء	ثلثا الصرفة، العواء، السماك
الميزأن	الغفر، الزبأني، ثلثا إلاكليل
العقرب	ثلثا إلاكليل، القلب، ثلثا الشولة
القوس	ثلثا الشولة، النعائم، البلدة
الجدي	سعد الذابح، سعد بلع، ثلثا سعد السعود
الدلو	ثلثا سعد السعود، سعد إلاخبية، ثلثا الفرغ المقدم
الحوت	ثلث الفرغ المقدم، الفرغ المؤخر، الرشا

(جدول رقم ١: البروج وما تأخذ من منازل).

اعداد الباحِثة: بالاعتماد على ما ورد في كتاب (الأنواء في مواسم العرب) للدينوري ص١٢٠

ثالثاً : اللوحات الفوتوغرافية

(لوحة رقم ١ : حصن مارد)

المصدر: .Dumat al-jandal

رابعاً: الأشكال التوضيحية

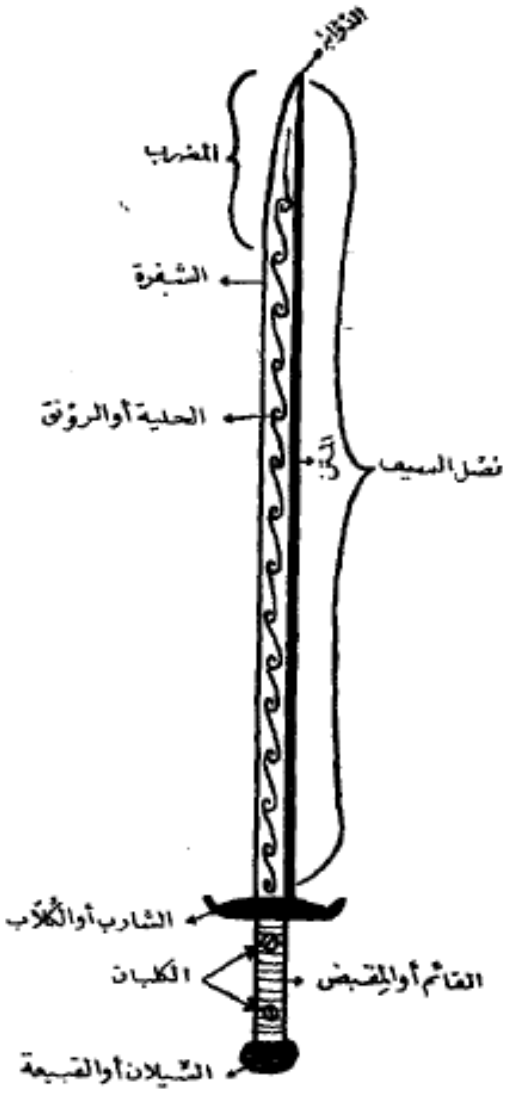

(شكل رقم ١: السيف العربي)

المصدر: عبد الرؤوف عون، الفن الحربي في صدر الإسلام.

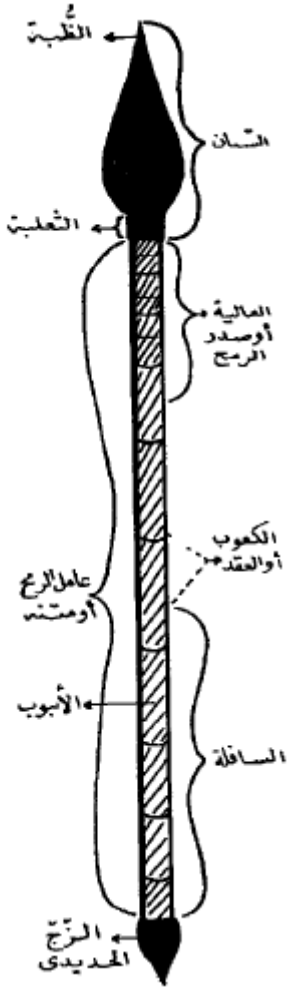

(شكل رقم ٢: رسم توضيحي للرمح)

المصدر: عبد الرءوف عون، الفن الحربي في صدر الإسلام.

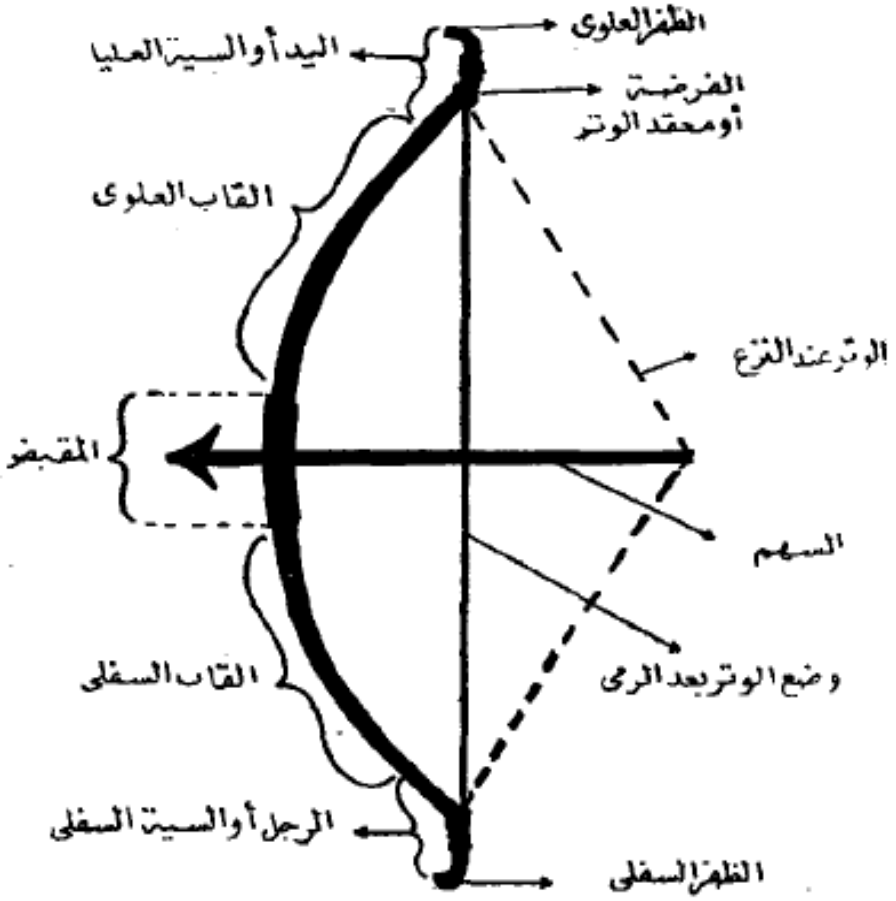

(شكل رقم ٣: رسم توضيحي للقوس)

المصدر: عبد الرؤوف عون، الفن الحربي في صدر الإسلام.

فـــهـــرس

(المصـادر والمـراجـــع)

أولاً: المصادر الإسلامية والعربية.

١. القرآن الكريم.

٢. ابن ابي حاتم (أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن ادريس بن المنذر التيمي) ت٣٢٧هـ، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط٣، مكتبة مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ.

٣. ابن الأثير (أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد) ت٦٣٠هـ، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٤. ـــــــ، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي؛ ومحمود محمد الطناحي، (د ط)، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٥. ابن إسحاق (محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي)، سيرة ابن إسحاق (أو) السير والمغازي، تحقيق: سهيل زكار، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٦. ابن الأسلت (أبي قيس صيفي): ديوان ابي قيس صيفى بن الأسلت الأوسي الجاهلي، دراسة وجمع وتحقيق: حسن محمد باجودة، (د ط)، مكتبة دار التراث، القاهرة.

٧. ابن تيمية (تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم) ت٧٢٨هـ، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، ط٧، دار عالم الكتب، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٨. ابن حبيب (محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي) ت٢٤٥هـ، المحبر، تحقيق: إيلزة ليختن شتير، (د ط)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د ت).

٩. ـــــــ، المنمق في أخبار قريش، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ

١٠. ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي) ت٤٥٦هـ، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: لجنة من المحققين، ط١، دار الكتب العلمي، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١١. ابن حمدون (محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون) ت٥٦٢هـ، التذكرة الحمدونية، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤١٧هـ.

١٢. ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن محمد الإشبيلي) ت٨٠٨هـ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م.

١٣. ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي) ت٣٢١هـ، الاشتقاق، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

١٤. ـــــــ، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

١٥. ابن رشيق (أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي) ت٤٦٣هـ، العمدة في محاسن الشِّعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، دار الجيل، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٦. ابن سعيد (ابن سعيد الأندلسي) ت٦٨٥هـ، نشوة الطرب في جاهلية العرب، تحقيق: نصرت عبد الرحمن، (د ط)، مكتبة الأقصى، عَمان، (د ت).

١٧. ابن سلام (أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي) ت٢٢٤هـ، السلاح، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط٢، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١٨. ـــــــ، غريب الحديث، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، ط١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

١٩. ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده) ت٤٥٨هـ، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٢٠. ـــــــ، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٢١. ابن شمائل (عبد المؤمن بن عبد الحق القطيعي البغدادي) ت٧٣٩هـ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ، ١٤٨٣/٣.

٢٢. ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي) ت٤٦٣هـ، الأنباه على قبائل الرواة، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٢٣. ابن عبد ربه (أبو عمر شهاب الدبن أحمد بن محمد بن عبد ربه) ت٣٢٨هـ، العقد الفريد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٢٤. ابن فارس (أحمد بن فارس بن زكريا القزويني) ت٣٩٥هـ، الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلأمه، علق عليه ووضع حواشيه: احمد حسن بسج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٢٥. ـــــــ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (د ط)، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٢٦. ابن فقيه (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني) ت ٣٦٥هـ، البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٢٧. ابن كثير (إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي) ت٧٧٤هـ، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ط١، دار احياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٢٨. ابن المثنى (ابي عبيدة معمر بن المثنى التيمي) ت٢٠٩هـ، أيام العرب قبل الإسلام، جمع وتحقيق ودراسة: عادل جاسم البياتي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢٩. ـــــــ، شرح نقائض جرير والفرزدق، تحقيق: محمد إبراهيم حور؛ وليد محمود خالص، ط٢، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٨م.

٣٠. ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي) ت٧١١هـ، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

٣١. ابن هشام (عبد الملك بن هشام بن أيوب الحِمْيري) ت٢١٣هـ، التيجان في ملوك حِمْير، تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، ط١، مركز الأبحاث والدراسات اليمنية، اليمن، ١٣٤٧هـ.

٣٢. ـــــــ، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا؛ إبراهيم الإبياري، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ٣٧٥هـ/١٩٥٥م.

٣٣. ابن الوردي (عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن اب الفوارس) ت٧٤٩هـ، تاريخ ابن الوردي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٣٤. أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد) ت٧٣٢هـ، المختصر في أخبار البشر، ط١، المطبعة الحسينية المصرية، (د ت).

٣٥. الآبي (أبو سعد منصور بن الحسين الرازي) ت٤٢١هـ، نثر الدر في المحاضرة، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

٣٦. الأبشيهي (شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور) ت٨٥٢هـ، المستطرف في كل فن مستطرف، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٩هـ.

٣٧. الأزرقي (أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد) ت٢٥٠هـ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، (د ط)، دار الأندلس للنشر، بيروت، (د ت).

٣٨. الاصطخري (أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي)، المسالك والممالك، (د ط)، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م.

٣٩. الأصفهاني (ابي الفرج علي بن الحسين) ت٣٥٦هـ، الأغاني، ط٣، إحسان عباس وآخرون، دار صادر، بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٩٩٨م.

٤٠. الأصفهاني (الحسن بن عبد الله)، بلاد العرب، تحقيق: حمد الجاسر، وصالح العلي، (د ط)، دار اليمامة، الرياض، (د ت).

٤١. الأصمعيّ (أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي) ت ٢١٦هـ، الأصمعيّات، تحقيق: أحمد محمد شاكر؛ عبد السلام محمد هارون، ط٧، دار المعارف، مصر، ١٩٩٣.

٤٢. ـــــــ، الدارات، شرح: أوغست هفنر، (د ط)، المطبعة الكاثوليكة للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٨٩٨م.

٤٣. ـــــــ، النبات والشجر، عنى بنشره وجمع رواياته: أوغست هفنر، (د ط)، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٨٩٨م.

٤٤. الأعشى (ميمون بن قيس)، ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق: محمد حسين، (د ط)، مكتبة الآداب بالجماميزت، (د ت).

٤٥. الأفوه الأودي (صلاءة بن عمرو بن مالك بن عوف بن منبه)، ديوان الأفوه الأودي، شرح وتحقيق: محمد التونجي، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.

٤٦. الألوسي (السيد محمود شكري بن عبد الله)، بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب، ضبط وتصحيح: محمد بهجة الأثري، ط٢، (د ن)، (د ت).

٤٧. أمرؤ القيس (أمرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن آكل المرار)، ديوان أمرؤ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٥، دار المعارف، (د ت).

٤٨. أمين أرسلان، حقوق الملل ومعاهدات الدول، ط١، مطبعة الهلال، مصر، ١٩٠٠م.

٤٩. الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار) ت٣٢٨هـ، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٥، دار المعارف، (د ت).

٥٠. البخاري (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله)، الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٥١. البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد) ت٤٨٧هـ، المسالك والممالك، (د ط)، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م.

٥٢. ـــــــ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٥٣. البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر بن داود) ت٢٧٩هـ، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار؛ ورياض الزركلي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.

٥٤. ـــــــ، فتوح البلدان، (د ط)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م.

٥٥. البلخي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف) ت٣٨٧هـ، مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط٢، دار الكتاب العربي، (د ت).

٥٦. التبريزي (يحيى بن علي ين محمد الشيباني) ت٥٠٢هـ، شرح ديوان الحماسة، (د ط)، دار القلم، بيروت، (د ت).

٥٧. التوحيدي (أبو حيان علي بن محمد بن العباس) ت٤٠٠هـ، البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٨م.

٥٨. حسان بن ثابت (أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري) ت٥٤هـ، ديوان حسان بن ثابت، شرحه ووضع هوامشه وقدم له: عبدا علي مهنا، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٥٩. حمزة الأصفهاني (حمزة بن الحسن الأصفهاني)، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم السلام، (د ط)، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١م.

٦٠. الحموي (ياقوت بن عبد الله) ت٦٢٦هـ، معجم البلدان، ط٢، بيروت، دار صادر، ١٩٩٥م.

٦١. الحنفي (أبو محمد بن أحمد بن موسى بن أحمد) ت٨٥٥هـ، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، (د ط)، دار احياء التراث العربي، بيروت، (د ت).

٦٢. الجاحظ (عمرو بن بحر بن محبوب الكناني) ت٢٥٥هـ، البيان والتبيين، (د ط)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٦٣. ـــــــ، الحيوان، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.

٦٤. ـــــــ، الرسائل السياسية، (د ط)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د ت).

٦٥. الجمحي (محمد بن سلام بن عبيد الله) ت٢٣٢هـ، طبقات فحول الشُّعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، (د ط)، دار المدني، جدة، (د ت).

٦٦. الجوزي (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد) ت٥٩٧هـ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا؛ مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٦٧. الحازمي (أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان) ت٥٨٤هـ، الأماكن (أو) ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، تحقيق: حمد بن محمد الجاسر، (د ط)، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤١٥هـ.

٦٨. الحلي (أبو البقاء هبة الله محمد بن نما) توفي قبل القرن ٦هـ، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، تحقيق: محمد عبد القادر خريسات؛ صالح موسى درادكة، ط١، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ١٩٨٤م.

٦٩. الخطابي (أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب) ت٣٨٨هـ، غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، تخريج الاحاديث: عبد القيوم عبد رب النبي، (د ط)، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

٧٠. الدينوري (أبو حنيفة أحمد بن داود) ت٢٨٢هـ، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، ط١، دار احياء الكتب العربي، القاهرة، ١٩٦٠م.

٧١. الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة) ت٢٧٦هـ، أدب الكاتب (أو) أدب الكّتاب، (د ط)، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، (د ت).

٧٢. ـــــــ، الأنواء في مواسم العرب، (د ط)، (د ن)، (د ت).

٧٣. ـــــــ، الجراثيم، تحقيق: محمد جاسم الحميدي؛ تقديم: مسعود بوبو، (د ط)، وزارة الثقافة، دمشق، (د ت).

٧٤. ـــــــ، الشِّعر والشُّعراء، (د ط)، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

٧٥. ـــــــ، عيون الأخبار، (د ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

٧٦. ـــــــ، غريب الحديث، تحقيق: عبد الله الجبوري، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ.

٧٧. ـــــــ، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م.

٧٨. ـــــــ، المعاني الكبير في ابيات المعاني، تحقيق: سالم الكرنكوي؛ وعبد الرحمن بن يحي اليماني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

٧٩. ـــــــ، الميسر والقداح، نسخه وصححه وعلق عليه ووضع فهارسه: السيد محيي الدين الخطيب، ط٢، المطبعة السلفية، الروضة، (د ت).

٨٠. الرازي (أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين) ت٦٠٦هـ، مفاتيح الغيب، ط٣، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٨١. الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد) ت٥٠٢هـ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشُّعراء والبلغاء، ط١، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٨٢. الزبيدي (محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني) ت١٢٠٥هـ، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، (د ط)، دار الهداية، (د ت).

٨٣. الزبيري (مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير) ت٢٣٦هـ، نسب قريش، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط٣، دار المعارف، القاهرة، (د ت).

٨٤. الزركلي (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس) ت١٣٩٦هـ، الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.

٨٥. الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد) ت٥٣٨هـ، الجبال والأمكنة والمياه، تحقيق: أحمد عبد التواب عوض، (د ط)، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٣١٩هـ/١٩٩٩م.

٨٦. ـ، الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد البجاوي؛ ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعرفة، لبنان، (د ت).

٨٧. السمهودي (علي بن عبد الله بن أحمد الحسني) ت٩١١هـ، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، دراسة وتحقيق: محمد الأمين محمد محمود الجكيني، (د ت)، طبع على نفقة: حبيب محمود أحمد، (د ت).

٨٨. السهيلي (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد) ت٥٨١هـ، الروض الآنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٨٩. السيوطي (عبد الرحمن بن ابي بكر) ت٩١١هـ، شرح شواهد المغني، وقف على طبعه وعلق على حواشيه: احمد ظافر كوجان؛ تعليق وتذييل: محمد محمود ابن التلاميذ، (د ط)، لجنة التراث العربي، ٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

٩٠. الشامي (محمد بن يوسف الصالحي) ت٩٤٢هـ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود؛ علي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٩١. الشهرستاني (ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر أحمد) ت٥٤٨هـ، الملل والنحل، (د ط)، مؤسسة الحلبي، (د ت).

٩٢. الطبري (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب) ت٣١٠هـ، تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري، ط٢، دار التراث، بيروت، ١٣٨٧هـ.

٩٣. ـــــــ، جامع البيان في تأويل القرآن (المعروف) بتفسير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٩٤. الطرابلسي (أمين الدولة محمد بن محمد هبة الله العلوي) ت٥١٥هـ، المجموع اللفيف، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٥هـ.

٩٥. الضبي (المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم) توفي حوالي ١٦٨هـ، أمثال العرب، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٩٦. العسقلاني (احمد بن علي بن حجر أبو الفضل)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وابواب أحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي؛ قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب؛ وضع تعليقاته: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (د ط)، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩م.

٩٧. العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى) ت٣٩٥هـ، الأوائل، ط١، دار البشير، طنطا، ١٤٠٨م.

٩٨. ـــــــ، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تحقيق: عزة حسن، ط٢، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٩٦م.

٩٩. عمرو بن كلثوم (أبو عباد عمرو بن كلثوم بن مالك)، ديوان عمرو بن كلثوم، جمعه وحققه وشرحه: أميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

١٠٠. الفارابي (أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري) ت٣٩٣هـ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٠١. الفاسي (محمد بن أحمد بن علي) ت٨٣٢هـ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١٠٢. الفاكهي (محمد بن إسحاق بن العباس) ت٢٧٢هـ، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: عبد الملك عبد الله دهيش، ط٢، دار خضر، بيروت، ١٤١٤هـ.

١٠٣. الفراهيدي (أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد بن عمرو بن تميم) ت١٧٠هـ، العين، تحقيق: مهدي المخزومي؛ وإبراهيم السامرائي، (د ط)، دار ومكتبة الهلال.

١٠٤. القسطلاني (أحمد بن محمد بن ابي بكر بن عبد الملك) ت٩٢٣هـ، ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ط٧، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ١٣٢٣هـ.

١٠٥. القسطنطيني (مصطفى بن عبد الله كاتب) ت١٠٦٧م، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (د ط)، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م.

١٠٦. قطرب (محمد بن المستنير بن أحمد) ت٢٠٦هـ، الأزمنة وتلبية الجاهلية، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١٠٧. القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد) ت٨٢١هـ، صبح الأعشى في صناعة الأنشاء، (د ط)، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٨. ـــــــ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب المصري، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

١٠٩. ـــــــ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط٢، دار الكتاب اللبنانيين، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

١١٠. كعب بن زهير (أبو المضَرب كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني) ت٦٤٥هـ، ديوان كعب بن زهير، تحقيق وشرح وتقديم: علي فاعور، (د ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

١١١. الكلاعي (سليمان بن موسى بن سالم بن حسان) ت٦٣٤هـ، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ.

١١٢. الكلبي (أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب) ت٢٠٤هـ، الأصنام، تحقيق: أحمد زكي باشا، ط٤، دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٠٠٠م.

١١٣. ـــــــ، افتراق ولد معْد، تحقيق: أحمد حمد عبيد، ط١، دار الكتب الوطنية هيئة أبو ظب للثقافة والتراث، أبو ظبي، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

١١٤. ـــــــ، نسب معْد واليمن الكبير، تحقيق: ناجي حسن، ط١، مكتبة النهضة العربية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١١٥. المبرد (محمد بن يزيد) ت٢٨٥هـ، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

١١٦. ـــــــ، نسب عدنان وقحطان، تحقيق: عبد العزيز الميمنى الراجكوتي، (د ط)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الهند، ١٣٥٤هـ/١٩٣٦م.

١١٧. المخزومي (أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي) ت١٠هـ، تفسير مجاهد، تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، ط١، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

١١٨. المرزوقي (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن) ت٤٢١هـ، الأزمنة والأمكنة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.

١١٩. المسعودي (اب الحسن علي بن الحسين بن علي) ت٣٤٧هـ، التنبيه والإشراف، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، (د ط)، دار الصاوي، القاهرة، (د ت).

١٢٠. ـــــــ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

١٢١. مسلم بن الحجاج (مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري) ت٢٦١هـ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ت).

١٢٢. المفضل (أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم) ت٢٩٠هـ، الفاخر، تحقيق: عبد العليم الطحاوي؛ مراجعة: محمد علي النجار، ط١، دار احياء الكتب العربية؛ عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٠هـ.

١٢٣. مقاتل بن سليمان (أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير البلخي) ت١٥٠هـ، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ط١، دار أحياء التراث، بيروت، ١٤٢٣هـ.

١٢٤. المقدسي (المطهر بن طاهر) ت٣٥٥هـ، البدء والتاريخ، (د ط)، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، (د ت).

١٢٥. المقريزي (أحمد بن علي بن عبد القادر) ت٨٤٥هـ، أمتاع الاسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٢٦. ـــــــ، رسائل المقريزي، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٩هـ.

١٢٧. المكي (عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي) ت١١١١هـ، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود؛ علي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

١٢٨. الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم) ت٥١٨هـ، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (د ط)، دار المعرفة، بيروت، (د ت).

١٢٩. النابغة (النابغة الذبياني)، ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، القاهرة، (د ت).

١٣٠. نشوان الحِمْيري (نشوان بن سعيد الحِمْيري) ت٥٧٣هـ، خلاصة السير لعجائب أخبار الملوك التبابعة، تحقيق: علي بن إسماعيل المؤيد؛ إسماعيل بن أحمد الجرافي، ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٧٨م.

١٣١. النهرواني (أبو الفرج المعافي بن زكريا بن يحيى) ت٣٩٠هـ، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تحقيق: عبد الكريم سأمي الجندي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١٣٢. النووي (أبو زكريا محيي الدين بن شرف) ت٦٧٦هـ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط٢، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.
١٣٣. النويري (أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم) ت٧٣٣هـ، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ.
١٣٤. الهروي (محمد بن أحمد بن الأزهري) ت٣٧٠هـ، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
١٣٥. ـــــــ، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني، (د ط)، دار الطلائع، (د ت).
١٣٦. الهمداني (أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود) ت٣٣٤هـ، صفة جزيرة العرب، (د ط)، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٤م.
١٣٧. الهمذاني (محمد بن حسين بن عبد الصمد) ت١٠٣١هـ، الكشكول، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٣٨. الهنائي (علي بن الحسن) ت٣٠٩هـ، المنتخب من غريب كلام العرب، تحقيق: محمد بن أحمد العمري، ط١، جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
١٣٩. الواقدي (محمد بن عمر بن واقد السهمي) ت٢٠٧هـ، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، ط٣، دار الأعلمي، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
١٤٠. اليزيدي (أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن ابي محمد بن المبارك) ت٣١٠هـ، الأمالي، ط١، مطبعة جمعية دائرة المعارف، حيدر أباد الدكن، الهند، ١٣٩٧هـ/١٩٣٨م.
١٤١. اليعقوبي (أحمد بن إسحاق أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح) ت٢٩٢هـ، البلدان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.
١٤٢. ـــــــ، تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الأمير مهنا، ط١، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

ثانيًا: المراجع العربية.

١. أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم، (د ط)، دار الفكر العربي، (د ت).

٢. أحمد أمين، فجر الإسلام، ط١٠، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٩م.

٣. أحمد مختار عبد الحميد وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٤. إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود في جزيرة العرب، (د ط)، مطبعة الاعتماد، مصر، ١٣٤٥هـ/١٩٢٧م.

٥. أغناطيوس يعقوب الثالث، الشهداء الحِمْيريين العرب في الوثائق السريانية، (د ط)، المجلة البطريكية، دمشق، ١٩٦٦م.

٦. أنستاس ماري الكرملي، أديان العرب وخرافاتهم، تحقيق: وليد محمود خالص، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥م.

٧. برهان الدين دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، ط٣، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٧م.

٨. توفيق برو، تاريخ العرب القديم، ط٢، دار الفكر، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٩. توفيق فهد، الكهانة العربية قبل الإسلام، ترجمة: حسن عودة؛ ورندة بعث، تقديم: رضوان السيد، (د ط)، شركة قدمس للنشر والتوزيع، بيروت.

١٠. جرجس داود داود، أديان العرب قبل الإسلام ووجهها الحضاري والاجتماعي، ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١١. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٤، دار الساقي، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٢. جورج كدر، معجم آلهة العرب، (د ط)، مؤسسة الساقي، (د ت).

١٣. حسن بيرنيا، تاريخ إيران القديم، ترجمة: محمد نور الدين عبد المنعم؛ والسباعي محمد السباعي، مراجعة: يحيى الخشاب، (د ط)، مكتبة الأنجلو، القاهرة، (د ت).

١٤. حسن ظاظا؛ محمد عاشور، شريعة الحرب عند اليهود، ط١، دار الاتحاد العربي للطباعة، ١٩٧٦م.

١٥. حسين علي أبو الحسن وآخرون، طرق التجارة القديمة، (د ط)، الهيئة العامة للسياحة والآثار؛ متحف اللوفر، ٢٠١٠م.

١٦. حسين العودات، العرب النصارى عرض تاريخي، ط١، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٢م.

١٧. حسين مروة، النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، (د ط)، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٨م.

١٨. حلمي محروس إسماعيل، الشرق العربي القديم وحضارته، (د ط)، مؤسسة الشباب، الإسكندرية، ١٩٩٧م.

١٩. حنا نصر الحتي، الناقة في الشِّعر الجاهلي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٢٠. سعيد الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط٣، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

٢١. سلوى بالحاج صالح العايب، المسيحية العربية وتطوراتها من نشأتها إلى القرن ٣هـ/١٠م، ط٢، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٨م.

٢٢. سميح دغيم، أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٥م.

٢٣. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ العرب في العصر الجاهلي، (د ط)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (د ت).

٢٤. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ط١٣، دار المعارف، (د ت).

٢٥. عاتق الحربي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ط١، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ.

٢٦. عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ط١، (د ن)، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٢٧. عبد الرؤوف عون، الفن الحربي في صدر الإسلام، (د ط)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١م.

٢٨. عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق، (د ط)، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠١٢م.

٢٩. عبد القادر الرباعي، الطير في الشِّعر الجاهلي، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٨م.

٣٠. عبد القدوس الأنصاري، أثار المدينة المنورة، ط٣، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

٣١. عبد الله عبد الجبار؛ محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب في الحجاز، ط١، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٨٠م.

٣٢. عبد الله يوسف الغنيم، أشكال سطح الأرض المتأثرة بالرياح في شبه الجزيرة العربية، (د ط)، جامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٣٣. ـــــــ، أقاليم الجزيرة العربية بين الكتابات القديمة والدراسات المعاصرة، (د ط)، الجمعية الجغرافية الكويتية، الخالدية، ١٩٨١م.

٣٤. عبد المعطي محمد عبد المعطي سمسم، العلاقات بين شمال الجزيرة العربية وبلاد الرافدين، ط١، ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٣٥. ـــــــ، العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة، ط١، ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧.

٣٦. عرفان محمد حمور، سوق عكاظ ومواسم الحج، ط١، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، ٢٠٠٠م.

٣٧. علي محمد معطي، تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام، ط١، دار المنهل اللبناني-مكتبة رأس النبع، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٣٨. عمرو فروخ، العرب في حضارتهم وثقافتهم، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

٣٩. عواطف أديب سلامة، قريش قبل الإسلام ودورها السياسي والاقتصادي والديني، (د ط)، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٤٠. فضل بن عمار العامري، الدم المقدس عند العرب، ط١، مكتبة التوبة، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٤١. فكتور سحاب، إيلاف قريش، ط١، كومبيونشر والمركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٢م.

٤٢. فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ٢٠٠٢م.

٤٣. قاسم الدويكات، جغرافية الوطن العربي الطبيعة والبشرية والسياسية، ط٣، مطبعة البهجة، أربد، ٢٠٠٣م.

٤٤. كمال الصليبي، "الإطار الخارجي لجاهلية العرب"، الندوة العالمية الثانية لدراسات الجزيرة العربية، الجزيرة العربية قبل الإسلام، الكتاب الثاني، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٤٥. لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة، ط٢، دار المعرفة الجامعية، (د ت).

٤٦. ماجدة آل مرتضى المؤمن، الحج عبر الحضارات والأمم دراسة مقارنة بين الحج في الإسلام وطقوس الديانات الأخرى، ط١، دار مشعر، ١٤٢٢هـ.

٤٧. محمد إبراهيم الفيومي، تاريخ الفكر الديني الجاهلي، ط٤، دار الفكر العربي، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٤٨. محمد أحمد بدين؛ وعبد الرحمن بكر كباوي، دراسات في آثار المملكة العربية السعودية، (د ط)، المهرجان الوطني للتراث والثقافة، الرياض، ١٤٢٢هـ/١٩٩٢م.

٤٩. محمد أحمد مولى جاد المولى بك وآخرون، أيام العرب في الجاهلية، (د ط)، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، (د ت).

٥٠. محمد بيومي مهران، الحضارة العربية القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٥١. ـــــــــ، دراسات في تاريخ العرب القديم، ط٢، دار المعرفة الجامعية، (د ت).

٥٢. محمد عبد المنعم، آثار ما قبل التاريخ وفجره في المملكة العربية السعودية، ترجمة: عبد الرحيم محمد خبير، ط١، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، ١٤١٦هـ.

٥٣. محمد عمر الشاهين، تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، ط١، دار الفكر، عمان، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٥٤. محمد محمد حسن شراب، الجذور التاريخية للعرب في بلاد الشام، ط١، دار المأمون للتراث ودار قتيبة للنشر، دمشق، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٥٥. ـــــــــ، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١١هـ.

٥٦. محمد محمد بن سويلم أبو شهبة، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، ط٨، دار القلم، دمشق، ١٤٢٧هـ،

٥٧. محمد نعمان الجارم، أديان العرب في الجاهلية، ط١، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٤١هـ/١٩٢٣.

٥٨. محمود طه أبو العلا، جغرافية شبه جزيرة العرب، الجزء الثاني (جغرافية المملكة العربية السعودية)، ط٥، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٥٩. محمود عرفة، العرب قبل الإسلام أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حضارتهم، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ١٩٩٥م.

٦٠. محمود عصام الميداني، الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي، مراجعة: عبد الرحمن حميدة، ط٣، دار دمشق، دمشق، ١٩٩٩م.

٦١. محمود المقداد، الموالي ونظام الولاء من الجاهلية إلى أواخر العصر الأموي، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٦٢. مصطفى فتحي أبو شارب، العلاقة بين العرب والفرس وآثارها في الشِّعر الجاهلي، ط١، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٦٣. موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٦٤. موسى جارالله الروسي، نظام النسيء عند العرب قبل الإسلام، (د ط)، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م.

٦٥. الموسوعة العربية العالمية، ط٢، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٦٦. الموسوعة العربية الميسرة، المكتبة العصرية، صيدا، (د ت).

٦٧. موسوعة المملكة العربية السعودية، (د ط)، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٤٢٨هـ.

٦٨. ناصر سعد الرشيد، "تعامل العرب التجاري وكيفيته في العصر الجاهلي"، الندوة العالمية الثانية لدراسات الجزيرة العربية، الجزيرة العربية قبل الإسلام، الكتاب الثاني، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٦٩. هنري سعيد عبودي، معجم الحضارات السامية، ط١، جروس بروس، طرابلس، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٧٠. واضح الصمد، الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.

٧١. يحي الجبور، الجاهلية مقدمة في الحياة العربية لدراسة الأدب الجاهلي، (د ط)، مطبعة المعارف، بغداد، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

ثالثًا: المصادر والمراجع المعربة.

١. التوراة، العهد القديم.

٢. باتريشا كرون، تجارة مكة وظهور الإسلام، ترجمة: أمال محمد الروبي؛ مراجعة: محمد إبراهيم بكر، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٣. ثيودور نولدكه، أمراء غسَّان، ترجمة: بندلي جوزي؛ قسطنطين رزيق، ط١، شركة دار الورق للنشر المحدودة،٢٠٠٩م.

٤. ربرت هيلند، تاريخ العرب في جزيرة العرب من العصر البرونزي إلى صدر الإسلام ٣٢٠٠ق.م-٦٣٠م، ترجمة: عدنان حسن، ط١، شركة قدمس للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٠م.

٥. الموسوعة الأثرية العالمية، ترجمة: محمد عبد القادر محمد وزكي إسكندر، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٦. هنري هودجز، التقنية في العالم القديم، ترجمة: رندة قاقيش؛ مراجعة: محمود أبو طالب، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٥م.

٧. هيرودوت، تاريخ هيرودوت، ترجمة: عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠١م.

رابعاً: الدوريات العربية.

١. أبا ذر راهي سعدون الزبيدي، "حصن الأخيضر دراسة في ضوء التحريات والتنقيبات والصيانة الأثرية"، مجلة العميد، المجلد ١، العدد ١-٢، العراق، رمضان ١٤٣٣هـ/أيلول ٢٠١٢م.

٢. إبراهيم مصطفى، "رأي في تحديد العصر الجاهلي"، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، المجلد ٨، ١٩٥٥م.

٣. آدم، هنري إ. ماك، "إسترابون، بلينيوس الكبير، بطلميوس الإسكندري: ثلاثة تصورات عن العربية القديمة وشعوبها"، ترجمة: مصطفى العبادي، رسائل جغرافية، جامعة الكويت، العدد ١٤٦، محرم ١٤١٣هـ/ يوليو، ١٩٩٢م.

٤. بدر الدين يوسف، "مُناخ المملكة العربية السعودية"، رسائل جغرافية، جامعة الكويت، ع١٥٧، ذو الحجة، ١٤١٣هـ.

٥. حمد الجاسر، "أسواق العرب القديمة"، مجلة العرب، المجلد ٧-٨، السنة ٢٣، محرم-صفر ١٤٠٩هـ/سبتمبر-أكتوبر ١٩٨٨م.

٦. حمد الجاسر، "دارات العرب"، مجلة العرب، ع٤، أكتوبر، ١٩٦٩م.

٧. راشد بن حمدان المسعودي، "معجم سمات العرب القديمة"، مجلة العرب، المجلد ١-٢، السنة ٢٨، رجب-شعبان ١٤١٣هـ/ يناير-فبراير ١٩٩٣م.

٨. رجاء لازم رمضان، "موسيقى النص الشِّعري لصور الثبات والمواجهة الإيجابية للحرب في الشِّعر الجاهلي"، مجلة الأستاذ، العدد ٢٠٣، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٩. سامي سعيد الأحمد، "نظرة في جغرافية شبه الجزيرة العربية في المصادر اليونانية القديمة"، مجلة العرب، العدد السابع، محرم، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

١٠. سلطان عبد الله المعاني، "التكريس عند العرب القدماء؛ دراسة في النصوص النقشية العربية القديمة"، مجلة المنارة، المجلد ٤، العدد ١، ١٩٩٩م.

١١. عبد الله يوسف الغنيم، "البراكين والحرات والحمات في التراث العربي"، رسائل جغرافية، العدد ١١٧، جامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، محرم ١٤٠٩هـ/سبتمبر ١٩٨٨م.

١٢. عبد المعطي محمد عبد المعطي سمسم، "أسواق يثرب في العصر الجاهلي"، مجلة كلية الآداب، العدد ٢٨، جامعة بنها، أبريل ٢٠١٢م.

١٣. عبد المعطي محمد سمسم، "أضواء على الأسرى عند العرب في العصر الجاهلي"، حولية التاريخ الإسلامي الوسيط، المجلد ٦، جامعة عين شمس، ٢٠٠٨/٢٠٠٩م.

١٤. عبد المعطي محمد عبد المعطي سمسم، "المنظور الاجتماعي والاقتصادي للحرف والصناعات بمكة قبيل البعثة من خلال كتاب الفاكهي"، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، العدد ٢٦، جامعة بابل، العراق، نيسان ٢٠١٦م.

١٥. لطفي عبد الوهاب، "الوضع السياسي في شبه الجزيرة العربية حتى القرن الأول الميلادي"، الندوة العالمية الثانية لدراسات الجزيرة العربية، الجزيرة العربية قبل الإسلام، الجزء الثاني، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص٩١.

١٦. ليلى توفيق العمري، تلبيات العرب في الجاهلية دراسة موضوعية فنية، ط١، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٣٠هـ/٢٠١٠م.

١٧. محمد سعيد البارودي، "جيومورفولوجية الشروم على الساحل الشرقي للبحر الأحمر"، وحدة البحث والترجمة للجمعية الجغرافية الكويتية، جامعة الكويت، العدد ١٣٣، ١٩٩٠م.

١٨. محمد العبودي، "الربع الخالي ماذا كان يُسمى قديمًا"، مجلة العرب، العدد ٥-٦، ذو القعدة-ذو الحجة/ ١٤٠٠هـ.

١٩. محمد عيسى صالحية، "علم الريافة عند العرب"، رسائل جغرافية، العدد ٣٧، جامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، ربيع الأول ١٤٠٢هـ/يناير ١٩٨٢م.

٢٠. محمد محمود محمدين: "دراسات في الاسماء الجغرافية العربية"، مجلة الدارة، العدد الرابع، ١٣٩٩هـ.

٢١. هاشم طه شلاش، "التراث الخلقي في أيام العرب"، مجلة الأقلام، العدد ٣، مارس ١٩٦٤م، ص٣٦.

٢٢. هلال محمد الجهاد، "ظاهرة المرقبة في الوعي الشِّعري الجاهلي"، مجلة التربية والعلم، المجلد ١٤، العدد ٢، ٢٠٠٧م.

٢٣. هناء عباس عليوي كشكول، "الأبعاد الدلالية للجذر وسم في الشِّعر الجاهلي"، مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة الكوفة، المجلد ١، الإصدار ١٥، ٢٠١٢م.

خامسًا: الرسائل الجامعية.

١. كوثر محمد سعيد، "حادثة الأخدود بين المصادر العربية والمصادر القديمة دراسة تاريخية حضارية"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة أم القرى، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

٢. نجوى محمد محمد جميل إكرام، "النشاط التجاري عند المجتمعات العربية في شمال غرب شبه الجزيرة العربية في عصر ما قبل الإسلام–دراسة تاريخية وحضارية"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة أم القرى، ١٤٢٢هـ.

سادساً: المخطوطات.

١. مجهول، "رسالة في منازل القمر"، مخطوط رقم ١٥٢٩، نسخة مصورة من النسخة الأصل، خط نسخ عادي، جامعة الملك سعود، الرياض، ورقة رقم ١.

سابعاً: الكتب الأجنبية.

1. A. Kirk Grayson and Others, Assyrian rulers of the early First millennium BC II (858-745 BC), University of Toronto press, Toronto buffalo, London.
2. Ephesus (John Bishop of Ephesus), Ecclesiastical History, translated to English: R. payne smith' M. A., 1stED, the university press, oxford, 1866.
3. Evagrius, the Ecclesiastical History of Evagrius scholasticus, translated with introduction by: Michael whitby, 1stED, Liverpool university press, Cambridge street, 2000.
4. Helen Chapin Metz: Saudi Arabia a Country Study, (5th ED), Library of Congress, 1993, P51.
5. Jhf Dijstra' and other, Inside and outInteractions between Rome and the Peoples on the Arabian and Egyptian Frontiers in Late Antiquity, peeters, 2014.
6. Philip. k. Hitti: History of the Arabs, (3rd ED), Macmillan and Co, Limited, London, 1946.
7. Pliny's, Natural History, Castle Street, Wernerian Club, 1847.

8. Procopius, History of the wars, English translation: H. B. Dewing, the loeb classical library.
9. Robert G.Hoyland: From al andalus to khurasan (Epigraphy and the emergence of Arab identity), Brill, leiden, 2006.
10. Strabo, the geography of Strabo: Trans: Horace Leonard Jones; PH. D; LL. D, 4thED, Harvard university press, Combridge.
11. Saudi commission for Tourism and Antiquites, Dumat al-jandal 2'800 years of History in the Kingdom of Soudi Arabia, King Fahd national library, Riydh, 2013.